حوار العدد مع
د. خطار أبو دياب
حاوره: ابراهيم الجبين

التغريبة الفلسطينية الثانية
في سوريا

ملف العدد:
داعش.. والتيارات الإسلامية

حنين:
إلى حلب.. الشهباء

حرّية

أول مجلة سورية حرّة - شهرية شاملة - تصدر عن التجمع الوطني الحرّ

العدد 3 - تشرين الثاني - نوفمبر 2013

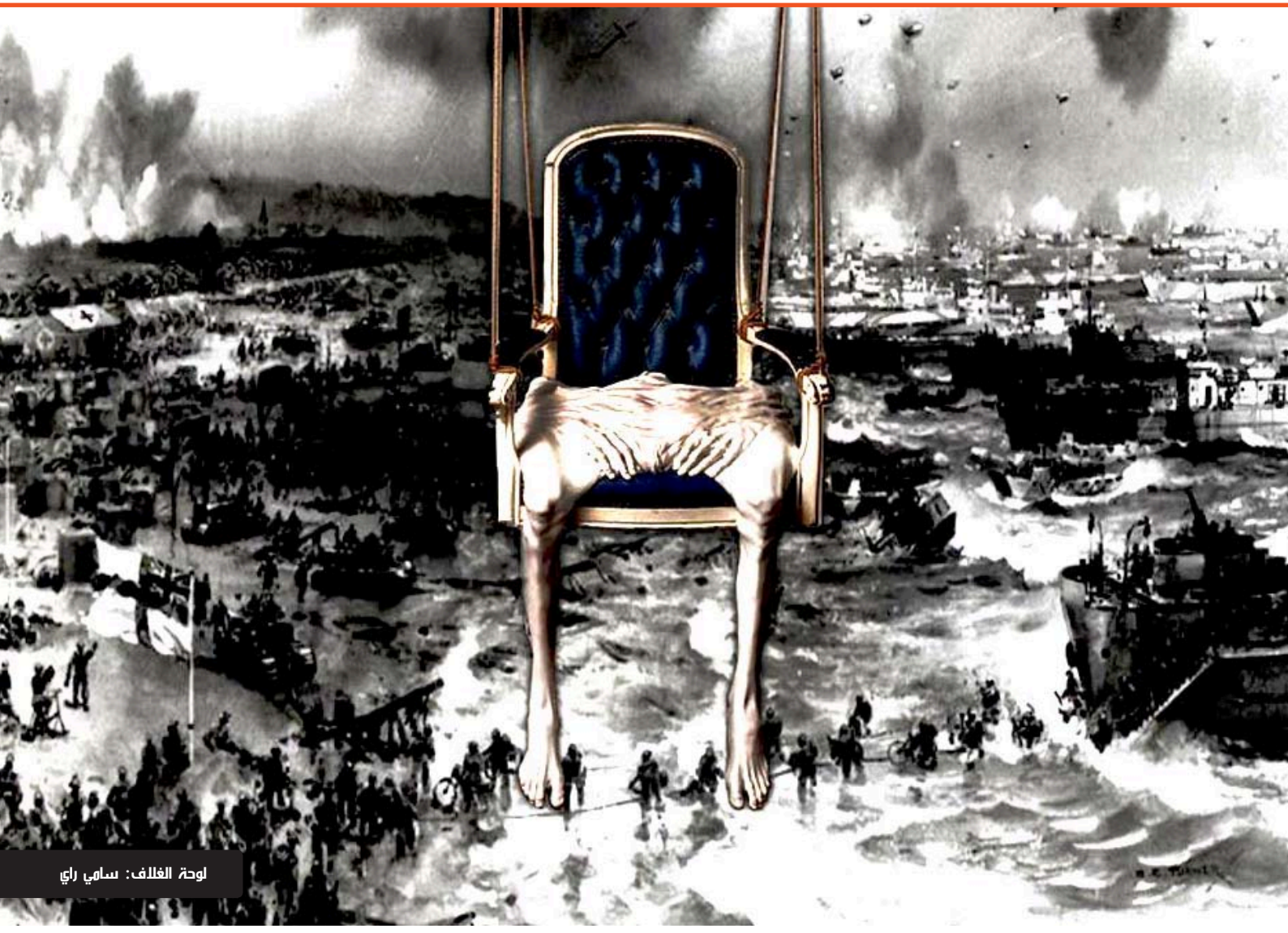

لوحة الغلاف: سامي راي

كيمياء الطاغية - خيمياء السوريين / بانوراما الفن التشكيلي الكردي

من كتاب العدد: د. بدر الدين عرودكي - د. محمد حبش - سلام الكواكبي - عبد القادر عبد اللي

يوميات السوريين: جرمانا - حلب بلا كهرباء - اختطاف الحسكة - مدارس سوريا في تركيا

شعر: حسان عزت - وداد نبي - عناة السَلميّة / القاص جميل حتمل: فاتن حمودي

مسرح: لويز عبد الكريم / موسيقا: فهد يكن / دراما سورية: علي سفر

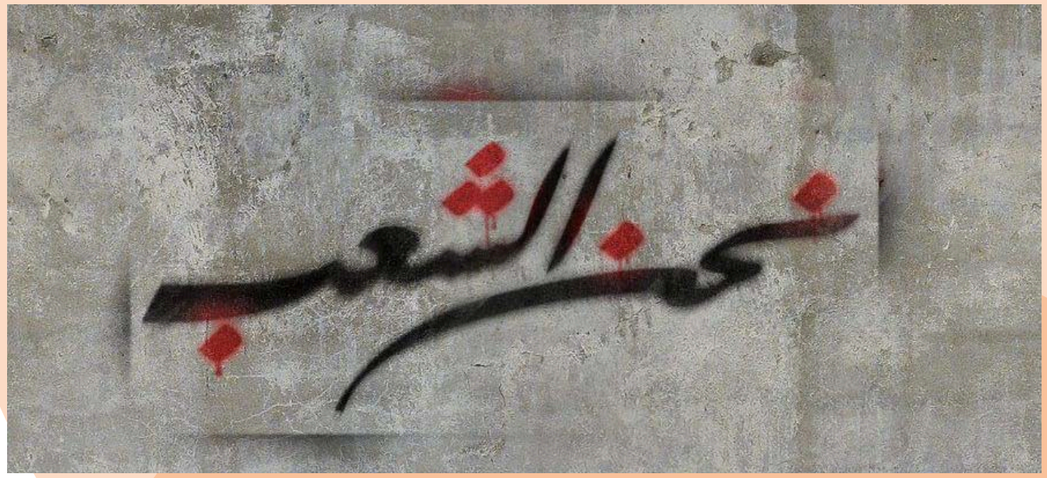

مجلة سورية شهرية شاملة

سياسية - فكرية - ثقافية

اقتصادية - اجتماعية

تصدر منتصف كل شهر

عن التجمع الوطني الحرّ

للعاملين في الدولة السورية

الإشراف:

المكتب الاعلامي

في التجمع الوطني الحرّ

مدير التحرير:

نجم الدين سمّان

مراسلون:

خولة دنيا

محمود الشرع

رشا عمران

عارف حمزة

حسين برو

يوسف الرشيد

فتون الوعرية

نجمة الصباح مصطفى

سكرتير التحرير:

عبد الله غبّاش

ايميل المجلة: tawasol_sy@yahoo.com

الموقع الالكتروني: http://syria-nass.com

الإخراج الفني:

مهيار الدمشقي

المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

التجمع الوطني الحر

للعاملين في مؤسسات الدولة السورية

ينطلق التجمع الوطني الحر للعاملين في مؤسسات الدولة السورية من الإيمان العميق بمشروعية الثورة السورية التي انطلقت لإنهاء مرحلة الاستبداد التي حرم فيها المواطنون من الحرية والكرامة، والتي اختطفت الدولة السورية لتصير دولة أمنية تحكم بالقمع والترهيب من فئة تهتم بمصالحها الشخصية، وبثرائها غير المشروع.

ولقد كنا نحن العاملين في الدولة، الرافضين لمظاهر الفساد وآلياته، نحاول إصلاح ما فسد ، لكننا نصطدم بجبروت الدولة الأمنية التي قبضت على الحكم ولم يكن متاحاً للجميع أن يغامروا بمواقف فردية تجر عليهم تهم الخيانة وتعرض أطفالهم وأسرهم لويلات باتت قاتمة ومخيفة بعد أن تم تقديم صور القمع المريعة في الثمانينيات .

ولأنا نعتبر أنفسنا عاملين في الدولة التي بناها أجدادنا منذ مائة عام، ولسنا أجراء عند نظام الحكم، فقد رفضنا العمل بأمرة هذا النظام المجرم، وتحدينا غروره وجبروته، وأعلنا انضمامنا لثورة شعبنا، ووضعنا كل طاقاتنا وإمكاناتنا تحت تصرف الثورة، وانضوينا تحت مظلتها الرحبة عبر الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وشكنا في إطاره هذا التجمع الوطني الحر للعاملين في مؤسسات الدولة، لنحافظ على بنية الدولة السورية، وعلى مؤسساتها، ولنستعد لمواجهة ما قد يحدث من فوضى واضطراب لحظة السقوط المرتقب للنظام، وقد ينهار فجأة فيحدث فراغ إداري نأمل أن يملأه على الفور العاملون في إدارات الدولة ومؤسساتها ممن سارعوا للانضمام إلى ثورة شعبهم، وجندوا طاقاتهم فيها .

ونحن نحاول في هذا التجمع لم شمل العاملين الذين انتشروا في بلاد الهجرة، والذين بقوا في عملهم يساندون الثورة، لتوظيف إمكاناتهم في بناء جسد الدولة القادمة .

وقد أعلنا منذ بداية تأسيس التجمع أننا لسنا حزباً سياسياً، فالهدف الذي نتوحد حوله هو إسقاط النظام، وانتصار الثورة، وتتويج الجيش الحر جيشاً وطنياً يحمي الشعب ويدافع عن حريته وكرامته، وسيبقى عملنا مكملاً لعمل الائتلاف الوطني، ومنسجماً مع إدارته وتطلعاته ، مستمداً من الشعب ومن ثورته المباركة طاقة حيويته ونشاطه ومعيار سلوكه وسعيه إلى أهدافه.

والله الموفق.

مجلس الأمناء

أخبار

اجتماعات مجلس الأمناء ورؤساء المجالس المهنية

عقد مجلس الأمناء دورة اجتماعاته الثامنة في الفترة الواقعة مابين 28-30 تشرين الأول المنصرم بمدينة إسطنبول التركية، وقد شارك في الاجتماعات الإخوة رؤساء المجالس المهنية، كما حضر جانباً من الاجتماعات رئيس الحكومة المكلف السيد د. أحمد طعمة. و تدارس المجلس موضوع تطوير بنية وعمل المجالس المهنية؛ وفكرة إلحاقها كإطار تنظيمي بالحكومة المزمع تأليفها، وبما يدعم أداءها ويضعها في مكانها الصحيح كقدرات فاعلة تضمن للحكومة المأسسة الاحترافية اللازمة، وترفدها بالكوادر والخبرات الحكومية الضرورية لإنجاح عملها، وأقر المجتمعون بالإجماع هذه الخطوة.. معتبرين إياها إسهاماً جاداً من التجمع في دعم الحكومة الجديدة، وضماناً لدور أكثر فاعلية لمنتسبي المجالس في بناء سورية الغد، وذلك بما ينسجم مع التوجهات الأساسية لعمل التجمّع والتي نصَّ عليها بيانه التأسيسي؛ ما نوقش في الاجتماع موضوع تعزيز الدور السياسي للتجمع في نصرة الثورة والعمل على تحقيق أهدافها النبيلة، وبما يحقق تطلعات شعبنا الصابر المرابط نحو الحياة الحرة الكريمة وبناء الدولة العصرية على أسس ديموقراطية تعددية ، وبما يحقق المواطنة المتساوية لجميع أبناء الشعب السوري؛ وقد تم الاتفاق على إحداث ورشة عمل تحضيرية لبحث التوجهات الأساسية للمرحلة المقبلة ، وستعرض الأوراق والدراسات المنجزة على الهيئة العامة لمناقشتها واتخاذ ما ترتأيه بمضمونها. وسيصدر التجمع تقريراً مالياً مفصلاً وبمنتهى الشفافية حول الواردات والنفقات، وسيعرض التقرير على الهيئة العامة, وفقاً لما نصت عليه اللائحة المالية للتجمع, وأكد المجتمعون في ختام أعمال الدورة التزامهم التام بروح ونص اللائحة الداخلية للتجمع واللوائح التنفيذية والقرارات والوثائق الصادرة عنه.

فهرس

حوار مع البروفيسور خطار أبو دياب
14 ابراهيم الجبين

الشرق الأوسط الجديد
الشعوب في زمن الثورة السورية
58 د. بدر الدين عرودكي

العلاقات العربية الكردية
في ظل الثورة السورية
66 حواس محمود

سوريا.. أربع مشاكل تركية في واحدة
64 عبد القادر عبد اللي

السوريون قادرون على ادارة مرحلة مابعد الأسد
62 ترجمة: غادة جاويش

شيخ الخطاطين
في حلب
محمد عماد محوك
46

داعش..
نقمة (التحرير)
في الرقة.
24

الأنا المتضخمة
والجهد الضائع
80

الوقت اللازم
علمياً لتفكيك
السلاح الكيميائي
السوري
10

حديث الشفافية

حوار مسئول بين قيادة المجلس الوطني وأمناء التجمع الوطني

● د. رياض نعسان آغا

كان اللقاء في استامبول أواخر شهر أكتوبر الماضي 2013 قد جمع لأول مرة مجلس الأمناء في التجمع الوطني الحر مع قادة المجلس الوطني السوري .

سرني اللقاء لأنه كان لقاء حميماً بين أبناء الأسرة السورية الواحدة ، لقاء أهل و أصدقاء يجمعهم إخلاص للوطن ، وإقدام على التضحية من أجل إنقاذه ، وكان أجمل ما فيه شفافية الحوار. فقد حملنا إلى أشقائنا في قيادة المعارضة عتب المنشقين الذين أهملتهم المعارضة ، ويبدو أنه كان لابد من انقضاء عامين ونيف حتى يتأكد الجميع من أن المنشقين المدنيين هم من استنكروا الحل الأمني ، ورفضوا سياسة النظام في مواجهة المظاهرات السلمية بالقتل وسفك الدماء وبالاعتقال والمداهمات والإهانات والتخوين ، فقد كنا ننصح بالحل السياسي ، لكن المتطرفين في النظام أصروا على أن العلاج هو القتل والهدم والتدمير والاعتقال ورفعوا شعارات مرعبة ، تعلن أن خطتهم في المعالجة هي تدمير البلد .

وأمام سياسة حصار المدن والقتل العشوائي والجماعي ، لم يعد أحد يقدر أن ينصح من تقطر الدماء من يديه ، فحين يعلو صوت الرصاص والقنابل والصواريخ يخفت صوت العقل والحكمة ، ولايمكن أن يشارك الشرفاء في قتل أهلهم ، وليس بوسعهم أن يوافقوا ويصفقوا لمن يقتل شعبهم حتى وإن كانوا من قبل عاملين في نظامه ، ولا أن يصمتوا عن ارتكاب هذه الجرائم التي أصبحت جرائم ضد الإنسانية ، وبات موقفهم الرافض مريباً أمام السلطة الغاشمة التي اعتبرت من البداية أنّ من ليس معها هو ضدها .

لقد بدأت الإنشقاقات العسكرية حين وجد شرفاء الجيش السوري أنهم مطالبون بقتل أهلهم وقصفهم لمجرد أنهم يخرجون في تظاهرات تدعو إلى إصلاح النظام ، ثم تلتها انشقاقات المدنيين من كبار العاملين في الدولة ، وكان الحدث الهام ، هو انشقاق رئيس مجلس الوزراء الدكتور رياض حجاب الذي عرّض نفسه وأسرته كلها لخطر أكيد، وأعلن رفضه سياسة القتل والتدمير والتنكيل .

وكان قد انشق عدد كبير من أعضاء مجلس الشعب ومن السفراء والدبلوماسيين ومن معاوني الوزراء ومن إدارات هامة ، وكانت مبادرة الدكتور رياض حجاب رؤية وطنية ضرورية، حين دعا بعض المنشقين للتشاور حول تأسيس تجمع يلم شمل العاملين في الدولة ، القادمين من مواقع هامة في مناصب النظام ، وكان لابد لهؤلاء من تشكيل كيان يضم شتاتهم في بلاد الهجرة والنزوح ، ولاسيما أن المعارضة الوطنية لم تلتفت إليهم يومذاك، ولم ترحب بهم في البدء، لكن الموقف تحسن بالتدريج حين توقف بعض المشككين عن الهجوم على المنشقين والتشكيك في نبل دوافعهم.

وقبل إعلان تأسيس التجمع الوطني الحر للعاملين في الدولة، بادر الدكتور حجاب للتواصل مع قادة المعارضة، وللتنسيق معهم كيلا يظن أحد بأن التجمع كيان خارج عن السرب، ورغم أن تمثيل التجمع في الائتلاف كان شكلياً إلا أن أعضاء التجمع كانوا جميعاً مصرين على أن يبقى التجمع جزءاً من الائتلاف، حفاظاً على وحدة الصف الوطني.

ولقد بادر التجمع رغم الإمكانات المحدودة إلى تشكيل مجالس مهنية، ضمت البرلمانيين والدبلوماسيين والقضاة والإعلاميين والمهندسين والأطباء والصيادلة والمفتشين والمرأة فضلاً عن مبادراته في الإغاثة وتقديم الدعم المادي واللوجستي للداخل بما هو ممكن ومتاح لديه،حتى بات جزء هام من جسد الدولة القادمة ونواة كوادرها ومواردها البشرية جاهزاً للمشاركة في بناء أية حكومة مقبلة .

ولقد تدفقت على التجمع طلبات الانتساب من الموظفين المنشقين أو الهاربين من حجيم الملاحقة، وتريث التجمع في قبول المزيد حين بدأ الحديث عن تشكيل حكومي، وقد تعثرت ولادة حكومة (المهندس غسان هيتو) لكن حكومة (الدكتور أحمد طعمة) ولدت رغم كل الصعوبات والمعوقات ، وكانت المبادرة الهامة من مجلس الأمناء في نهاية أكتوبر الماضي، أن يضع التجمع ما أنجز (رغم محدوديته) بين يدي الحكومة الجديدة المؤقتة .

وكان واضحاً أمام رئيس الحكومة الوليدة أن أمناء التجمع لايبحثون عن مناصب أو مواقع ، وكنا أعلنا ذلك منذ أمد بعيد ، لكننا نحرص على ألا يتم تجاهل الطاقات السورية الكفوءة ، وقد أوضحنا ذلك في حوارنا مع المعارضة ، ووجدنا في هذا اللقاء رحابة وتفهماً عمقته التجربة، ونرجو ألا تهمل طاقات العاملين في الدولة.

لقد استعرضنا في حوارنا مع المجلس الوطني حاجة الوطن إلى كفاءات أبنائه جميعاً وبخاصة أولئك الذين تركوا وظائفهم وبيوتهم وتعرضوا للتشرد والتيه وبات بعضهم لايملك قوت عياله فضلاً عن كونه ملاحقاً وعن كون أسرته مهددة ، ونحسب أن هذا الموقف المكلف بدوافع وطنية وانحياز للحق وللشعب وللوطن جدير بأن يكون موضع اعتبار، وقد أخطأت بعض دول الثورات حين سنت قوانين العزل السياسي فحرمت نفسها من طاقات الشعب وكفاءاته الإدارية ، فبعضها حل الجيش وقوى الأمن ، ولم يعد من السهل بناؤهما من جديد، وعلينا أن نراقب التجربة الليبية وأن نفيد من نتائجها.

وربما يخشى بعض المتشددين من أن بعض المسئولين السابقين قد ينافسونهم مستقبلاً في مواقع مسئولة، وقد أثبتت التجربة على قصرها أن هذا وهم، مع قناعتي بضرورة ألا يتخلى هؤلاء المسئولون الشرفاء عن مسئولياتهم حين يندبون إليها بقناعة وجيهة إلى تحملها، لكن الإنصاف يقتضي الاعتراف بأن من ترك السلطة وهي بين يديه زاهداً بها، مدركاً خطورة ما يفعل ، لقاء أن يكون حراً ومنسجما مع مبادئه وقناعاته، لايعنيه ما يروج المرجفون، ولست أحسب نفسي شخصياً بين المنشقين لأنني لم أكن في موقع حكومي يوم قامت الثورة .

ولقد قلت في لقائنا بالمعارضة بأن من ظن بأن هناك (من قفز من المركب قبل أن يغرق) لايدري أن المنشقين هم أعلم من سواهم بقوة هذا المركب وبأن غرقه ليس سهلاً ، لكن مثل هذه الأقوال غير المسئولة جعلت كثيراً من كبارالعاملين في الدولة يتوقفون عن الانشقاق خوفاً من أن يقعوا بين رفض المعارضة وملاحقة النظام .

ولقد أبدى قادة المجلس الوطني من الترحيب والتفهم، ما جعل الحوار ينحو إلى مزيد من الشفافية ، وتحدثنا عن مؤتمر جنيف وتطابقت رؤانا في كوننا جميعاً نصر على الثوابت التي حددها شعبنا في الداخل والخارج، ولكننا نؤمن بأنه لابد من الحل السياسي .

إننا نتوجه بالاحترام والتقدير لأهمية هذا الحوار مع المجلس الوطني، وهو حوار داخل المعارضة وفي بيتها الأول الأصيل، وشخصياً أتوجه بالشكر الجزيل لأولئك الذين بادروا لحمل المسئولية رغم كل ما يعانون من معوقات ،وقد أسعدني أن ألتقي بينهم أصدقاء فضلاء ، باعدت بيني وبينهم السنون والاغتراب ، لكن انتماءنا المشترك ، يجعل المحبة نهراً يتدفق بين السوريين الشرفاء جميعاً.

واليوم يتطلع التجمع الوطني الحر إلى تجدد في الشكل والمضمون يكون واسع الطيف ، لايقتصر على الموظفين والعاملين في الدولة وحدهم، وإنما يفتح أبوابه لرؤى سياسية قادرة على الإسهام الأقوى في بناء الدولة المدنية الديموقراطية (دولة الحرية والكرامة) التي يقدم شعبنا من أجل بنائها أعظم التضحيات.

إعادة الاعمار وبناء الثقافة الوطنية

● اخلاص بدوي

ان الالم السوري النازف يحملنا جميعاً مسؤولية كبيرة ويجعلنا نسخر كل امكانياتنا المتواضعة لخدمة هذا الشعب الحر الذي لم يرتضِ إلا الكرامة و الحرية ناموساً لحياته وسيماء مميزة لأصالته... لقد أثبتت الثورة أن شعبنا السوري الحر مصمم على الوصول الى اهدافه المنشودة في ثورته الابية لتحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية

و بالإضافة إلى الواقع المرير الذي نعيشه يضع في اعناقنا امانة عظيمة تجاه احرار الوطن وحريته.. و في التناول المنهجي لعملية إعادة الإعمار كأولوية إستراتيجية لا بد لنا من التوقف ملياً عند عامل عظيم الأهمية، هو إعادة بناء الثقافة الوطنية . وأجد ذلك في محاور عديدة منها:

اولاً :

دور الفرد في بناء الثقافة الوطنية:

ان اعادة بناء الثقافة الوطنية للفرد السوري هي مطلب رئيس ومهم لترسيخ المبادئ الوطنية للثورة . وذلك من خلال تفعيل دور الفرد في المجتمع وفق منظور ثلاثي الأبعاد:- الحرية والمسؤولية والمواطنة-.

حيث ان الفرد الذي يتمتع بحس عالٍ أصيل ومتأصل معها يعتبر النواة المثالية لبناء المجتمع الذي نطمح للوصول اليه فلا بد من اعادة بناء الثقافة الوطنية للفرد بحيث تكون هي الضامن والحارس الامين للثورة فمن السهل إحداث بعض التغيير في المجتمعات بقرارات تصدر من القيادة الثورية وفي هذا سرعة وسهولة، إلا أن القرارات لا تقوم ببناء صحيح . فبمجرد انتهاء ولاية القيادات التي اصدرت تلك القرارات ينتهي ذلك التغيير بخلاف تغيير المجتمعات عبر إعادة بناء الثقافة الوطنية الذي يتطلب الوقت والجهد والإصرار على تغيير الذات والرقي بها للمحافظة على مكاسب الثورة والموروث التاريخي العريق من خلال ترسيخ الاسس اللازمة لبناء الفرد الذي يشكل الوحدة الاساسية للمجتمع.

فعلى أهل الخبرة والمثقفين العمل على ترسيخ الاسس اللازمة لبناء الفرد ليتمكن من ممارسة الحرية والحس بالمسؤولية وممارسة حقه في المواطنة وذلك من خلال البناء الفعال للفرد من ناحيتين أولاهما رغبة الفرد في اعادة تأهيل ثقافته الذاتية ببعدها الوطني نابعة من حسه بالمسؤولية ثانيهما وجود مجتمع يمنحه حقوقه ويصغي لآرائه و يحدد واجباته وراسما لحدود حرياته .

وخير مثال على ذلك عندما بنى الصينيون سور الصين العظيم ليدرؤوا عنهم خطر العدو الخارجي تعرضت الصين خلال المائة سنة الاولى ثلاث مرات للغزو وكانت جحافل العدو تدخلها عبر الباب عن طريق دفع الرشوة للحارس . لقد بنوا السور ونسوا بناء الحارس ..

ونخلص هنا الى أهمية دور الفرد في بناء الثقافة الوطنية.ولذلك لا بد لنا من القاء الضوء على اهم المحفزات الخاصة لتحسين دور الفرد في اعادة البناء من خلال:

* رفع الحس الوطني.. فالمواطنة حق مقدس لجميع أفراد المجتمع يجب الحفاظ على قدسيته ومكانته فهي عقيدة رصينة محصنة لكل فرد من ابناء الوطن دون النظر الى انتمائه السياسي او اختلافه الديني .
* العلم : ان من اهم الاسس لإعادة بناء الثقافة الوطنية القضاء على الجهل بالعلم والمعرفة ونشر الثقافة الوطنية بين الافراد في جميع علوم الحياة لمساعدة مجتمعهم في رفع الاستبداد والظلم بالمعرفة والعلم وبناء مجتمع مزدهر متقدم متطور .
* إشراك كل الجهات و الهيئات الرسمية و الجمعيات الاهلية في عملية البناء .

وبما ان العلاقة بين الاسس اللازمة لبناء الثقافة الوطنية لدى الفرد مع المشكلات والموانع التي تواجهه في مسيرة حياته علاقة عكسية فلا بد لنا من حصر المشكلات والموانع التي تعيق تفعيل دور الفرد في اعادة بناء الثقافة الوطنية والتي تفنن نظام الاسد خلال حكمه على وضع العوائق والموانع التي تبعد الفرد والمواطن عن دوره الفعال عبر النظام الديكتاتوري والسلطة الاستبدادية وسياسة كم الافواه والاعتقالات التعسفية غير القانونية وبث روح التفرقة والطائفية وتفشي المحسوبيات وتربية النشء الجديد على أسس ومنطلقات نظرية لا تتصل بالواقع ولا علاقة لها به . حيث تتم عملية القمع والتدجين من الطلائع الى الشبيبة الى الحزب الحاكم .

والمطلوب اليوم من النخب ان تقوم بتجديد وتفعيل دور الفرد داخل المجتمع ويتطلب من الفرد الاستعداد التام لذلك التغيير معلنا البدء ببناء الذات وممارسة دوره الفعال في المجتمع عبر فضاء الحرية و قمم المسؤولية والمواطنة لإرساء قواعد الديمقراطية ومواجهة التحديات الكبيرة التي تواجه المجتمع وللحفاظ على المكاسب الثورية والعمل على تنمية ثقافية وطنية راسخة من خلال ترسيخ القيم التي تساعد على بناء الوطن وتجعل دور الفرد دورا حضاريا ذا شخصية متوازنة وفعالة في المجتمع يؤمن بالمشاركة والتشاركية التي تضمن للمجتمع الانتقال من العلاقة الرأسية بين السلطات والفرد الى العلاقة الافقية في الانتماء الى الوطن .

ثانياً :

ان من اهم المحاور التي تساعد على اعادة بناء الثقافة الوطنية التعليم :

فبناء الثقافة الوطنية من خلال محور التعليم هو الاهم في عملة الإصلاح والبناء وهو بمناهجه وأنظمته التربوية من الروافد الاساسية لعملية التنمية الثقافية والعلمية و الإعمار اذ لا يمكن ان يتطور الحقل الثقافي في أي مجتمع دون تطوير حقل التعليم والتربية وأي خلل يصيب جهاز التربية ينعكس على كافة حقول الحياة وجوانبها لان التعليم الذي يتجه الى غرس القيم العليا في النفوس الناشئة سيفضي الى التحول الإيجابي فنحن اليوم نحتاج الى تأكيد قيمة الوحدة الوطنية وضرورة تمكينها وحمايتها من كل المخاطر المحدقة بها للانتقال من ثقافة الهدم والتدمير إلى ثقافة البناء والتعمير .. إلى ثقافة تعلي من شأن المبادرات الايجابية و الإنسانية.. وتؤكد اتباع الاحسن بصرف النظر عن قائله او فاعله.

وحيث أن الحالة التعليمية قد فجعت كغيرها من جوانب الحياة في سورية حيث ان النظام الأسدي الاستبدادي. قد قام النظام متعمدا بقصف المدارس لنجد أكثر من مليوني طفل سوري قد حرموا من التعليم مما ينذر بجيل مهدد بالأمية والجهل ..

وبما ان الاستراتيجية التعليمية في النظام الأسدي قد بنيت على مراقبة المؤسسات التعليمية أمنيا وزرع رقابة الخضوع والخوف وعبارة القائد الرمز وخنق المبادرات الفردية وحرية التعبير ونشر الايديولوجية العقائدية لحزب البعث وإلصاق الحس الامني بحياة الطالب منذ طفولته وتطور هذا الحس وارتباطه بالحياة المادية والعقلية والنفسية و الاجتماعية الامر الذي انعكس على سلوك الطالب فساد ما يعرف باسم مجتمع الخوف..

وهنا لا بد من وقفة تعاونية بخطوات متكاملة تعيد للحركة التعليمية مسارها الصحيح ودورها الفعال في البناء فردا كان او مجتمعا لإعادة بناء الثقافة الوطنية وفقا لأسس تعليمية تربية سليمة تغرس في النشء منذ البداية وتلازمهم الى نهاية المرحلة التعليمية دون تسييس او تجييش او ادبولوجيات حزبية تعنى بمفاهيم الحزب الواحد وتنسى المواطنة الحقة وتؤثر المصالح الحزبية على المصالح الوطنية ..

وذلك من خلال رفع الانفاق الحكومي وتحديث المناهج وتطويرها وإيصالها لكافة الافراد وخلق المناخ المناسب للبحث العلمي ومراعاة حقوق المعلمين وتطويرهم مع مراعاة حقوق الطلبة وواجباتهم وزرع قدسية حب الوطن لذاته فلا يساويه شيء ولا يقوم مقامه احد .

ثالثاً:

دور المرأة في إعادة بناء الثقافة الوطنية:

سأتكلم عن المرأة هنا ليس بصفتي امرأة ولكن لأن قضية المرأة قضية اجتماعية تمس وجدان الناس، وتحرك في الغالبية العظمى مكامن أوجاعها ومعاناتها ومشاكلها، والمفجع أن المرأة لم تنل من سلم التقسيم في المجتمع ما يوازي مكانتها وكفاءتها .

والغريب أن انتشار ثقافة الانتقاص من المرأة ما تزال تسود تصورات بعض أبناء المجتمع تحت عنوان مايوصف بـ «صغر عقلها» أو جموح عاطفتها أو مزاجها أو ضعف دورها وعدم قدرتها وهذه الأوصاف تصب في خانة المهانة.

هذه النظرة غير المنطقية ضد المرأة جنت عليها وجعلتها أقل قيمة في عين البعض بالرغم من اعتقادنا نحن الطبقة المثقفة الواعية على أن المرأة في الوطن ليست نصف المجتمع كما تروج الأدبيات البسيطة، بل هي تمثل وتشكل النصف الأكثر تأثيراً في المجتمع.. فكيف يغيب حقها ويغيب دورها، وتترك بعيداً عن صميم الحياة ومعركة الوجود، والمجتمع اليوم في هذه الظروف الأكثر قهراً أشد حاجة للمرأة لأنها كائن معطاء يمثل جمال الروح في الأسرة ويشد عزيمة الأبناء والآباء و المرأة تعمل بكل ما أوتيت من قوة من أجل البناء واستمرار الحياة .

ولقد كانت المرأة السورية في جميع مراحل الثورة مناضلة معطاءة . قدمت الغالي والنفيس لاستمرار الثورة ورفع الهمم وتأصيل الحراك الثوري .. وستبقى القدوة والمثل الأعلى في الوطنية الصادقة .

ومن باب الوفاء والاعتراف بدور المرأة السورية المشرف في الثورة وإيمانا منا بدورها الرئيسي في بناء الثقافة الوطنية وبناء الفرد والمجتمع، فإن الواجب يقتضي تمثيل المرأة السورية في جميع سلطات الدولة وجميع هيئاتها وإداراتها..وهذا الامر حق من حقوقها وليس منة أو منحة من أحد.

وهذا التمثيل سيؤدي الى رفع الوعي لدى المرأة وتطورها من خلال ممارساتها لحقوقها السياسية والوظيفية والمدنية والتي تتساوى مع حقوق الرجل وهذا التساوي بالحقوق والواجبات يؤدي الى رفع المستوى الثقافي لدى الرجل والمرأة معاً .

وأتذكر قول أحد حكماء الصين:إذا أردت أن تهدم حضارة أمة فهناك ثلاث وسائل هي:

-1 هدم الأسرة .

-2 هدم التعليم .

-3اسقاط القدوات والمرجعيات .

و لكي تهدم الأسرة : عليك بتغييب دور (الأم) اجعلها تخجل من وصفها بربة منزل .

- ولكي تهدم التعليم:عليك بالمعلم فلا تجعل له أهمية في المجتمع وقلل من مكانته حتى يحتقره طلابه.

- ولكي تسقط القدوات : عليك بالعلماء فاطعن فيهم وقلل من شأنهم وشكك فيهم حتى لا يسمع لهم ولا يقتدى بهم أحد.

فإذا اختفت (الأم الواعية) واختفى (المعلم المخلص) وسقطت (القدوة والمرجعية) فمن يربي النشء على القيم، وهل تقوم آنئذٍ لأمة قائمة ؟

وخلاصة القول: إن اعادة بناء الثقافة الوطنية لا ترتبط بإديولوجية القائد او الرمز بالتأكيد . بل تعتمد في الأساس على الرابطة الوطنية الجامعة لأفراد المجتمع ...

إنها جهدي وجهدك.. وجهد كل واحد فينا . وكلما تجلت صدقية هذا الجهد تعاظمت عائديته.

(عضو مجلس الأمناء في التجمع الوطني الحر، برلمانية سابقة)

الوقت اللازم علمياً لتفكيك السلاح الكيميائي السوري

تعتبر سوريا واحدة من سبع دول في العالم لم توقع على أتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية ولكنها عضو في بروتوكول جنيف عام 1925م الذي يحظر استخدام الأسلحة الكيميائية في الحروب ولكن حتى اليوم لم تكشف سوريا عن مخزونها الكيميائي نوعاً وكماً ومكاناً. كانت حُجّة النظام السوري في تطويره للأسلحة الكيميائية هو التوازن الاستراتيجي مع السلاح النووي الاسرائيلي.

بدأ النظام السوري بشكل فعلي بتطوير تراسنته الكيميائية في بداية الثمانينات وذلك بعد الأحداث المروعة والشهيرة ضد الاسلاميين السُنَّة؛ بحجة محاربة الأخوان المسلمين بداية الثمانينات؛ وبعد قصف وتدمير مدينة حماه السورية.

لم يعترف النظام السوري بوجود الاسلحة الكيميائية لديه إلا في 2012/7/23م وذالك بتصريح عام وعلني للناطق باسم الخارجية السورية؛

وتشير الدراسات المستقلة إلى أن مخزون النظام السوري من الأسلحة الكيميائية حوالي عشرة آلاف طن والتقديرات الاستخباراتية القادمة من الداخل السوري ومن طرف حزب الله اللبناني حليف النظام السوري تقدر هذا المخزون بثلاثين ألف طن موزعة على حوالي 49 موقعاً في سوريا بشكلٍ شِبهِ مُتجانِس على الأرض السورية؛ وقريبة من المحافظات الكبرى ومن المواقع الاستراتيجية.

يصنع الخبراء السورين مدعومين من الخبراء الايرانيين والروس عناصر الاسلحة الكيميائية التالية: السارين والتابون و vx وأنواع غاز الخردل وتخزن موادها النهائية / ما قبل الاستخدام النهائي للسلاح الكيميائي / بطرق غير آمنة؛ لأنها تفتقر لمقوّمات المعرفة العلمية الأساسية في التخزين؛ وبالتالي فهي تُشكّل أكبر الأخطار على مستخدميها أو ناقليها أو مناطق جوارها.

- تفكيك السلاح الكيميائي السوري:

بعد التهديد الأمريكي بضرب سوريا بسبب استخدام النظام السوري للاسلحة الكيميائية في الغوطة الدمشقية؛ وقّعت الأمم المتحدة مع النظام السوري وتحت إشراف روسي/أمريكي اتفاقية لنزع السلاح الكيميائي السوري؛ وقد أعلن أن هذا العمل يحتاج إلى حوالي العامين؛ ويحتاج إلى حوالي مليار دولار أمريكي. وبالفعل بدأت اللجنة الخاصة بالعمل.. فهل هناك أسباب علمية تؤكد أن مثل هذه اللجنة قادرة فعلاً على إزالة السلاح الكيميائي السوري؛ وهل يحتاج إتلاف السلاح هذه المدة الزمنية؛ وهذا المبلغ من المال. وأخيراً.. هل تستطيع فرق التفتيش رغم الثناء الحسن منها ومن القيادات الغربية على تعاون النظام السوري معها؛ على تفكيك هذه الترسانة برمتها؛ ام هي مجرّد تلميع للمجتمع الدولي فقط؟!!.

سوف نحاول الإجابة على هذه التساؤلات بعد عرض تاريخي بسيط لتاريخ السلاح الكيميائي السوري ونشأته؛ ويمكن لاي مراقب او مواطن سوري عادي او حتى أميّ ان يلاحظ ما يلي:

1) - بأن النظام لم يبدأ بالعمل بالمشروع إلا بعد أحداث حماه الدموية التي قتل فيها نظام الأسد الأب أكثر من ستين ألف مسلم سني في حماه (وتدمير المدينة على أهلها) ناهيك عن الآلاف التي قتلت في بقية المحافظات السورية السنية أو تحت التعذيب في سجون الأسد الأب والإبن.

2) - عند إنطلاق الحركة الاحتجاجية في الثمانيات كاد نظام الأسد الأب أن ينهار لسببين: المعارضة الشديدة له من الاغلبية السنية والخيانات الكبيرة التي تعرّض لها من المقربين من عائلته؛ وأولها خيانة أخية الشقيق رفعت الأسد الذي نفي إلى فرنسا بعد سرقة الاقتصاد السوري برمته؛ و بعد محاولته الانقلابية على أخيه بعد ثبوت مرض حافظ الاسد بسرطان الدم.

3) - لم ينقذالأسد الأب من الثورة آنذاك ومن تورطه في دماء السورين إلا اتفاقية الدفاع المشترك مع الأتحاد السوفيتي السابق ومدتها عشرة سنوات؛ حيث أرسلت موسكو الخبراء العسكرين والأمنين لإدارة الأزمة السورية؛ وبدأت بمساعدة الاسد في مشروعه الكيميلئي.

4) - أول وأهمّ عملٍ قام به الأسد الأب بعد انتهاء أزمته مع الاغلبية؛ هو البدء بإنتاج السلاح الكيميائي بالتعاون مع الروس رغم عدم وجود أي تهديد اسرائيلي لسوريا منذ بداية حكم آل الاسد.

كيمياء الطاغية خيمياء الشعب

5) - بدأ العمل في هذا المشروع بشكل مكثف وبقيت أسراره لفترة كبيرة بيد الضباط المقربين من الأسد ومن طائفته حصراً؛ وتطور موضوع تصنيع السلاح الكيمياوي من صناعة مركبات الخردل والسارين وأ إلى غازات الأعصابVX وزمرتها؛ والتي تُصنّف بالأكثر فتكاً بين الاسلحة الكيميائية.

6) - بنظرة عامة على المواقع المكانية للسلاح الكيميائي السوري قبل بدأ الثورة السورية عام 2011 نلاحظ أنها موزعة بشكل متجانس حول المدن التي من الممكن أن تُسبّب خطراً على نظام الأسد في حال تحرّكها شعبيا أو عسكريا.

7) - منذ بدء المشروع الكيميائي لم تذكر لنا حكومة أو وسيلة إعلامية ولا حتى اي ضابط سوري تسريبات أو معلومات بأن نظام الأسد قام بتجربة واحدة في مجال تركيب السلاح الكيميائي على الصواريخ البالستية التي من الممكن أن تصل إلى العمق الاسرائيلي؛ ولكنه قام عشرات المرات بتجربة أسلحته الكيميائية وذلك برشها من الطائرات على الكثير من الحيوانات لإختبار فعاليتها وتفاعلها مع الوسط والرياح و... فهل تستطيع الطائرات السورية الوصول الى العمق الإسرائيلي ورش المواد الكيميائية هناك ؟!!!

8) - قامت إسرائيل بعشرات الإعتدائات على المنشآت السورية منذ بدء المشروع الكيميائي وحتى الآن ولم يتم قصف موقع واحد من مواقع العمل الكيميائية مع أن أماكنها باتت معروفة للسوريين.

9) لماذا بقيت أسرار المشروع الكيميائي السوري بيد طائفةٍ واحدةٍ فقط هي طائفة الاسد؛ ولا يطلع على اسرار هذا المشروع من الطوائف الاخرى الا عدد محدود جدا وفي الحالات الضرورية فقط كالخبرات التي تفقدها الطائفة.

من خلال ما تقدم يمكن الجزم ان هذا السلاح الكيميائي ـ ومنذ بداية العمل به وحتى اليوم ـ ليس موجها ضد اسرائيل أو غيرها ابداً وانما ضد الشعب السوري وخاصة الاكثرية السنية فيه.

- أجزاء المشروع الكيميائي السوري:

يتألف المشروع الكيميائي السوري من ثلاثة اجزاء اساسية. وفي حال فشل احدها يمكن للجزئين الاخريين اعادة بناء الجزء المنهار وهي كالتالي:

1) تركيب الجذور الكيميائية المشكِّلة للسلاح وتحضيرها صناعياً حتى الوصول الى المادتين الاخيرتين واللتين بخلطهما معاً نحصل على السلاح الكيميائي. وتم ذلك إما باخذ الخبرات والوصفات مباشرة من روسيا وكوريا الشمالية ثم من ايران. أو بإجراء أبحاث في مركز البحوث والدراسات العلمية ومعامل الدفاع.

2) حاملات السلاح الكيميائي ومنها الصواريخ والطائرات والقذائف... وكلها مستوردة من الدول الثلاثة (روسيا. كوريا الشمالية. ايران).

3) الاجهزة والمختبرات والعقول اللازمة لتركيب السلاح الكيميائي على حاملاته ومعايرة كمية السائل الكيميائي مع كمية المادة المتفجرة للحصول على افضل رذاذٍ فعال. لم تتمّ هذه الخطوة ابداً الا من خلال الرش من الطائرات وكأنّ السلاح الكيميائي مبيد حشري.

- تفكيك السلاح الكيميائي السوري:

لتفكيك السلاح الكيميائي لا بد من تفكيك البنود الثلاثة السابقة معاً. لان ترك واحد منها سوف يعيد انتاج السلاح الكيميائي بسرعة كبيرة جداً. وسوف نناقش كيفية تفكيك هذه العناصر واحداً تلو الاخر ولنحدد اكثرها اهمية والقدرات والوقت اللازمين لهذه العملية:

تتألف الاسلحة الكيميائية من مركبات عضوية شديدة الفعالية مرتبطة بمركبات لا عضوية مثل الفوسفور وغيره. وتصنيعها يصنف بانه من الخبرات السهلة والرخيصة للدول (ليست بكلفة ولا تعقيد اللسلحة النووية). من خلال العودة الى المراجع المتعلقة بتحضير هذه المركبات وصيغ هذه المواد الكيميائية نلاحظ ان اكثر من 90% من هذه المواد تتخرب بإضافة القلويات المركزة اليها حيث تتحول الى شكل من اشكال المبيدات الحشرية والفطرية. مثلاً لتفكيك العناصر الكيميائية الفوسفورية بشكل عام ومنها السارين وغيره يكفي تفاعلها مع ماءات البوتاسيوم المركزة لنخرجها خارج نطاق الاسلحة الكيميائية الفتاكة:

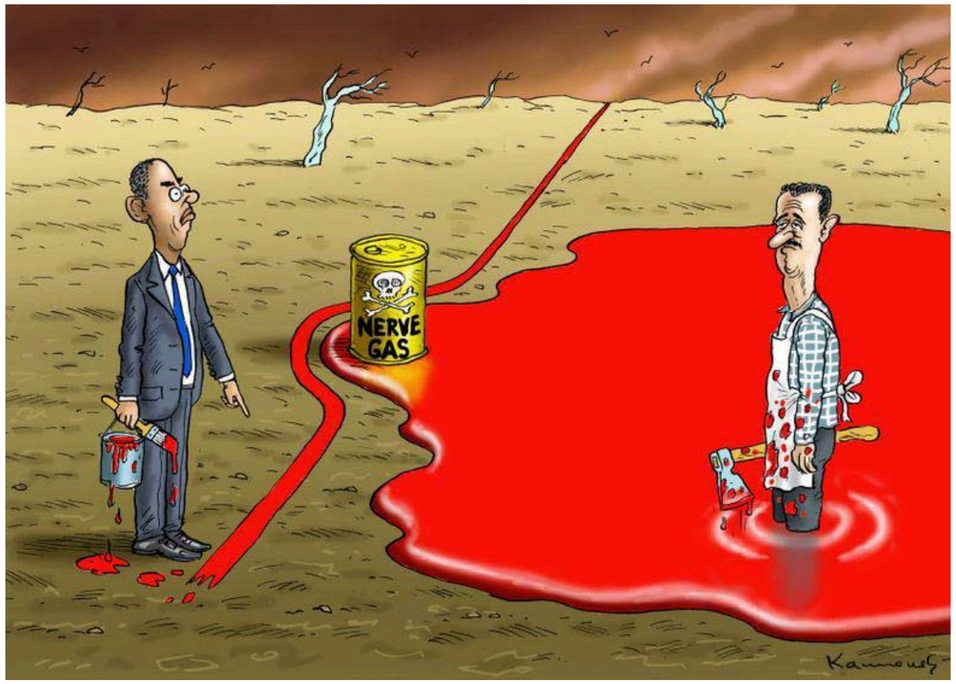

كيمياء الطاغية خيمياء الشعب

1) يجب تعطيل القدرة العسكرية المخولة بحمل هذه الاسلحة واهمها القدرة الجوية وما يتبعها (الطائرات والصواريخ القادرة على الحمل و...) لانها المعدات الاساسية التي تمكن النظام من نقل واستعمال وتمويه السلاح الكيميائي وغيره.

2) تحييد الخبرات البشرية المحلية والخارجية والتي يمكن ان تساعد في تحضير السلاح الكيميائي او تركيبه في حاملاته او... والحل الامثل لذلك هو نقلها خارج البلاد.

من وجهة النظر العلمية أهم عامل من عوامل تفكيك السلاح الكيميائي هو السيطرة على الخبرات وخاصة أن تصنيع المواد الداخلة في السلاح الكيميائي لا يحتاج لوقت وكلف مادية مرتفعة وسهل نسبياً فإذا توفرت الخبرات اللازمة يمكن اعادة بناء الترسانة الكيميائية بسهولة كبيرة وخاص أن الخبرات البشرية مدربة مسبقاً.

بشكل عام اقل وقت يحتاجه المفتشون (اذا كان عدد المفتشين حوالي 30 شخصاً) لتخريب السلاح الكيميائي السوري وإبطال مفعول هذا السلاح هو شهر واحد فقط: اذا وافق النظام على عمل المفتشين بحرية ويسر. ويحتاج تخريب حاملات السلاح الى حوالي ثلاثة اشهر. اما تحييد الخبرات فانه يحتاج لوقت كبير نسبيا لعدم توفر معلومات كافية عن الاشخاص ذوي الخبرة والذين ساعدوا أو يستطيعون مساعدة النظام على إنتاج هذه الاسلحة المدمرة. وهل هم ضد النظام وتصرفاته ام معه.

إن عدد الخبراء (المفتشين) ونوعية خلفياتهم العلمية لا تبشر بالخير لانها تفيد بأن مهمتهم تخريب المادة الكيميائية للسلاح الكيميائي فقط؛ وليس لهم علاقة بحاملات السلاح الكيميائي أو بالخبرات المصنعة.

ويمكن للقارئ مقارنة هذه اللجنة عدّةً وعدداً وخبرات ومهاماً باللجان التي قامت بالتفتيش عن اسلحة الدمار الشامل العراقية في عهد صدام حسين؛ ليلاحظ مدى تفاهة واستهزاء العالم بقضية الشعب السوري ومصابه. مع العلم ان ترسانة النظام السوري من السلاح الكيميائي تفوق ترسانة العراق في عهد صدام باكثر من مئتي ضعف.

من خلال ما سبق يمكننا ان نلاحظ أن عملية التفكيك برمتها فاشلة وهي بشكل عام إما لاخراج الولايات المتحدة من تحت عار الخطوط الحمر فقط أو تلميع إعلامي للعالم المتحضر أمام الشعوب بعد مشاركتهم أو سكوتهم عن حرب الإبادة التي يشهدها الشعب السوري. واخيراً .. أجزم بأنه بعد خروج هؤلاء المفتشين (ان صدقوا في تخريب مواد الاسلحة الكيميائية) بإسبوع واحد.. سيتمكّن النظام الأسدي من تصنيع عشرة طن من غاز السارين.. إذا اراد ذلك.

أستاذ العلاقات الدولية في جامعة باريس

البروفيسور خطار أبو دياب لـ تواصل:

استمرار الأسد.. خطر كبير على المنطقة

● يحاوره إبراهيم الجبين

البروفيسور خطار أبو دياب أستاذ العلاقات الدولية في جامعة باريس والخبير والباحث في الجيوبولوتيك، والذي تابع الملف السوري من بداية الأحداث، ومن لحظة خروج التظاهرات الصامتة في شوارع دمشق، ووقفات الشموع، حتى اعتقال أطفال درعا وتدفق المتظاهرين في الشوارع واختيار نظام بشار الأسد للرد باقصى درجة من العنف وإطلاق الرصاص الحي على الشعب السوري..

في هذا الحوار نقرأ في المشهد السوري مع الدكتور أبو دياب ونحاول نتبع التفاصيل الحرجة التي تمرّ بها القضية السورية وتقاطعات الأوضاع الإقليمية والعربية والدولية، وتموضع كل طرف في الخارطة وما ستؤول إليه الأمور..

• لنبدأ بقراءة الوضع داخل سوريا...النظام والمعارضة والشعب ...كيف يمكن أن تنظر إلى نظام بشار الأسد الآن، بعد أكثر من ثلاثين شهراً على انطلاق الاحتجاجات ضدّه؟

ـ دعنا ننظر إلى وضع النظام من خلال حديث رئيسه بشار الأسد بعد لقائه قبل أيام بوفد الأحزاب العربية الذي حضر إلى دمشق للالتحاق بمؤتمر عقد فيها. فقد جاء حديثه عن نفسه وعن الأوضاع عموماً في سوريا، بشكل يعكس تصوّره عن مسار الأمور وكيف أنه تمكن من امتصاص الصدمة في السنة الأولى، ثم تقدّم نحو الهجوم في السنة التالية، في حربه ضد ما يسميه بـ«الإرهاب» لسحق عصاباته المسلحة على الأرض السورية. وهذا الحديث يذكّر بما قاله أيام درعا وكيف أنه كان يواجه الإرهاب فيها، حين قام بتحويل درعا إلى نسخة مكرّرة عن حماة 1982، الأمر الذي وصل به إلى تحويل سوريا الشاسعة بمدنها إلى نماذج شبيهة، ولم يتمكن من السيطرة على الأمور، رغم كل ما مارسه من دموية، وهو يدرك تماماً أن لا شيء يمكن أن ينقذه سوى المحور الذي يدعمه منذ البداية، المحور الروسي الصيني الإيراني الممتد إلى العراق ولبنان.

الأهم أن النظام الآن وسابقاً كان نظام الشخص الواحد، ونظام المجموعة الواحدة الملتفة حوله، وهو نظام غير قابل للإصلاح، ويمكننا أن نلاحظ حالات فشل النظام في إدخال أية تغييرات أو تطويرات على أدائه سواءً في حالة نائب الرئيس فاروق الشرع أو في حالة قدري جميل أو عبدالعزيز الخيّر أو رجاء الناصر، ويمككننا أن نفهم أن هذا النظام لا يزال مصرّاً على إكمال المهمّة وفقاً لتكوينه كنظام شمولي، فشعار «الأسد أو نحرق البلد» .

هو احتواء واسع للبلاد عكس قدرته الأخلاقية والسياسية على منح الخصوم ما يريدونه من أجل التخلّص من الورطة التي يعيشها، والاستمرار في الحكم، كما في حالة السلاح الكيماوي، على حساب إضعاف سوريا وتدميرها، كما فعل حافظ الأسد من قبل بتسليم عبدالله أوجلان عندما بدا التهديد التركي حقيقياً، والآن نحن أمام ضرب الجيش السوري وتفتيته، وتوريط حزب الله في سوريا، كل هذه الهدايا والسلوكيات والاستجابة لرغابت خفية وأخرى معلنة ستقود إلى إنهاك سوريا وسحق مقدراتها.

كل الدوائر اليوم تدور لجعل سوريا ساحة لتصفية الحسابات الدولية، الملف النووي الإيراني، النزاعات الإقليمية القائمة وغيرها على حساب الشعب السوري وتطلعاته، وإن استمرارية النظام في الحكم ستجعل من إمكانية إعادة لملمة سوريا وتنميتها أمراً مستحيلاً، ولذلك فهوموجود الآن بهدف وحيد هو إتمام عملية تدمير المجتمع السوري ونسف إمكاناته، وهو ما قام به على مدار سنوات طويلة والآن يعبّر عنه بكل ما يستطيع، ولكن تبقى المسألة من وجهة نظري ليست في مساحة الكيلومترات التي يسيطر عليها النظام أو في تلك التي تحررها المعارضة، المسألة رغم وبعد كلّ شيء هي معركة نظام ضد شعب، هذا هو الأساس، حتى لو أصبحت في ظاهرها حرباً أهلية، أو برز خطر المنظمات المتشددة في الصورة.

النظام السوري أفضل أعداء إسرائيل.. لم يحاربها ولم يوقّع على اتفاق سلام وضمن الاستقرار للدولة العبرية

• يتردّد بين الوقت والآخر تعبير "إعادة تأهيل النظام" ...هل تعتقد أن هذا ممكناً..بعد كل ما حدث وهل يمكن سياسياً وعلمياً أن يعود نظام بشار الأسد للسيطرة من جديد وحكم سوريا كما كان يفعل؟!

ـ البعض لا يزال يراهن على أن هناك إمكانية لتجميل النظام أو تسييره من دون بعض عناصره الأساسية، ولكن ما يمنع هذا هو كما قلت أن النظام مرتبط بشخص الرئيس والدائرة من حوله، حتى أن الجيش والأجهزة الأمنية من الصعب إدارتها من قبل آخرين من خارج مجموعة بشار الأسد أو أخيه ماهر أو آل مخلوف وآل شاليش وشخصيات نافذة كاللواء محمد ناصيف، نحن أمام حالة خاصة، ولذلك فإن إعادة التأهيل هي ضمن معادلة ضغط تقول إما الخراب أو الإرهاب أو بشار الأسد.

ولكن يمكننا أن نرى جدّية الأمريكيين في الإسراع بالتخلص من السلاح الكيماوي، حتى لا يحاول الأسد استعمالها حين تنتهي مدته الرئاسية في منتصف العام 2014، كل هذا يجعل من وهم إعادة تأهيل النظام بعد شلال الدم أمراً صعب الحدوث، إن كل ما يحلم به النظام اليوم هو تدمير ما تبقى من سوريا، كما دمّر حلب وحمص، وقد يدمّر دمشق أيضاً، لأنه سيحاول البقاء فيها حتى اللحظة الأخيرة، قبل أن ينحسب إلى الساحل، ولذلك فمن هنا تكون فكرة إعادة التأهيل خطرة جداً، إن لم يستوعب العالم والمجتمع الدولي أنه مع وجود هذا النظام ستكون إمكانية وجود سوريا من جديد أمراً مشكوكاً به، من هنا تأتي أهمية جنيف 2.

• سنتحدث عن جنيف2 لاحقاً.. في حديثنا عن المعارضة السورية، ولكن دعنا نتابع الحديث عن وضع النظام في ظل التغيير الذي حصل على الواقع السوري عموماً.

ـ ربما يقول البعض سيأتي ظرف مناسب ما، عندما يخرج الناشطون من السجون، ويعود النازحون، البيئة الحاضنة للثورة السورية هي بيئة معتدلة ولا تسمح للمجموعات المتطرفة

بالعيش، وحتى تلك المجموعات التي تساند النظام سيجدون أنفسهم في لحظة فارقة، ربما يمكن أن يتم تقبل بقاء النظام لمرحلة انتقالية محدودة، وحينها قد يتم تطبيق الخيار اليمني، وتأسيس حكومة انتقالية بالمشاركة مع المعارضة . عند ذلك من الممكن إخراج تسوية، بينما سيكون على النظام أن يتصرّف وفقاً لطبيعته (كل شيء أو لاشيء)!

• ماذا عن المعارضة السورية اليوم المسلحة والسياسية؟!

ـ في سوريا المسائل كلها مختلفة اليوم، فلا الثورة تقليدية، ولا العمل المسلّح تقليدياً، ولا المعارضة تقليدية، وعلينا أن نقول أننا أمام حالة استثنائية تماماً في كل شيء، نحن أمام حراك مسلّح لا قيادة له، وحراك سياسي لا قيادة له، وربما كان هذا الأمر مفيداً في البداية فمنع النظام من بتر قيادة الثورة، أما اليوم فنحن نشهد تشتتاً وانفصاماً في كل مفاصل المعارضة، ولكن عدم وجود قيادة لكل تلك التشكيلات هو من حسن حظ الشعب السوري، فلا يسهل بيع دماء السوريين والمساومة على حقوقهم، ولا يمكننا اليوم لوم المعارضة السورية كثيراً، فقد سعت منذ البداية في محاولة لتشكيل جبهة وطنية معارضة حقيقية مقابلة للجبهة الوطنية التي في دمشق، لإعلاء شأن المواطنة والحريات، ولكن حين تنظر إلى المال السياسي والوصايات الخارجية، ستفهم سبب هذا العقم وعدم القدرة على إنتاج قرار وطني شبه مستقل، نحن أمام دوّامة، وكل القوى لم تكفّ عن التدخّل في قرار المعارضة، وفي الوقت الذي ترى فيه حلفاً حديدياً خلف بشار الأسد ونظامه، فإنك لا ترى الأمر ذاته من

علاقة فانتازية بين موسكو وتل أبيب.. فالاولى تبيع للنظام السوري منظومات صواريخ والثانية تدمرها.

خلف المعارضة السورية، فحتى القوى الإقليمية ما تزال مترددة في دعم الثورة المدنية السورية مما فتح الباب واسعاً أمام القوى المتشدّدة دينياً، فنحن أمام عقدة لا يمكن تجاوزها، وهنا سأحدّثك عن جنيف2، الذي برأيي لن يكون كافياً وحده، ولكنه سيعطي الأهلية من جديد للحقل السياسي وخوض المعركة سياسياً، ويتوجّب إعطاء بعض الأمل لبعض الناس، كفتح ممرات آمنة وإطلاق سراح المعتقلين، وهذه البيئة ستترافق برأيي مع إنتاج قيادة سياسية جديدة للمعارضة، وأعتقد أن تشكيل الحكومة السورية المؤقتة اليوم هو خطوة ممتازة في هذا الصدد، فقد قدّمت كوادر نظيفة جيدة مما سيتيح صيغ ليس فقط على المستوى الخدمي بل وصولاً إلى الأداء السياسي العام، ولا تنس أنه من غير المسموح للنظام حسم المعركة، كما هو غير مسموح للمعارضة بأن تحسم بدورها.

• هل صحيح أنه من غير المسموح للنظام حسم المعركة... ألم يستعمل كل قواه بما فيها السلاح الكيماوي ولم يحرّك العالم ساكناً؟

ـ القوى التي تقف بمواجهة بعضها البعض في العالم، تحاول طيلة الوقت منع حصول هذا الأمر، وكما رأينا فإنه بعد معركة القصيرحاول النظام التوجّه إلى حلب، ولكنه فشل، وكما قلت فإن المسألة في سوريا ليست بالكيلومترات التي يسيطر عليها هذا الطرف أو ذاك، لا يجب أن ننسى أيضاً وصول إمدادات من الرقة إلى غوطة دمشق، بالنسبة للعرب الأمر شديد الخطورة، فبعد سقوط بغداد، سيكون سقوط دمشق نهاية حقيقية للعرب.

• كما ترى هناك محور عربي يمتد من أبو ظبي إلى الرياض فالقاهرة بمواجهة المحور الإيراني من طهران إلى بغداد فدمشق وبيروت، بالمقابل هناك محور الدوحة أنقرة... هناك أيضاً إسرائيل ... كل هذا يحدث في ظل غياب مشروع عربي حقيقي يقف أمام الاستحقاقات ..ماذا عن المحاور الأقليمية التي تتصارع في الوقت الحرج ؟

ـ مع الأسف..طرح المحافظون الجدد أيام الرئيس بوش الابن مشروع «الشرق الأوسط الجديد الديمقراطي»ولكن الأمريكيين اكتشفوا

جنيف 2 ليس كافياً وحده.. الا بانتاج قيادة سياسية جديدة للمعارضة.

أن الديمقراطية ليست مناسبة لمصالحهم، كما حدث في غزّة حين انتصر الإسلاميون في الانتخابات، كذلك كان الهلال الإيراني أو «الشرق الأوسط الإيراني» يتقدّم في المنطقة، وبالأخص بعد الهدية الأمريكية لطهران والتي تمثلت بإسقاط نظامي صدام وطالبان في العراق وأفغانستان، مما أعطى إيران الفرصة الكافية للتمدّد نحو البحر المتوسط، صحيح أنه لا يوجد مشروع عربي، وكنا نأمل أن يظهر هذا المشروع مع الربيع العربي، لولا أنه كان تم سحق طموحات وآمال الشباب العربي من قبل الأنماط الكلاسيكية، نرى أيضاً المحور التركي القطري ومحور أبو ظبي الرياض القاهرة، ويمكننا التوقف عن تشكيل الجبهة الإسلامية في سوريا التي تعكس بداية لتجاوز الخلافات القائمة بين محورين على الأقل، وفي الوقت ذاته نجد أن السيد أحمد داود أوغلو طار فجأة إلى طهران.

الخطر كبير من عدم بروز مشروع عربي حقيقي، والخطر هذه المرة لا يهدّد قليلاً من الدول في المنطقة وحسب، بل إنه سيكون خطراً على الخليج العربي كلّه، وهناك أيضاً مسألة إنقاذ سوريا، التي لا يجب التساهل فيها، وإيجاد بدائل، خصوصاً أنه ليست كل الوسائل هي مسلحة بالضرورة، وطبعاً نرى أيضاً مشروع القاعدة، الذي هو مشروع حقيقي وموجود، في غياب المشروع العربي، ولو تطور هذا المشروع سينسى الجميع قصة الصومال وافغانستان، فالأمور هنا تحدث بطريقة مختلفة ومتفجّرة أكثر.

ولكن يتوجب القول إن هذا كله ليس للشعب السوري فيه ذنب، فقد ترك وحيداً يواجه الموت والخراب والتدمير والاعتقال والمجازر، وقد رأينا بأنفسنا ما لا يصدّق من أشكال المعاناة، وأنا شخصياً رأيت بنفسي أهوال ما عانه الشعب السوري في مخيمات النازحين في بلغاريا، على العالم احترام إنسانية الإنسان السوري، وهناك مسؤولية دولية وأخلاقية عربية وإسلامية بعدم استمرار ما يحدث في النطاق العربي والإسلامي، نحن أمام حَدٍ كبير، وكأن نهاية العالم العربي أو العالم الإسلامي تحصل اليوم في سوريا، وعلى من ينتظر عودة المهدي المنتظر أن يتذكر أن الدين تسامح ومحبة ولا يدعو إلى تحويل الأرض إلى صحراء خالية من البشر، وإن من أساس الدين الدعوة إلى التفكير في الإنسان أولاً.

• ماذا عن إسرائيل؟

ـ كل يوم نسمع ونقرأ تصريحات وتلميحات متناقضة تصدر عن الإسرائيليين، فالبعض ينتقد معالجة بعض الجرحى السوريين في

بالنسبة لبوتين.. حمص وحلب وديرالزور لا تختلفان عن غروزني في الشيشان.

إسرائيل بعد إصابتهم على الحدود، ومن المحزن أن كثيراً من الدول العربية والإسلامية لم تعرض معالجة هؤلاء في مشافيها، لماذا لا يستقبلون الجرحى والمصابين السوريين؟! إسرائيل حاربت الشعب السوري وهو من أعدائها الشرسين، وبالنهاية فإن سوريا وقبل كل شيء هي «قلب العروبة» صحيح أن هناك مصر والرياض وعواصم أخرى ولكن المشرق كلّه يستند إلى دمشق التي مثلت تاريخياً ثقلاً خاصاً، والآن تم إنهاك وتدمير الجيش السوري، وهذا في مصلحة إسرائيل في النهاية.

• في إسرائيل ما زالوا يطرحون السؤال التالي..هل من مصلحة إسرائيل ذهاب الأسد؟

ـ هناك حيرة استراتيجية اسرائيلية في الحقيقة. البعض قال حين سقط حسني مبارك، لقد خسرت إسرائيل كنزاً بزوال حكم مبارك، ولكن مبارك كالسادات قاما بتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل، واسترجعا الأرض المصرية وحافظا على علاقات تخدم مصالح الطرفين، وكان النظام السوري هو أفضل أعداء إسرائيل، فهو لم يحارب ولم يوقّع، ولذلك فإن المكسب الاستراتجيي اليوم لإسرائيل هو أن قرار النظام السوري لم يعد في دمشق، بل في طهران، وهم يعتبرون أن الخسائر على الأرض السورية هي خسائر إيرانية، وحالة النظام السوري اليوم تشبه حالة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، قياساً على الارتباط بألمانيا النازية، ولذلك فقد بدأت ترتفع أصوات في إسرائيل تحذر من حدوث انتصار إيراني على الحدود الإسرائيلية.

والحقيقة أن موسكو تعاونت مع واشنطن لتحقيق المطلب الإسرائيلي بحذافيره، ويمكن أن يتبرع بوتين في مرحلة لاحقة لإكمال ما تم إنجازه لنزع ما تبقى من قدرات النظام السوري عسكريا، بتدمير القدرات الصاروخية السورية، من أجل ذلك أقول إن روسيا لا تتناقض مع إسرائيل في سوريا، وأكبر مثال على تلك العلاقة الفانتازية بين موسكو وتل أبيب هي أن روسيا تبيع للنظام السوري منظومات صواريخ لتقوم إسرائيل بتدميرها على الفور.

يقول المراقبون إن بوتين قد أضحى أعظم حاكم خدم مصالح إسرائيل في المرحلة التي نعيشها، صحيح أن الولايات المتحدة ومنذ آب 2011، وعلى لسان الرئيس أوباما قد طالبت بتنحي الأسد ولكنها لم تدلّنا على آليات ذلك التنحي، وقد وصل الأمر

سقوط دمشق بعد بغداد..
نهاية حقيقية للعرب

إسرائيل ترى خسائر الاسد على أنها خسائر إيرانية وترغب بإطالة الصراع.

بأوباما إلى الاستخفاف بمقتل عشرات الآلاف من السوريين حين قال إن مثلهم سقطوا ويسقطون في الكونغو، أما بالنسبة لبوتين فحمص وحلب وديرالزور لا تختلفان عن غروزني في الشيشان، ولكننا يجب أن نلاحظ التوازي في المواعيد ما بين الاتفاق النووي مع إيران والذي كانت مدته ستة أشهر، وهي ما تبقى من عمر ولاية رئيس النظم السوري وتصادف منتصف العام 2014 الذي لا أريد المبالغة في القول بأنه سيكون مصيرياً وحاسماً بالنسبة لشعوب المنطقة.

• دعنا نطرح السؤال بالطريقة التالي...ما هو الشيطان البديل الذي يريده العالم..ما دام يقول إنه يفضل التعامل مع الشيطان الذي يعرف ..”نظام الأسد في سوريا”؟!

بالفعل أصبحت اليوم الكلمة لبوتين وحده، فهو الوحيد القادر على تقديم بديل عن بشار الأسد، إذا أراد المحافظة على مصالحه في المنطقة، ولعل سحبه لأشخاص مثل قدري جميل مع بعض القيادات العلوية سيكون بديلاً، ولكن بقناعتي أنه ليس لدى الروس أي تصوّر لقبول شخصيات من هذا النوع حالياً، حتى أنهم لا يفكرون بالبديل..هم يتابعون المهمّة فقط.

• ماذا عن إيران؟!

هناك ما تسرّب من لقاء الرئيس روحاني بوزير الخارجية الإماراتي وقيل إن الإيرانيين وعدوا بسحب حزب الله من سوريا خلال فترة ثلاثة أشهر، ولكن حين تسمع عبارة « سوريا هي المحافظة الإيرانية الـ35» فلا يجب أن تستغرب، هذا صحيح، لقد تم دمج الملفات السورية الإيرانية بطريقة يصعب فكّها عن بعضها البعض بسهولة، إننا أمام مرحلة طويلة من النزاع والتفكك.

من المستحيل إعادة تأهيل نظام بشار الأسد.

• حين تقول تفكك ..هل تتوقع تغييراً في خرائط المنطقة... انهيار دول..زوال دول ..ظهور دول أخرى ؟

ـ رأينا الكثير من الخرائط في النيويورك تايمز، ورأينا خرائط كثيرة بعد حرب الخليج الثانية، وبعد غزو العراق، ولكن فيما كان الكل يتكلم وينتقد حدود سايكس بيكو التي مزقت الجسد العربي، إلا أن تلك الحدود صامدة حتى الآن، انظر إلى لبنان الذي لم يتفكك، رغم وجود كل الشروط التي يمكن أن تقوده إلى هذا، انظر إلى العراق، صمدت تلك الدول ولم تختفِ، لذلك فإن التفكيك لن يكون حرفياً، واتخاذ قرارات في عالم الاندماج والعولمة سيكون مختلفاً، ولو كنت في موضع اتخاذ قرار في واشنطن أو موسكو لكان من الأسهل لي التعامل مع عشر دول على أن أتعاطى مع ثلاثين دول بعد أن تتفكك الأولى، هناك الإسرائيليون الذين يعتقدون أن قيام دولة كردية سيساعد على تفتيت أو تمزيق أربع دول في المنطقة إيران والعراق وتركيا وسوريا، لكن هذا لعب بالنار، لأن باب التقسيم إذا فتح فإنه لن يتوقف، ولن تمتد نيرانه فقط إلى لبنان والأردن والخليج العربي واليمن ومصر بل سيتجاوز ذلك وصولاً إلى إيران والباكستان والهند، وربما يأتي وضع تظهر فيه دعوات توحيدية تعيدنا إلى عصور مختلفة فنسمع عن امبراطوريات جديدة جاهزة للولادة، ولا أحد يعرف هل ستكون تلك الإمبراطورية إيرانية أم تركية أم عربية، أعتقد أن الكيانات ما تزال عصية على التفكك، وإمكانات التجمّع يمكن أن تحصل، بالأخص حين تسمع عن تجميع سنّة العراق مع سنة سوريا في مشروع دولة الشام والعراق، وكأن البعض يريد القول إلى هذا سيكون بمواجهة تجمّع آخر يتيح لإيران شواطيء المتوسط، هذا السيناريو كما قلت لعب بالنار ...وكل شيء يتوقف على مصير المعركة التي تدور في سوريا الآن.

أطفال سوريا

STOP!
KiLLiNG
US

Ferrari
Ferrari

أطفال سوريا

SCUD
KILED
MAXIMUM RANGE
700KM

HELP
THE SYRIAN
PEOPLE

داعش.. نقمة (التحرير) في الرقة.

● فرحان مطر

لـم يتنبـه الرقاويون للخطر القـادم إليهم مع داعـش ومثيلاتها في الأيام الأولى لا (تحرير) لأسـباب عدة، منها: انشـغالهم وفرحتهم بـ (التحرير)، ولترحيبهـم وفرحتهـم بـكل من وقـف ضد النظـام ورفع في وجهه السـلاح، وللبساطة التي تعاملوا بها مع التسميات الإسلامية التي كان العديد منها عفوي الطابـع فـي أيامه الأولى، ولم يحمله الناس على محمل الجد، بالمعنى السياسـي الكبير، خاصة أن بعض أبناء الرقة من المنشـقين والثوار المدنيين أنشؤوا كتائباً تحمل تسـميات إسلامية، وهم لم يكونوا من قبل معروفين بتوجهات إسلامية سياسية متشددة.

إضافة إلى أن الحديث عن القاعدة وجبهة النصرة لدى الرقاويين لم يكن يتم التعامل معه - أيضاً - بجدية كما يجب بل يؤخذ على أنه من قبيل الدعايات المضادة للثورة التي دأب النظام على إلحاقها بالثورة، وبكل من رفع صوته معارضاً له منطلقين في هذه النظرة من قناعة مفادها أن الرقة لا تحتمل وجود فكر متطرف ومتشدد باسم الإسلام، لأنها بيئة معتدلة منفتحة أصلاً ومختلطة (كمدينة حديثة العهد إدارياً) وفيها أعداد كبيرة من السوريين من مختلف المناطق والطوائف، ولم يشهد تاريخها أية حالات صراع على خلفية طائفية أو مذهبية أو إثنية، وكل من عرف الرقة من غير أهلها يعرف أنهم في تعاملهم مع (الآخرين) من أبناء المحافظات السورية الأخرى يحرصون - دائماً - على اعتبارهم ضيوفاً يجب إكرامهم بغض النظر عن المدة التي يقيمون ويعيشون فيها بينهم.

هذه الأرضية الأولى للرقاويين جعلتهم يضحكون عندما بدأوا يسمعون إلى التعليمات الجديدة لهؤلاء القادمين الجدد المدججون بكل أنواع الأسلحة والملثمون المتشحون بالسواد (ثيابهم أفغانية وأقنعتهم وعلمهم بلون أسود) التي تطالبهم بالعودة إلى الإسلام وكأنهم من بني قريش قبل الدعوة الإسلامية؟! ثم ازدادت السخرية حين بدأ هؤلاء الطارئون يحاولون عملياً التدخل في الشارع بفرض آرائهم الغريبة عن المجتمع الرقاوي المنفتح من خلال طلب لبس المحتشم من الثياب، وكأن العباءة الفراتية بنظرهم لباس باريسي فاضح؟!وتم التعبير عن هذه السخرية بالنكتة الرقاوية التي ظلت حبيسة الدوائر الضيقة من الأصدقاء حين استشعروا الخطر الحقيقي من هؤلاء الرعاع، بعد أن قاموا بعدة عمليات تصفية وإعدامات في ساحة الساعة المعروفة في مدخل الرقة، بحجة أنهم عملاء للنظام، وعلويون!!

أمر آخر تمثّل في تهاونهم مع هذا الخطر الجديد، وهو انشغالهم بتدبير أمور المدينة الـ (محررة) وكانت محاولات تشكيل المجالس المحلية الأولى التي باءت بالفشل لأسباب أهمها أصابع هؤلاء (الملتبسين)، وقلة الخبرة لدى الراغبين والصادقين وكان عليهم أن يبدأوا من الصفر في ظل انعدام الموارد التي وجدوا أنفسهم أمامها وانشغال المسلحين بعمليات السرقة لكل ما وصلت إليه أيديهم من مقدرات الدولة السورية، كما لا يمكن إغفال دور (فلول النظام وعملائه)، الذين لعبوا باقتدار دور الطابور الخامس في نشر الإشاعات وأبرزها الحديث يومياً عن قدوم أرتال النظام لاستعادة المحافظة.

كل ما تقدم يشير إلى الظروف الأولى التي استقبل فيها الرقاويون وجود جسم غريب على محافظتهم وبيئتهم الاجتماعية، ويؤكد على أنهم قد خدعوا بالفعل وكان يجب عليهم التنبه لهذا الخطر والتعامل معه بجدية أكبر وعدم السماح له بهذا الانتشار السرطاني الذي أصبح بموجبه القوة الوحيدة الآن على الأرض، وهو يتابع تنفيذ مخططه الذي بدأ يتضح مع الأيام الأولى من خلال معاداته للثوار الحقيقيين من أبناء الرقة، أولئك الذين شاركوا منذ الأيام الأولى في الثورة ضد النظام الأسدي من ناشطين سياسيين وإعلاميين ومنهم من قدم التضحيات الكبيرة، إضافة إلى معاداتهم لأي شكل من أشكال الحياة المدنية في المحافظة بحجة العلمانية التي أصبحت بنظرهم تهمة في حد ذاتها، وكأنها مرادف للكفر، وأحياناً تستعمل كتهمة للعمالة مع النظام السابق.

هذه الحالة المستحدثة التي وجد الرقاويون أنفسهم وجها لوجه معها وحيدين دون سند من معارضة حقيقية تستطيع المساعدة في فعل شيء وأخذ زمام المبادرة على الأرض وتغيير موازين القوى، وفي ظل الاختلال الكبير بين من يملك السلاح والمال الوفيرين، وبين المدنيين العزل المحاصرين بالجوع، وبقصف قوات النظام لهم بالصواريخ والطيران بشكل شبه يومي، أصبحت (داعش) هي القوة الوحيدة المتحكمة في الأرض بعد أن اتبعت سياسة طلب المبايعة من أية كتيبة مقاتلة للجيش الحر، ومن لم يقبل هذا المبايعة يحارب ويطرد أو يقتل.

هنا أصبحت الرقة تخضع بحكم القوة والواقع لهذه الفئة الغريبة الملتبسة التي لا تخدم في سلوكها وتصرفاتها سوى النظام السوري من خلال استهداف الثوار والنشطاء والامتناع عن محاربة النظام، إلى الدرجة التي بات الكل فيها على قناعة راسخة بأن هذه العصابة هي من فعل النظام وحده، حتى لو لم يمتلكوا الدليل على ذلك، وآخر المستجدات الميدانية في الرقة بفضل سيطرة داعش هي نزوح الناشطين من الرقة إلى تركيا، وعودة الشبيحة الذين كانوا - منذ سقوط النظام في الرقة - قد هربوا إلى أسيادهم في اللاذقية وطرطوس ودمشق.

وأخيراً: ها هم الآن أبناء الرقة يتساءلون بحسرة كيف انقلبت فرحة الـ (تحرير) إلى (نقمة) حقيقية عليهم وعلى حياتهم، حين لم يحمهم هؤلاء من طيران وصواريخ الأسد، بل قاموا باختطاف وقتل خيرة أبنائهم، وبعضهم سلّم للنظام وظهر على شاشاته؟!..

عناصر دولة العراق والشام..
ظهور علني.. ورفض شعبي

● جورج.ك.ميالة

رفض شعبي لهم يسود المجتمع الحلبي:

المكان.. جامع أبو بكر الصديق.. وسط مدينة الباب..

الزمان.. قبل أذان صلاة الجمعة بتاريخ 2013-10-18..

الشيخ زاهر شرقاط خطيب المسجد ورئيس المجلس المدني في مدينة الباب سابقا يدخل باب الجامع ويشاهد أبو عبد الرحمن المصري وهو أحد الأمراء الشرعيين لدولة العراق والشام جالسا على المنبر:

يقترب..يقول.. كيف تصعدون على المنبر دون أن تخبروني؟... بعدها يقوم أحد عناصر دولة العراق والشام ويقول له: نحن بحثنا عنك من أجل أن نطلب منك الاذن بصعود المنبر ولم نجدك, يرد الشيخ اذا اردتم الخطبة فأتوني قبل يوم او يومين وأخبروني فإما أن أسمح لكم وإما لا أسمح:

ثم يلتفت الشيخ زاهر للمصلين, ليقول: يا أهل الباب أنا سأخطب خارج الجامع من أحب فل يتبعني....

يخرج معظم المصلين وراء الشيخ زاهر.. يخطب بهم, ثم يأمهم بصلاة الجمعة في الشارع المقابل لباب الجامع «.

ما سبق شهادة ياسين الطالب الجامعي أحد الحاضرين لصلاة الجمعة في مدينة الباب في ريف حلب.

في رمضان الماضي قام عناصر من دولة العراق والشام الإسلامية بمحاولة منع صلاة التراويح في جامع الصبحان بحي الكلاسة الحي الشعبي العريق في حلب لأجل أدعية تم قراءتها بين الركعات قالوا أنها بدعة مما أثار امتعاض وحفيظة الأهالي, حيث هاجم المسجد خمسة عشر عنصراً من عناصر دولة العراق والشام ودار سجال بين المصلين والعناصر, وقد تعهد المصلون بطردهم إن حاولوا التدخل مرة أخرى.

رفض الكثير من الكتائب المقاتلة لدولة العراق والشام:

ظهر مؤخراً في مدينة حلب حالة خوف وكراهية شعبية للظهور العلني لهم في عدة أحياء, بعد انتشار وسيطرة التنظيم على عدة أحياء كمساكن هنانو والشعار والحيدرية والانذارات والسكري وغيرها, وخصوصاً في أوساط شيوخ المساجد والمقربين من الجيش الحر حيث أعرب عبد الله أحد العاملين في الشرطة العسكرية الثورية عن سخطه الشديد منهم وقال لمجلة تواصل:

«دعواتهم غريبة عن مجتمعنا ,يحاولون التحكم بطريقة عيش الناس, عندما يسقط النظام لابد من المواجهة العسكرية معهم, علينا طردهم من بلدنا «

كما أن هناك أوساط أخرى مقربة من فصائل الجيش الحر العاملة في حلب أعربت عن عدم رضاهم عن سياستهم ,حيث قال لنا أحد المقربين من فصيل سرايا المغيرات أن :

«عناصر دولة العراق والشام لا يقاتلون إلا الجيش الحر, وأغلبهم متفرغون للعمل الدعوي, وهناك خشية سيطرتهم على كامل مدينة حلب, زادت تصرفاتهم عن الحد فاضطررنا للاشتباك معهم على حدود حي بستان الباشا, والأيام القادمة ستحمل مواجهات عنيفة معهم, كل تصرفاتهم تخدم سياسة النظام».

سوريا فوق داعش

يروي لنا أحد الضباط المنشقين وهو برتبة ملازم أول رفض الافصاح عن اسمه :

« هرب ألف وثمانمائة عنصر من سجن أبو غريب معظمهم من تنظيم القاعدة وتابعين لأبو بكر البغدادي زعيم تنظيم دولة العراق والشام؛ سجن أبو غريب ثاني أكبر سجن بعد سجن غوانتنامو من حيث التشديدات الأمنية في العالم, كيف هرب هؤلاء ؟؟ والسجن بحماية أمريكية؟؟؟!!!.. كيف يصل هؤلاء المجاهدون عبر تركيا؛ وجميعنا يعرف أن تحركاتهم مراقبة من معظم اجهزة المخابرات في العالم. كل هذه الوقائع والمؤشرات تؤكد على أن معظم المجتمع الدولي مجتمع على تحطيم الدولة السورية وتحويلها إلى أفغانستان القرن الواحد والعشرين»

هروب الشباب المدني من مدينة حلب:

تسود حالة خوف شديد بين نشطاء العمل المدني من تصاعد نفوذهم ومن تحول وضع المدينة إلى شكل مشابه لوضع الرقة.

يروي لنا نور الشاب الذي يعمل مصورا منذ بداية الثورة: « لدينا حالة ذعر شديدة من هذا التنظيم فهو يعتقل كل من يعمل في مجال الاعلام, سياسته تشبه سياسة النظام بمنع الاعلام, فعندما نفذنا اعتصاماً أمام مقرهم في حي الشعار منذ عدة أيام خرج عنصر ملثم منهم؛ يحمل كاميرا وأخذ يصور وجوه المعتصمين, لم يذكرني هذا الفعل الا بتصرفات النظام أيام مظاهرات جامعة حلب, ولا أعرف سبب حربهم ضدنا, فأنا ميولي اسلامية رغم ذلك لدي حالة خوف شديدة منهم».

أما المعلمة دمة التي تعمل مدرسة في حي الفردوس :» أنا علمانية الهوى, ولكن صرت أخاف كسر أفكاري, فالعلمانيون كافرون بنظر دولة العراق والشام ويجب أن يقام عليهم الحد, صرنا نقوم بنشاطاتنا المدنية خفية عن الكثيرين, نخاف أن نقوم بحملة غرافتي بسيطة خوفاً منهم, حتى الشباب باتوا يقومون بحملات البخ على الجدران خفية وفي الليل وهم ملثمين, وكأن أيام النظام قد عادت, ينتابني إحساس كبير أن الثورة قد سرقها النظام عن طريق تنظيم دولة العراق والشام, فما أشبه اليوم بالبارحة».

التيارات الإسلامية المتطرفة في سورية

من أين... و إلى أين ..؟!!

• عماد مفرج مصطفى

اتسمت علاقة المعارضة السورية مع التيارات الإسلامية المتطرفة، منذ بداية تسليح الثورة، بنوع من الإلتباس والغموض، مع محاولة كل طرف إحتواء الآخر والإستفادة منه، رغم التباين الأيديولوجي، وتضارب المصالح والشعارات. لكن شراسة الصراع وتفاوت مستوياته، مع إستمرارية المواجهات المسلحة بين النظام والمعارضة، مكنت القوى الإسلامية المتطرفة، وعلى رأسها تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام «داعش»، من فرض إيقاعها على عبثية الصراع، والإستيلاء على بعض المناطق الخاضعة لسيطرة «الجيش الحر»، مفسحة المجال أمام تسلّح كل التناقضات الظاهرة والمبطنة في المجتمع السوري، كنقطة تقاطع مشتركة مع تطرف النظام، في إزاحة الصراع على السلطة، من خانتها السياسية إلى المجتمعية، وتفخيخ الهوية السورية بالحدود الدموية القاتلة.

تهربت المعارضة من الخوض في أسباب ظهور «داعش» وأخواتها، وتمدد تطرفها على جغرافية الأرض والمشاعر السورية، ربما مخافة أن تعترضهم عوامل تتعلق بالفقر والعوز والتشرد في المناطق «المحررة»، ويكون لهم يد في الأمر. ربما هو سؤال مشروع ومريب، حول أسباب ظهور التيارات الاصولية في سورية، وإمكانية تحول «الثورة السورية» إلى «ثورة إسلامية»، وتأثير ذلك على مستوى التعاطف والدعم الدولي، إلى جانب الإستفسار عن صيغ الحل، وإعادة الثورة إلى أجندتها السورية. جملة من الأسئلة والهواجس، حاولت مجلة «تواصل» أن تطرحها على بعض الباحثين في الشان السوري.

أسباب ظهور التنظيمات الإسلامية المتطرفة في سورية..؟

يرى «توماس بييريه» الأستاذ الجامعي والباحث البلجيكي، أن ظهور هذه التنظيمات أمر طبيعي في الساحة السورية، نظرا لوجودها السابق قبل إنطلاقة الثورة، لافتا إلى أن ما يجب البحث عنه وتفسيره، هو كيفية تحقيق هذه التنظيمات السيطرة شبه المطلقة على الثورة، ومن قبل أكثر الفصائل تشددا وتطرفا.

ويلخص «بييريه» المختص في شؤون الإسلام السياسي في سورية، أسباب تصدر هذه الجماعات للمشهد السوري، بقوة تنظيمها ودعمها وتمويلها المستمر، من قبل شبكات خاصة غير حكومية، والممارسات الخاطئة لبعض الكتائب المسلحة التي قامت بأعمال السلب والنهب، ما حدا بسكان بعض المناطق إلى طلب العون والدعم من الكتائب الاسلامية

المتطرفة، نظرا للاخلاقيات والحدود التي تتقيد بها هذه الكتائب، إضافة إلى مساهمة الغرب في تقوية نفوذ هذه التنظيمات عبر ترك الشعب السوري يواجه مصيره مع آلة القتل، وإنكشاف حقيقة دعمه المقتصر على الكلام.

بدوره اعتبر الباحث الفرنسي «فلاديمير غلاسمان»، أن النظام السوري لديه تاريخ طويل وخفي، في تحريك وتجنيد الحركات الإسلامية المتطرفة في منطقة الشرق الأوسط، وفقا لمصالحه، وقد أقدم على الإفراج عن كل الشخصيات الأصولية والمتطرفة من سجونه، الذين باتوا يشغلون الأن المراكز القيادية الاولى في الكتائب الإسلامية المتطرفة، مشيرا إلى أن البداية كانت مع إنطلاقة «جبهة النصرة» في أواخر كانون الثاني من عام 2011، لكن ذلك التنظيم لم يقدم على ممارسة العنف الأعمى بشكل الذي توقعه النظام، مما حدا بالنظام إلى تهيئة الظروف لظهور «داعش»، التي قامت في المناطق المحررة بدعم وإنضمام من الشبيحة السابقين!.

من جانبه يقول الباحث السوري «إياد العبدالله»، الذي يعتبر الإسلامية الراديكالية حالة طارئة على التدين السوري المعهود، إن عدة عوامل أدت إلى ظهور هذه الحركات، ولكن من الأهمية التركيز على اثنين منهما: الأول يتعلق بالعنف المجنون والأعمى الذي مارسه النظام ضد السوريين الثائرين عليه، حصل كل هذا بالتزامن مع أداء هزيل وفاضح للمعارضات السياسية التي تنطحت لتمثيل الحراك سياسياً، وكذلك خذلان المجتمع الدولي وتغاضيه عن الكوارث التي حلت بالناس.

والعامل الثاني: هو التمويل والاشتراطات التي ارتبطت به، وهو تمويل بمعظمه من دول الخليج أو من جهات إسلامية، كذلك الذي يرتبط بتنظيم القاعدة، هذا المال بكل حال لم ينحصر في التسليح وحسب، وإنما دخل قسم منه في استغلال أوضاع الناس الكارثية في بعض المناطق واستثمر فيها، كان يتم تأمين بعض الحاجيات المعيشية مقابل الولاء.

ويضيف «العبدالله» بأنه لا يستبعد ضلوع العديد من أجهزة المخابرات، سواء التابعة لمعسكر خصوم النظام أو حلفائه، ومعهم أجهزة مخابرات النظام بالطبع، في أنها وراء وجود العديد من هذه التنظيمات الجهادية، لخدمة أجندات معينة لصالح هذه الدولة أو تلك، أو لتثبيت رواية النظام بأنه لا يوجد ثورة ولا من يحزنون، وإنما الموضوع برمته إرهاب بإرهاب ويعملون على استئصاله.

سوريا فوق داعش

من جهته، يشير الكاتب السوري «علي جازو» إلى أنه أمام عدمية وهمجية نظام ،كالنظام السوري، لا يعود مستغرباً ظهور حركات إسلامية راديكالية، متسائلا: ألم يكن البعث بصيغته القومية الرجعية حركة راديكالية؟ كان واضحاً، منذ اللحظة الأولى، حرص النظام على تطييف النزاع، وتحويله إلى صراع عسكري وعابر للحدود، دخول حزب الله وإيران بشكل سافر في قتل السوريين سبب آخر لهذا التحول، لكننا يجب ألا ننسى أن النظام دعم هذه الحركات ذاتها داخل العراق، لا يستبعد وجود تواطئ ما بين النظام وهذه التنظيمات، أو ثمة صفقة تمت بشكل سري، أنظرُ إلى حال مدينة كالرقة، داعش تحتل مركز المحافظة، والنظام يتركها وشأنها.

هل من أسبابٍ سوريةٍ خاصة لظهور تنظيمات ترتبط بالقاعدة..؟.

وحول إمكانية وجود أسباب سورية خاصة في ظهور تنظيمات مرتبطة بالقاعدة، يُبين « بييريه» إلى أن خصوصية الأزمة السورية تكمن في تفاعل «الطائفية» وعلاقتها مع «السلفية»، فالخطاب والعقيدة السلفية مبنية على ركيزة «الولاء والبراء» أي الولاء للمسلمين والبراء من الكفار، وهو ما يتناسب، ويفتح الطريق أمام تأجيج البعد الطائفي للصراع من جهة، وإحداث شرخ في العلاقات بين المكونات الاجتماعية والمذهبية السورية من جهة أخرى، لافتا إلى أن شعار «الشعب السوري واحد» تصدر مشهد المظاهرات السلمية لفترة طويلة، لكن مع ما أحدثه العنف الممنهج، جعل غالبية المسلمين «السنة» في سورية، يلاحظون أن ثمة ممارسات تستهدفهم بسبب انتمائهم المذهبي، والذي مهد لأن يكون الانتماء الاقوى على حساب انتماءاتهم السورية الأخرى.

بينما يشير «جازو» إلى أن «داعش» تنظيم غامض، لا معلومات واضحة حوله، رجاله ملثمون ويتشابه سلوكهم مع سلوك شبيحة النظام، إنها حركات آنية فرضتها ظروف داخلية وخارجية، وثمة بيئات اجتماعية سورية تنضم إليهم بدافع

الخوف أو الحاجة. لذا لا أعتقد أنه خيار سوري حر. الواضح أن العنف غير المعقول يأتي بعنف مقابل. والوحشية تتنقل من القاتل إلى الضحية. وهو ما يتوافق مع وجهة نظر «العبد الله» بقوله: «إن دور النظام كان حاسماً في تطور الأمور إلى هذا المآل. الذي تصدرت فيه جبهة النصرة وداعش. فالنظام كان سباقاً. عبر أجهزة إعلامه. ومعها الإعلام الحليف له. إلى تصوير الحراك الشعبي في سورية على أنه حراك إسلامي سلفي جهادي وتكفيري. والحديث عن إمارات تشكلت وأمراء وتكفيريين طائفيين كان مميزاً في هذا الإعلام منذ بداية الثورة. بهدف تبرير القمع الذي سيمارسه إزاء الثائرين والمجتمعات التي احتضنت الثورة. وإنعاش الإسلاموفوبيا أو تعزيزها عند جهات عديدة. كالمجتمع الدولي والأقليات في سورية.

ويشير «العبد الله» إلى إضافة سورية في موضوع الجهاد. وهو ظهور ما يمكن تسميته بـ «الجهادية الشيعية». لطالما كان النظر إلى الظاهرة الجهادية عبر حصرها في مرجعية سنية. اجتماعية أو عقائدية. لم نشهد فيما سبق « جهاديات « شيعية على النمط الذي انتهت إليه الحركات الجهادية كتنظيم القاعدة وأشباهه. لقد التصقت الحركات الشيعية. سابقاً. بمنطق «الدولة». حصل هذا في إيران بعد ثورة 1979. وكذلك في العراق بعد الإطاحة بنظام صدام حسين إذ آلت أمور الحكم إلى جماعات شيعية تستعين بمنطق الدولة للنيل من خصومها. وفي لبنان عندما اجتاح حزب الله بيروت 2008. لم يفعل هذا تحت راية الجهاد. بل وكان له حلفاء من مختلف التيارات والقوى السياسية والاجتماعية في لبنان. ما نشهده الآن على أرض سورية هو جماعات شيعية تعلن جهادها ضد « الوهابية التكفيرية « التي تريد النيل من المقدسات الشيعية والوجود الشيعي أيضاً! ويتم الاستعانة بمنظومة من الخطابات والأناشيد المشبعة بالحماس والرموز الدينية والتي تصور أن هذه المعركة هي استمرار لما بدأه الحسين. بالتأكيد يقف النظام وحلفائه وراء هذه الظاهرة. التي سيكون لها أثرها في تعزيز الاستنفار الجهادي السُّني.

أما «غلاسمان» فيؤكد أن الهوية السورية قادرة على تجاوز ظروفها الخاصة المحيطة. فهي معروفة بمنظومتها القيمية المعتدلة. التي استطاعت عبر التاريخ من إستيعاب المختلف والغريب. ودمجه في البوتقة السورية مبينا أن السوريين خرجوا في بداية تظاهراتهم السلمية رافعين شعار «لا سلفية ولا أخوان..» تعبيرا عن المطالب السياسية بالدولة المدنية الديمقراطية. لكن النظام واجههم بالعنف الأعمى. ما سهل الطريق أمام الأيديوجيا المتطرفة في الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم.

هل تحولت «الثورة السورية» إلى «ثورة إسلامية»..؟

وحول الإستفسار عن تحول الثورة السورية إلى ثورة إسلامية. يوضح «العبد الله» أن الحركات الجهادية التي تصدرت مؤخراً في سورية. رفضت منذ البداية إطلاق صفة الثورة على الحراك الشعبي المطالب بالحرية والكرامة وببلد جدير بكل السوريين. كما أنهم لم يرفعوا علماً سورياً. بل تميزوا بعلمهم الأسود الذي يقولون أنه راية الرسول!. ينطبق هذا حتى على حركة من مثل « أحرار الشام» التي تعتبر أكثر مرونة من جبهة النصرة أو داعش. إلا أنها مثلهم تسعى لقيام الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة وتكفر مفاهيم «الوطنية. الدولة المدنية و الديمقراطية والجمهورية». وتتبنى ذات المرجعية التي تصدر عنها باقي الحركات الجهادية.

سوريا فوق داعش

ويركز «العبد الله» على أن معركة هذه القوى تتكامل مع الدور الذي بدأ به النظام. وهو ضرب الثورة والوطنية السورية. الأمر الذي يتقارب فيه مع وجهة نظر «بييريه» القائل بإن القوى الفاعلة على الأرض. هي فصائل إسلامية لعدة اعتبارات. لكن هذا لا يعني أن الثورة انتهت. نحن أمام مجتمع يعيش حالة ثورة. لذا فأن آليات الصراع الكامنة والظاهرة في تحول مستمر. وقد نشهد تطورات لاحقة وإيجابية.

ويشكك «بييريه» في قدرة هذه التنظيمات -وخاصة «داعش»- في إدارة المناطق وتخديم السكان. وتجربة العراق مع حكم القاعدة في المناطق السنية. مازالت ماثلة في الأذهان. مع استراتيجيتها التي لا تجلب سوى الخراب والدمار.

يبين «جازو» أن غلبة البعد الديني أمر مؤقت. رغم تجاوز الصراع حدود سوريا بالمعنى الوطني والجغرافي. فسورية الآن «دولة» بلا حدود. في ظل حرص كل الدول الأقليمية على تطييف النزاع. رغبة في حسم الأمور لصالحها حيث غدا العامل الخارجي أكثر قوة ومقدرة على حسم الصراع والتحكم به. أو تمديده إلى حين الحصول على توافق دولي وإقليمي.

بينما يركز «غلاسمان» على أن الوجه المدني والحضاري للثورة مستمر من خلال جمعيات المجتمع المدني. مؤكدا أن الثورة لم تتحول إلى ثورة إسلامية إنما تم دفع الإسلاميين إلى واجهة الأحداث وتركيز عليهم إعلاميا. في محاولة من كل الأطراف لإغراق الشعب السوري ومطالبه العادلة بالدم والتطرف.

الصبغة الإسلامية «للثورة» وتأثيرها على الرأي العام الغربي والدولي..

يقولون «فليدمروا بعضهم البعض». الجميع سيضعف. وحينها يتم فرض الحل عليهم. يقولها «جازو» ويضيف أن الغرب لم يرد التدخل منذ البداية وحتى الآن. وقد كان ذلك واضحاً من مستوى المبادرات التي طرحها. حيث صادفت الثورة السورية أسوأ العوامل الخارجية. انكفاء أمريكا إلى الداخل. واستنزاف إيران وحزب الله. والقاعدة على الأرض السورية.

بينما يرى «بييريه» أن الصبغة الإسلامية للثورة أثر. وبشكل سلبي وفاعل. على الدعم الغربي للثورة السورية. نظرا لوجود خوف غير مبرر وغير عقلاني. لدى الغرب اتجاه الاسلاميين بشكل عام. متسائلا كيف لنا تبرير وتجاهل قتل الآلاف. بجميع أنواع الأسلحة المحرمة دوليا. في حين يتم التركيز على مقطع فيديو لتصرف شنيع لأحد المجرمين «الطائفيين» المحسوبين على المعارضة.

«غلاسمان» يوضح أن الغرب مسكون بالنظرة والصورة النمطية حول الإسلام. لذا احدثت الحالة السورية شرخا على المستوى الشعبي الغربي. ما أثر على مستوى الدعم وتفهم ما يحدث.

أما «العبد الله» فيقول : إن مسار تصاعد الوجه الإسلامي الجهادي يتناسب طرداً مع تراجع الغرب. حكومات وشعوباً. في دعم الثورة السورية. أو في الضغط نحو اتخاذ اجراءات حاسمة ضد النظام في سورية. لقد غدا النفخ في قربة الجهاديين الشغل الشاغل لحلفاء النظام الدوليين والإقليميين. عبر التأكيد على أن النظام يحارب الإرهاب القاعدي على الأرض السورية. وأن إزالته لا تعني إلا أن هذا الإرهاب هو الذي سيمسك برقبة البلاد والعباد. حتى الآن لم يسلم الغربيين بهذه الرواية تماماً. ولكنها تترك بعض الأصداء القوية التي يعززها ممارسات ومشروع الجهاديين في سورية. نقرأ ونسمع كل يوم عن اشتراطات غربية على تقديم الدعم سواء بالمال أو السلاح. مفادها أن يستخدم هذا الدعم بمحاربة الجهاديين كما النظام؛ وكذلك عن مخاوف من أن يصل هذا الدعم إلى الأيدي الخطأ. أي الجهاديين.

الحل.. وإعادة الثورة إلى أصحابها.

يركز «غلاسمان» على قضية التمويل بكونها العامل الأساس في تقوية وإضعاف أي فصيل على الأرض. ما يستوجب الضغط على الدول والشبكات الممولة للمتطرفين. الذين لا تتجاوز نسبتهم الـ 20 بالمئة من مجموع القوى المقاتلة على الأرض. ودعم الثوار المعتدلين والحاملين لأجندة سورية. وعدم انتظار ما سيحدث بل محاولة التأثير في الأحداث.

«جازو» من جانبه يؤكد أن الحل يبقى بيد السوريين. كما كان منذ اليوم الأول. فالثورة بدأت كمعجزة. ومن يدري. لا يمكن التحكم بمسار الثورات. ربما نشهد معجزة أخرى بعد حين.

بينما يعتبر «بييريه» أن المشكلة الأساس اليوم. لا يتعلق بإسلامية الدولة. أبدا! المشكلة تتعلق بالإنهيار الذي تتعرض له الدولة والكيانية السورية. مع إستمرارية نهج تدميرها وتخريبها. وما إعتماد النظام على جماعات «شيعية» في استمرار حملاته العسكرية إلا مؤشر على إنهيار الدولة السورية من الداخل والخارج.

بالتعاون مع مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

الاسم	رائد الخاروف « الأخرس»
المحافظة	دير الزور
الجنس	ذكر - بالغ
الفئة	مدني
إسم الام	
العمر	0
الوضع العائلي	
المنطقة	حي العرضي
المهنه	
الرقم الوطني	
رقم الهويه	
تاريخ الوفاة	26-11-2011
مكان الوفاة	
سبب الوفاة	اعتقال - تعذيب
الرتبه	
معلومات اضافيه	ف-م
فيديو الشهيد	http://www.youtube.com/watch?v=QG3-BU-nSIA
فيديو الشهيد	...http://www.youtube.com/watch?v=9id3cVj09HI&feature=y

معتقلون شهداء تحت التعذيب

الاسم	يوسف محمد خير الزيادي
المحافظة	ادلب
الجنس	ذكر - بالغ
الفئة	مدني
إسم الام	مريم
العمر	33
الوضع العائلي	متزوج ولديه اربعة اطفال
المنطقة	كفرومة
المهنه	
الرقم الوطني	
رقم الهويه	
تاريخ الوفاة	15-11-2011
مكان الوفاة	
سبب الوفاة	اعتقال - تعذيب
الرتبه	
معلومات اضافيه	بعد اعتقال 25 يوم من قبل الامن ف-م
فيديو التشييع	http://www.youtube.com/watch?v=HLUlmleazfg
فيديو التشييع	http://www.youtube.com/watch?v=EsfmpUUfLwI&featu...re=y
فيديو التشييع	/http://www.youtube.com watch?v=UHMmwNoAR1M
فيديو الشهيد	http://www.youtube.com/watch?v=CY96GNUoLSM
فيديو الشهيد	http://www.youtube.com/watch?v=AGO49dWArMQ&fea...ture=y

معتقلون شهداء تحت التعذيب

الاسم	جمال فيصل المراوي
المحافظة	ادلب
الجنس	ذكر - بالغ
الفئة	مدني
إسم الام	
العمر	40
الوضع العائلي	متزوج ولديه ابنتين
المنطقة	كللي
المهنه	
الرقم الوطني	
رقم الهويه	
تاريخ الوفاة	14-11-2011
مكان الوفاة	
سبب الوفاة	اعتقال - تعذيب
الرتبه	
معلومات اضافيه	من سكان حلب، استشهد تحت التعذيب في فرع مخابرات حلب، وعثر على جثته في حمص. وكان الشهيد سلم نفسه للأمن بعد إصدار العفو الأخير. ف-م
فيديو التشييع	http://www.youtube.com/watch?v=GOeyQErLl-A
فيديو التشييع	http://www.youtube.com/watch?v=hG5OTXMm1Po
فيديو التشييع	http://www.youtube.com/watch?v=Pr8juKn1...ENs&feature=y
فيديو التشييع	http://www.youtube.com/watch?v=cIS49OK...pWzY&feature=y
فيديو الشهيد	http://www.youtube.com/watch?v=UTiKHV8O980
فيديو الشهيد	http://www.youtube.com/watch?v=Z8WrEv8...wvCA&feature=y

بالتعاون مع مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

VDC
مركز توثيق الانتهاكات في سوريا
Violations Documentation Center in Syria

الاسم	يحيى حسين رحمة
المحافظة	ريف دمشق
الجنس	ذكر - بالغ
الفئة	غير مدني
إسم الام	
العمر	29
الوضع العائلي	متزوج واب لطفلين
المنطقة	الزبداني
المهنه	فلاح
الرقم الوطني	
رقم الهويه	
تاريخ الوفاة	28-10-2011
مكان الوفاة	
سبب الوفاة	اعتقال - تعذيب
الرتبه	الجيش الحر
معلومات اضافيه	بعد شهر من اعتقاله مصاباً برصاص أمن الدولة اثر كمين من النظام، ولم يعلم أهله عنه شيء في غيابه إلى أن استلموا جثمانه وعليه آثار التعذيب
فيديو الشهيد	http://www.youtube.com/watch?v=XSwOsWiz...Hmo&feature=r
فيديو الشهيد	http://www.youtube.com/watch?v=cB0Iyu3VNGw

بالتعاون مع اذاعة وطن FM

حوار مع بسام الاحمد

الناطق الاعلامي باسم مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

في 20 تشرين الثاني نوفمبر، صادفت ذكرى اليوم العالمي للطفل.. وفيما احتفلت المجتمعات بأطفالها، كان السوريون منشغلين بحفر قبور لأطفالهم، وكانوا منشغلين بالبحث عما يسد رمق من بقي منهم على قيد الحياة يصارع الجوع...

حول معاناة أطفال سوريا وما كابدوه على مدى أكثر من سنتين ونصف من عمر الثورة.. كان لنا الحوار التالي مع الاستاذ بسام الاحمد الناطق الاعلامي باسم مركز توثيق الانتهاكات في سوريا.

- آلاف الاطفال راحوا ضحية الحرب الدائرة في سوريا.. ضعنا لو سمحت في صورة الاعداد الموثقة للأطفال الذين قضوا جراء الحرب بشكل عام، وما هي ابرز الأسباب التي أدت إلى وفاتهم، في ظل تعدد اسباب الموت في سوريا.

استطاع مركز توثيق الانتهاكات في سوريا، توثيق استشهاد أكثر من 8800 طفل وطفلة منذ آذار 2011، النسبة الأكبر منهم والتي بلغت أكثر من4400 طفل وطفلة، قضوا جراء القصف باستخدام المدفعية وصواريخ سكود وقذائف الدبابات وغيرها من قبل قوات النظام.. واستطاع المركز ايضا توثيق حالات لـ 80 طفل وطفلة استشهدوا بعد اعتقالهم، منهم 50 طفل ما بين سن 15 و18 سنة تم تعذيبهم حتى الموت في أقبية الفروع الامنية في سوريا، كما وثق المركز أكثر من 1600 حالة استشهاد لأطفال، نتيجة اطلاق النار عليهم، منهم 400 طفل تم قنصهم بشكل مباشر على يد قناصة قوات النظام.

- وبحسب معلوماتك في أي محافظة تم تنفيذ أغلب عمليات القنص للأطفال؟.

في الحقيقة كانت موزعة بين ريف دمشق وحلب وإدلب في معظمها.

- وقعت في سوريا مجازر كبرى كان الأطفال الضحية الأبرز فيها.. هل لديكم ارقام موثقة حول اعداد الاطفال الذين قضوا في المجازر، ممن اعدموا ذبحا بالسكاكين، او عبر اطلاق الرصاص المباشر عليهم من مسافات قصيرة.

مجزرة الكيماوي شهدت أكبر عدد لاستشهاد الاطفال، فقد تم توثيق اكثر من 120 حالة وفاة لأطفال جراء استخدام السلاح الكيماوي، وهؤلاء موثقين بالأسماء والصور والفيديوهات، بالإضافة إلى العشرات الذين وثقت حالاتهم كمجهولي هوية.. كما تم توثيق اكثر من 580 حالة استشهاد لأطفال في مجازو متعددة، والتي كان أولها مجزرة كرم الزيتون في 11 أذار 2012 وقد استشهد فيها أكثر من 20 من الأطفال، وبعدها مجزرة الحولة وهي المجزرة الأكثر شناعة، وقد قضى فيها 45 طفل موثقين لدينا بالأسماء، تم قتلهم ذبحا بالسكاكين، وعن طريق اطلاق الرصاص عليهم من مسافات قصيرة، وفي مجزرة الحصوية في 15 كانون الثاني 2013، بلغ عدد الاطفال الشهداء اكثر من 21 طفل وطفلة، وفي مجزرة بانياس التي وقعت في تموز 2013، كان عدد الشهداء الأطفال أكثر من 32 طفل وطفلة.

- ايضا هناك تقارير وصور توثق وفاة العديد من الاطفال جراء المجاعات التي اجتاحت المدن المحاصرة، والنقص الحاد في الادوية واللقاحات الضرورية.. حدثنا عما لديكم من معلومات بهذا الشأن.

في الشهرين الماضيين تم تسجيل عدة حالات وفاة لأطفال نتيجة نقص الأدوية ونتيجة الجوع ونقص التغذية، خاصة في المناطق المحاصرة المغلقة بشكل محكم كمنطقة المعضمية، ومناطق دمشق الجنوبية وفي مقدمتها الحجر الأسود ومخيم اليرموك والجابرية والحسينية، بالإضافة للعديد من مناطق الغوطة الشرقية، فقد تم تسجيل 10 حالات لأطفال ماتوا نتيجة الجوع في المعضمية وحدها، منهم الطفلة رنا عبيد التي لم تبلغ عامها الثاني، والطفل ابراهيم الخليل، والطفل عمار عرفة والعديد من الأطفال الآخرين.

وعدا عن هذا.. الغوطة الشرقية المحاصرة حاليا تشهد شهريا 800 حالة ولادة، وهؤلاء الاطفال جميعهم بحاجة لرعاية صحية وبعضهم بحاجة لحاضنات، لأن الأم أساسا تعاني من نقص التغذية والتوتر والضغط نتيجة الظروف التي يعيشها سكان هذه المناطق تحديداً، في ظل شبه انعدام للأدوية، ونقص حاد في الكوادر الطبية.

بالإضافة إلى كل ذلك.. ظهرت مشكلة شلل الأطفال، خاصة في دير الزور، وهذا المرض لم تظهر حالات اصابة به منذ عام 1999، والآن بسبب الظروف الصحية المتدهورة عاد هذا المرض للظهور.

- ذكرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان في تقرير لها، أن هناك ما لا يقل عن 9 آلاف طفل معتقلون داخل فروع المخابرات وفي السجون، بهدف الضغط على أقرباء لهم.. وهناك العديد من الاطفال المفقودين.. ماهي معلوماتكم حول ذلك؟.

استطاع مركز توثيق الانتهاكات توثيق أكثر من 10100 حالة اعتقال لأطفال، وكلهم موثقون بالأسماء، وبينهم أكثر من 50 طفلة.. اما بخصوص الأطفال المفقودين، فقد استطاع المركز توثيق أكثر من 250 حالة اختفاء لأطفال دون الثامنة عشرة من العمر، منذ آذار 2011.

- شاهدنا عددا من التقارير التي توثق انخراط بعض الأطفال في سوريا في القتال المسلح.. هل لديكم معلومات او احصائيات بهذا الشأن؟.

لدينا بعض الاحصائيات، وللأسف المسألة حساسة للغاية.. في الحقيقة معظم الأطفال الذين انخرطوا في القتال المسلح تتراوح اعمارهم بين -15 18 سنة، وقد استطعنا في مركز توثيق الانتهاكات في سوريا، توثيق نحو 130 حالة من هؤلاء الأطفال، الذين تم تجنيدهم في العمليات القتالية.

- استاذ بسام بحسب المعلومات المتوفرة لديكم في مركز توثيق الانتهاكات في سوريا، كم بلغت اعداد الاطفال المهجرين مع ذويهم، وكم عدد المسجلين منهم كلاجئين في الامم المتحدة.

المسجلون بحسب المفوضية نحو مليون طفل، لكن أعتقد أن عدد الاطفال المهجرين مع ذويهم - وكثر منهم غير مسجلين في احصائيات المفوضية - أكثر من ذلك بكثير، وقد يصل العدد إلى ضعف هذا الرقم، أي نحو مليوني طفل وطفلة.

- ماذا قدمت المنظمات الدولية والعربية المعنية بحقوق الطفل لأطفال سوريا، الذين حرموا على مدى أكثر من عامين ونصف من حقوقهم الاساسية في التعليم والرعاية الطبية والعيش بأمان...

في الحقيقة مقارنة مع حجم الكارثة في سوريا، لا شيء يذكر ما قدمت هذه المنظمات لأطفال سوريا.. نحن نتحدث عن كارثة تمخضت عن الآلاف من اللاجئين والمعتقلين والشهداء الأطفال.. وهذه أعداد ضخمة، أكبر من قدرات هذه المنظمات.. في الحقيقة ما حدث ويحدث في سوريا، يحتاج إلى تنسيق ودعم دولي حقيقي وفاعل، بإشراف الأمم المتحدة.

حاورته شام

حَلَبُ.. التي تُعرَفُ مِن حناجرها وأقلامها 3 من 3

• نجم الدين سمّان

عطفاً على مقامتي عن روائح حلب وأرواحها.. حتى صارت للموشحات فيها رائحةُ أندلسٍ؛ يستعيدُ الحلبيّون فردَوسَها في كلّ سهرةٍ بالحنين، وبتَمَايُلِ الصبايا في «رَقصِ السَمَاح» ذاتَ يمينٍ.. فتميل بنا شَغَافُنا، ذاتَ يسارٍ.. فتعتدل مُقرنصاتُ الحجر، تدور الصبايا بمناديل أشواقهنّ.. بيضاءَ من كُلّ غَرَضٍ وغايةٍ؛ سوى عشقهنّ لرَقصهن، فتَندَاحُ دوائرُ الماءِ بهنّ حولَ النوافير؛ وفي هواءِ صَبَابتنا، فإذا بهنّ يتعرّقنَ كبياضِ الفُلِّ.. مُترعاتٍ كؤوسَ الراح والرائحة.

ربما.. ذهبت الموشحات من حلبَ إلى أندلس، قبلَ زرياب، أو معَهُ.. المؤكّدُ أنها آبَت لمّا انحسرت دولُ الطوائفِ عن آخرِ مَعَاقِلِهَا في غرناطة، فاستقرَّ منها لونٌ في بلاد المغرب العربيّ: المالوف، ولم يبقَ لها في برّ الشامِ سوى لونها الحلبي.

ثمّة.. الفارابيّ، من موسيقاها إلى موسيقاهُ مُجرّدةً عن كلّ غناءٍ.. قد أضحكَ بها الحشد في قاعة العرش الحمدانيّ على ضفة النهر، ثمّ أعاد ترتيب الأعواد في «قانونه» فأبكاهم، ثم بدّلَ في أوتاره؛ فَرَبَتَ على أكتاف نُعاسِهم فناموا.. ونامت فيهمُ الرائحة.

ثمّة المواويلُ.. وأبرزُهَا: الشرقاويّات والعتابا، خصوصاً: السبعاويّات، سبعَ قوافٍ.. تتغيّر حركاتُ حروفها، لتنزاح معانيها عن دلالاتها:

يابا عزّك بدنياك.. إحسانك لزيد وعمر
«عمرو: اسم علم»
يابا وابني لنفسك.. قصور من المكارم عمر
«عُمُرْ: عامرة»
يابا وعود لسانك.. على قول الصدق عمر
«طوال عمرك»
يابا.. أحسن مزاياك.. لو شافك عدوك مال
«مال: بمعنى انهزم»
يابا اصمد بملقاك.. لو جار الزمان ومال
«مال: من الميلان»
يابا لا تفتخر بالدهب.. وتقول عندي مال
«مال: النقود»
يابا المال يذهب.. واسم الزين باقي عمر
«طول الزمان»

لِقُدودِهَا.. غناءً وتطرباً، رائحةُ امرأةٍ في بساتين حلب، عند نهرها الذي كان نهراً ثم اندثر:

أنا وحبيبي في جنينه.. والورد مخيّم علينا
طلب مني وصالو.. يا ربي تستر علينا

والقَدُّ في اللغةِ: قامةُ الانسان، وسُمّيَ القدُّ في الغناء: قداً، لأنه على قدِّ غيرِه من الألحان القديمة، يتمُّ لها نَظمُ نصٍ جديد، حتى ليكادُ يختفي الأصل، وقد ينخفض الجديد بها إلى الشائع والمُتداوَل والركيك، أو يرتفع بها إلى الوَجدِ فصيحاً وباللهجة، رغم وجودِ قدودٍ بلهجاتٍ أخرى، كما.. في حمص، وأشهرهم فيها الشيخ أمين الجندي المُتوفى عام 1257 هجرية، وقد اختارَ حلب منزلاً له زمناً طويلاً، ومن قدودِهِ المشهورة:

هَيّمَتِني.. تيّمَتِني؛ عن سِوَاها.. أشغلتِني

وفي أرمناز ـ غرب مدينة إدلب ـ قدودٌ تختلف: صوفيّة وغيرها، يتوارثونها مُشَافَهَةً وجيلاً إثر جيل، وفي دمشق.. قدودٌ نظمها الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى 1143 للهجرة، أشهرها: عشق المليح الغالي

على قدّ: عيني عليك سيّالة.. يا بو عيون غزّالة.

وقصدَ أبو خليل القباني حلبَ، فمكث فيها زمناً يأخذ عن أحمد بن عقيل الحلبيّ فصولَ الرقصِ المُسمَّاةِ بالسماح؛ حتى تمكّن فيها من الموشحات والقدود، وذاك قبل انشائه لمسرحه، وهو الأمر ذاتُهُ الذي فعله الشيخ عبدو الحاموليّ قاصداً إياها من مصر؛ ومثلُه سيّد درويش مكثَ فيها عاماً كاملاً.

تبقى حلب، كما يُشير د. سعد الله آغة القلعة، الناشرَ الأهمَّ للقدود، حيث أغلبُ القدود المعروفة هي.. بلهجتها، وقد ذكر كامل الخُلَعِي في كتابه «الموسيقا الشرقية» بأن فناناً حلبياً هو شاكر أفندي الحلبي نقل إلى مصر الموشحات الأندلسية والقدود الحلبية؛ وكان ذلك ابتداءً من سنة 1100 للهجرة، وهو تاريخ سابقٌ لولادة الشيخ أمين الجندي، الذي يحاول الحماصنة من وراءِ ظهرِه، القولَ بالقدودِ: حمصيةً.. دونَ سواها مِن سائر المشرق.

ثمّةَ الأدوارُ.. والقصائد الطوال، أبرزها: البُردَة.. للبوصيري وأشعار الحلّاج وابن الفارض والنابلسي والصنوبري والبرّي، حيث حافظت الزوايا والتكايا الصوفيةُ أكثرَ من غيرها، على التراث الغنائيّ الذي تتفرّدُ به حلب، وكما يتدرّج المُريدُ في مراتبِ الصوفيّة، تَرقَى حناجرُ حلبَ في مَدَارِجِها وصولاً إلى قرارِ الروح في جوابِ الشِفاه، إذ يبقى المُطربُ في كَورَسِ شيخه وأستاذه، حتى تستقيمَ له المقاماتُ وتلِينَ له الأدوار والقدود، ثمّ يأخذُ من شيخِهِ السَمَاحَ.. لِينفَرِدَ بصوتِهِ وفرقتِهِ الخاصّة، وهو ما أسَّسَ لحلب تقاليدها في الغناء، من حيثُ لا يتسِعُ الطَيفُ لِذكرِ كلّ أصواتها، ومنهم: أحمد سالم من القرن 19 ميلادي، يحفظ شعرَ المتنبيّ جميعَهُ ويُغنّيه؛ وبينهم: أحمد بن عقيل الذي يُجيدُ الموشحات والقدود والأزجال والقصائد، ومنها قصيدة ابن الفارض: عطفاً على رَمَقِي وما أبقيتَ لِي

من جسمي المُضنَى وقلبِيَ المُدنَف.

واسماعيل الشيخ.. الذي تفرّد بإجادة اللحن الحجازي ونغم السيكاه إنشاداً للأشعار الصوفية والقصائد النبيوية، و باسيل حجّار، التاجر، وكان لا يُغنّي إلا في جلسات خاصة جداً، وصوته من الأصوات النادرة؛ و جبر الأكشر: البارعُ في اللحن العراقي؛ و صالح قصير الذيل.. قد ذاعَ صِيتُهُ حتى عَيّنَهُ السلطان عبد الحميد في قصره «يلدز» كمؤذّن، وعلى سيرة المُؤذّنين فإن أغلبَ مُطربي حلبَ.. قد عملوا مؤذنين، ومنهم في راهننا: الشيخ صبري مدلل مؤذناً في الجامع الأموي بحلب، والفنان الكبير صباح فخري؛ وغيرهما كثير.

ثمّة من الأقدمين: عبدو بن الحاج محمد عبدو.. وقد صار مُغنياً لسلطان المَمّرة خزعل، في عربستان؛ و محمد نصار الذي أنشد للأمير فيصل عام 1919م في حلب؛ والحاج عبدو بن محمد غزال.. المُختصّ بالأذكار القادرية والرفاعية؛ وطاهر النِقِش ـ بكسر النون والقاف - دلالة جماله الذي يفوق جمال النساء.

ثمّة.. مصطفى البشنك، وأنشأ نادياً لتعليم الموسيقا والغناء، باسمٍ عجيب هو : قاعة بيت مُشمُشان، حتى صارت رِيادةُ هذا الناديِ مثلاً على لسان الحلبيين، فإذا خرجوا من سهرة طربٍ، قالوا: سهرة.. ولا سهرة بيت مشمشان...

وشيوخ الطرب في حلب: الشيخ عمر البطش ـ الشيخ بكري الكردي ـ أحمد أفندي الأوبري ـ الشيخ علي الدوريش ـ عمر الفقش ـ مدرب رقص السماح الشيخ عقيل المنبجي، و من الملحنين أيضاً: شرف الدين الفاروقي يختصّ بالأغاني الوطنية والحماسية، وهو كاتب ومُثل ومخرجٌ مسرحي، وقد استفاد من وجودِ آلة العرض السينمائيةفي صالة السينما التي استاجرها حين أخرج مسرحية «محمد علي الكبير» على مسرح سينما

«اللونابارك» عام 1931، فمزج مع المشاهد لقطات فوتوغرافية سينمائية لمحمد علي يستعرض جيشه، ولقطات تسجيلية للأسطول المصري في معركته البحرية الشهيرة بمضائق البوسفور ضد الأسطول العثماني، وفي ذاك.. ريادة فنية غير مسبوقة في المسرح السوري، وقبلها.. ريادةُ يوسف نعمة الله جد، لأول عرض مسرحي في حلب عام 1872، من إخراجه وتأليفه وتمثيل طلاب المدرسة المارونية لثلاثة عروض متوالية بعنوان: «بريجيت» حتى بلغت فرق حلب المسرحية في مئة عام: 114 فرقة فقط!.

وكانت سهرات الطرب تُعقد، ولا تزال.. في البيوت، وصيفاً في البساتين، ثمّ في المقاهي.. مثل «اللونابارك» ومقهى الشهبندر الذي خصّصَ مكاناً للعائلات منذ مطالع القرن الماضي.

وسهراتُ نساءِ حلبَ.. شائعة، حيث تكون آلة العود في جهاز العروس، فإذا كانت لا تُجِيدُ العزفَ فهو.. لِضَيفةٍ تأتيها، أو.. للخوجات يستدعينهنّ للغناء في جلساتهنّ أو الى حَمَّام النسوان وفي الأعراس، ومنهنّ: الحاجة عائشة المسلمينية ـ بهية البيبية، ومن المُحَدَثاتِ: عدويّة نجار وأم فواز وأم سلمو، ولا تزال حمامات حلب تشهد بعد انتهاء النساء من طقوسِ اغتسالِهنّ جلسات غناءٍ وطرب، إضافةً لجلسات البيوت «الاستقبالات» بمواعيدَ على الشهر العربي، ومن المُغنّيات المُترفات: بهيّة حبيبو ـ فيروز الحلبية في الثلاثينيات ـ إلهام شدروفيان ـ يولاند أسمر التي احترفت التمثيل ـ وحتى فاتن الحناوي وميادة الحناوي كانتا قد تخرّجتا من هذه الظاهرة: استقبالات نسوان حلب؛ حيث كانت أمهما تعزف وتُغنّي ايضاً.

وأشهر السهرات الرجالية في حلب، كانت سهرة الحاج بكري الكردي وكان يقصدها مطربون وعازفون من البلاد العربية كالعقاد الكبير عازف القانون في فرقتي صالح عبد الحي وأم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب الذي كان يزور حلب سنوياً ليلتقي أحمد الأوبري وعلي الدرويش وعمر البطش وكميل شامبير وفؤاد حسون، وتعرفت المطربة نور الهدى على يوسف وهبي في سهرة الدكتور فؤاد رجائي آغا القلعة، وكانت سعاد محمد ترتاد هذه السهرات، ومطربة اسمها: ليلى حلمي.

من الأصوات الحلبية المعاصرة: الشيخ صبري مدلل وكان يُغني في إذاعة حلب باسم صبري أحمد احتراماً لوالده،ثم اكتشف والده الأمر فتمنى عليه ألا يغني حتى يتوفاه الأجل؛ فبقيَ صبري مدلل أربعين عاماً يحترم وصية والده؛ ثم أخذ يغني في الحفلات الخاصة والعامة حتى تجاوز الثمانين عاماً، ومن اصوات حلب: مها الجابري ـ محمد خيري ـ صباح فخري ـ مصطفى ماهر ـ ميادة بسيليس ـ حمام خيري ـ عبود بشير وغيرهم كثير جداً.

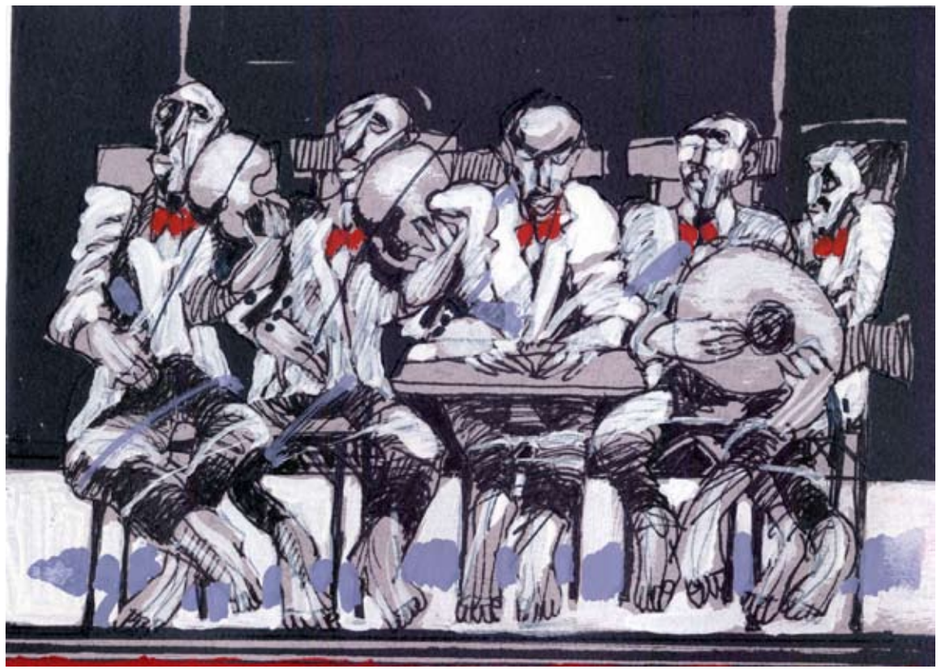

ومن الموسيقيين: مجدي العقيلي ـ انطوان زابيطا ـ الأخوان ضياء وجُمعي السكري ـ عزيز غنام ـ نوري اسكندر ـ محمد قدري دلال ـ رضوان رجب ـ بيرج قسيس ـ سمير كويفاتي وبالطبع عابد عازارية.

وقد ساهمت إذاعة حلب التي تأسست عام 1947 في إطلاق أصوات: سعاد محمد ـ فايزة أحمد ـ نجاح سلام ـ سحر ـ نهاوند ح وكانت للإذاعة فرقة موسيقية متميزة، وفي أرشيفها تسجيلات نادرة لا نعرف اليوم مصائرها! حيث باتت إذاعة حلب اليومَ مجرّد بُرجِ إرسالٍ على قمة جبل الأنصاري؛ وسط القذائف والدمار الشديد.!.

لهذا سيتوقفُ بثُّ مقامتنا عن حناجرها، لينتقلَ إلى أقلامها:.. ومن الشعراء الذين اشتهروا في الشهباء وارتبطت اسماؤهم بها: المتنبي ـ أبو فراس الحمداني ـ البحتري ـ السهروردي ـ النسيمي.

ومن شعرائها: الصنوبري ـ أبو العلاء من معرة النعمان في أعمال ولاية حلب، قبل أن يصير في عداد سكان محافظة إدلب الخضراء!.

وأقامت حلب له مهرجاناً في دار الكتب الوطنية منذ أربعينيات القرن الماضي شارك فيه طه حسين والدكتورة بنت الشاطئ والمستشرقة زيكريد هونيكه.!.

وكانت الكتب تصدر من «حي الوراقة» بِيَرَاعِ الورَّاقين على كَاغِدٍ، لتستقرَّ مع غيرها في مكتبات: الظاهرية والجامع الأموي، وفيها مخطوطات لا تُقدّر بثمن، وكان البعض يُوقِفُون كتبهم للناس، كما فعل آل الكواكبي بثلاثة آلاف مخطوط أوقفوها مكتبة عامة، ومثلهم فعل خير الدين الأسدي لمكتبة دار الكتب الوطنية، لكن عبد الرحمن الكواكبي كتب في جريدة «الفرات» عام 1884 ميلادية:

«حتى إذا استولى عليها أخيراً المُتغلّب الأُمّيَ ابراهيم باشا زاده حسن بك، فصار يمحو ما عليها من أختام الواقفين وخطوطهم إزالةً لعلامات الوقف، ومايجده منها مُحلّى بالذهب والتخطيط.. يُهديه لأكابر الرجال ذريعةً للوجاهة واليد عندهم، وما وجدَهَ ضخمَ الحجم أو عتيقَ الجلدِ.. ظنَّهُ حسب جهله من سقط المتاع؛ فباعه لبعض السُيَّاحِ الانكليز، ومع ذلك بَقِي تحت يده سبعمئة مجلدٍ قد صَرَفَهُ اللّه عن اتلافها، وقد بادرتُ إلى اتخاذ التدابيرِ لوقاية هذه البقية، ومن جُملتها إعلانُ هذه الموبقات في بعض الجرائد».

لا تزال مقالةُ الكواكبيّ هذه، تصلُحُ لمعرفة انسرابِ كثيرٍ من مخطوطات حلب واختفائها حتى يوم الناس هذا!.

وكان الحلبيون يتهادَونَ الكتب، ومن ذلك في عام 1885.. أهدى أعيان الشهباء من المسلمين والنصارى نسخة من كتاب «مرآة المجلة» لقاضي الشريعة فيها، مكافأةً له على عدله في أحكامه واستقامتِهِ وعِفّتِه.. وهذا من نوادر ذاك الزمان وفي زماننا!.

بدخول أول مطبعةٍ إلى بَرّ الشام، أُنشِئَت في حلبَ عام 1856 بحلة الصليبة، صارت الكتبُ تتوالى وأبرزها: غابةُ الحق.. لفرانسيس مراش عام 1865 كأول روايةٍ عربيةٍ حتى الآن، وكتابُ الشاعر نصر الله دلال «منهاج العلم» في ذات السنة، عن تاريخ العلم، وفيه فصلٌ عن ضرورة العلم للنساء.

وتأسّست في حلبَ أول الجرائد السورية عام 1867 «الفرات» وكانت رسميةً.. وبثلاث لغات: العربية ـ التركية ـ الأرمنية، واستمرّ صدورها 49عاماً حتى سنة 1918م، وكانت تهتمّ بأخبار الحروب العامة والولاة والوجهاء والمتنفذين، فإذا اهتمّت بالأحوال العامة فمِن بابِ أن «مطبخ جامع العثمانية في حالٍ من الإهمال إلى أن لمحته العناية الإلهية فأصبحت تُطبَخُ فيه الأطعمة التي شَرَطَها الواقِفُ في وصيَّته» فرات ـ العدد 765 لعام 1883م!.

وخرج عبد الرحمن الكواكبي من إدارة تحريرها لِيُؤسّس «الشهباء» عام 1876، كأولِ جريدة سياسية مستقلّةٍ في سورية، فلم يَدُم صدورُهَا سوى خمسة عشر عدداً فحسب، ثم أوقفتها السلطة، فأسَّسَ جريدة «الاعتدال» عام 1879، فلم يدم كذلك صدورها لنهجها غيرِ المُوَالي للحكومة!.

وكانت «سلامانة ولاية حلب« السنوية، قد صدرت عام 1867، وهي فهرست سنوي في كتاب عن كل نواحي الحياة في الولاية تاريخاً وجغرافيا واقتصاداً وتجارة وعمراناً، وعن عدد السكان وأبرز الأحداث والإصدارات الأدبية، حيث كان الشيخ كامل الغزّي مؤرخ حلب يُحرّر القسم العربي فيها، فلما أرسلوا نسخة منها الى الباب العالي، أمر السلطان بتعميمها على الولايات وأمرهم أن ينسخوا على منوالها، حيث توالت أعدادها السنوية حتى عام 1908، وكانت توازي ما يُعرَفُ اليومَ بالجريدة الرسمية.

ومن جرائد حلب في مطلع القرن العشرين: الحوادث ـ التقدم ـ حلب ـ حلب الشهباء ـ بالياجو: كأول جريدة ساخرة ـ الخطيب: التي وجّه 18 من وجهاء حلب برقية ضدّها الى وزير الداخلية في استنبول لتعطيلها، ثم توالت الجرائد الساخرة: ومنها:

جريدة مسخرة! ـ الكشكول ـ العفريت ـ هوبلا ـ الغول ـ جريدة المرسح!.. ومقالها الأول: مرسح الحيوانات، عن قصة ثور وحمار وكلب! ـ وجريدة تَشَبَّثْ: وكانت آخرها قبل الحرب العالمية الأولى.

ثمة: جريدة الإعلان، وهي جريدة زراعية صناعية!.

أبرز مجلات حلب «الحديث» لسامي الكيالي بين1928 ـ 1959، وكانت نديمة المنقاري الصابوني أصدرت مجلة «المرأة» عام 1930، وصدرت مجلة العاديات: تهتم بتاريخ سورية وآثارها منذ عام 1931 ومثلها مجلة «الضاد». وعلى الرغم من تضييق سلطات الانتداب الفرنسي للجرائد بسبب من توجهاتها الوطنية، لا تلبث أن تتوقف إحداها عن الصدور، أو.. يُلغى ترخيصها.. فتعود الى الصدور تحت اسم جديد، حتى بلغت جرائد حلب اليومية عام 1932، ستة عشر جريدة بينها ثلاث جرائد مسائية!، وكان رؤساء تحريرها والمحررون فيها، يجتمعون بعد عملهم في مقهى الشهبندر حول النراجيل يتسامرون ويتندّرون ويتابعون النقاش، على الرغم من اختلاف توجّهاتهم الفكرية والسياسية، وقال لي أحدهم بعد اغترابه خمسين عاماً في فنزويلا: كنت أقرأ خمس عشرة افتتاحية قبل أن أكتب افتتاحية جريدتي!.

وكانت للأحزاب جرائدها في حلب، ومنها: الأهالي لسان الحزب الحرّ الدستوري عام 1932م، وثمّة.. جريدة سورية الشمالية لصاحبها أنطوان شعراوي وجريدة على كيفك لمحمد فهمي الحفار، وجريدة الجهاد ومجلّتها ـ وحتى

حنين

لا تأخذنا الأسماء الكثيرة، نكتفي بمقطع لشكري كيندر صاحب جريدة التقدم، ينتقد فيها أحد المرشحين على قائمة الكتلة الوطنية في حلب:

«لعلك تستغرب أيها القارئ أن ينقلب رجل في هذه الفترة، من وطني مُتطرف الى حكومي صرف، ويزول عجبك متى علمت أن الرجل لم يتحاش ـ هكذا ـ أن يُبدّل اسمه أو اسم عائلته..»!

أول شاعرات حلب: مريانا مرّاش، وقد صدر ديوانها «بنت فكر» عام 1893م، وعقدت أول صالون أدبي في منزلها، ولما توفي أخوها فرنسيس مرّاش عن تسعة وثلاثين عاماً فحسب، وأكثر من عشر كتب، بينها روايته «غابة الحقّ»، وقصيدة «بوق المحبة»، وقصته الشعرية «الكنوز الغنية في الرموز الميمونية» في 466بيتاً من الشعر المنثور على طريقة الرواة والحكواتية، رثته مريانا بأبيات منها:

من فَقَّهَ الناس في علم وفي أدب ونوَّر الكلّ في شمس من الفكر

خنساءُ صخر بَكَتْهُ حينما نظرت إليه مُلقى بلا سمع ولا بصر

ثمة.. رزق الله حسّون، الذي طبع ديوانه «نفثات» في هارتفورد عام 1867، وهي قصائد شعرية على ألسنة الحيوانات، أهداها للأمير عبد القادر الجزائري.

وأبرز شعراء حلب بالطبع: عمر أبو ريشة، وثمة عمر أبو قوس وشارل الخوري وآخرون، حتى جاء جيل تأثّر بالرومانسية كعلي الزيبق، وبالسوريالية كعلي الناصر وأورخان ميسَّر من روّاد قصيدة النثر، بينما نظم أسعد محفّل قصائده بالفرنسية.

وانتقل شكيب الجابري بالرواية السورية نقلة نوعية في زمانها، برواياته: نهم ـ قدر يلهو ـ وداعاً أفاميا، وكذلك فعل مظفّر سلطان في القصة، وأديب النحوي ـ خليل الهنداوي ـ فاضل السباعي ـ جورج سالم ـ بينما أصدر فاخ المدرس مجموعة واحدة: عود النعنع!.

ومن الأقلام النسائية: نديمة المنقاري من عشرينيات القرن الماضي، وعملت محررة في مجلة «الفجر» ثم أصدرت عام 1930 مجلة «المرأة»، وكانت صفيّة لطفي تكتب باسم: فتاة الفرات، وثريا محيي الدين باسم: زنبقة الوادي، وأصدرت جورجيت حنّوش روايتين: ذهب بعيداً ـ عشيقة حبيبي، وصبيحة عندانى رواية واحدة، وتخصّصت ليلى صايا سالم بأدب الأطفال، وضياء قصبجي بالقصة والرواية.

أبرز كتّاب حلب المعاصرين: وليد إخلاصي، الذي جاوزت مؤلّفاته الأربعين كتاباً في القصة والمسرح والرواية.

بينما كتب عبد الفتاح قلعجي للمسرح ونقده، واختصّ محمود منقذ الهاشمي بالنقد الأدبي والترجمة ثم توالت أجيال، أبرزهم: محمد أبو معتوق ـ فيصل خرتش ـ نيروز مالك.

ثمة.. نهاد سيريس ونادر السباعي ونضال الصالح أصدروا قصصاً وروايات، قبل أن يختص ثالثهم بالنقد الأدبي فحسب، وثانيهم بنشر الكتب، وأولهم بالمسلسلات التلفزيونية!.

وقد بدأ محمد جمال باروت بنقد الشعر وعبد الرزاق عيد بنقد القصة والرواية قبل أن يتحوّلا الى باحثين في الفكر وتاريخ أحزاب العرب ومُشاحنات المجتمع المدني!.

وكان للملتقى الأدبي لجامعة حلب في ثمانينيات قرن مضى دور في نضوج أسماء شعرية جديدة: عبد اللطيف خطاب ـ محمد فؤاد ـ حسين بن حمزة ـ حسين درويش ـ عمر قدور ـ بسام حسين ـ لقمان ديركي ـ صلاح داوود.

وفي القصة: عبد الحليم يوسف ـ نضال الصالح ـ أليس الياس ـ بشار خليلي ـ أحمد عمر، الذي ما إن شارك لأول مرّة حتى سلّمته راية أقصر قاص سوري معاصرا!.

وقد تكون فاتتني أسماء، لكنني لم أستطع إنهاء مقامتي دونما إطلالة على المشهد التشكيلي في حلب، منذ أقدم فنانيها: يوسف المصوّر ـ فنان الأيقونة الحلبية المتوفى عام 1660 ميلادية، وابنه: نعمة المصور، الذي تميّز بدقة التصوير وبنقاء مساحاته اللونية.

وفي مطالع القرن الماضي برز: نديم نجاش ـ نوبار صباغ ـ غالب سالم ـ وهبي حريري ـ حزقيال طوروس ـ ألفريد نجاش ـ رولان خوري.

وتميّز: فاخ المدرس ـ لؤي كيالي ـ سعد يكن ـ يوسف عقيل ـ شريف محرم ـ وحيد مغاربة ـ سامي برهان ـ اسماعيل حسني.

وفي النحت: فتحي محمد ـ عبد الرحمن مؤقت ـ وحيد استنبولي ـ شكيب بشقان ـ زهير دبّاغ ـ جاك وردة.

حيث أقيم أول معرض تشكيلي في حلب عام 1948، وتأسست الجمعية الفنية عام 1950 كأول جمعية تهتم بالتشكيل والنحت، حتى صارت «أكاديمية ساريان للفنون التشكيلية».

من تشكيليات حلب: دورا ألتونيان ـ منيرة أبو ريشة ـ ليلى خانجي.

وعند لوحاتهن.. تقف هذه المقامة لتتأمل لوحة الفسيفساء التي اقترفتها يداها ، فليس بإمكانها سوى اقتراف الكتابة.

حلب
للفنان
سامي راي

شيخ الخطاطين في حلب

محمد عماد محوك

ربما كان الدوار الطفيف الذي تحدثه قلعة حلب، خصوصا في الليــل، ذلك الدوار الذي ينزله بالمرء ماضي المدينة بأكمله. فالتاريخ في كل مكان هنا.. ومامن مهرب، حتى في الأحاديث التي تدور على فنجان شاي في المقاهي قبالة القلعة.

● ماريوس كوشيجوسكي
ترجمة: صخر الحاج حسين

قبالة جسر المدخل المرتفع الذي يؤدي الى القلعة، على بعد أمتار الى الشرق تقبع المدرسة السلطانية التي أنشأها أحد أبناء صلاح الدين، السلطان ظاهر غازي، وأتمها بعد موته ابنه الحاكم السلطان العزيز، حوالي العام 1225. ومع القلعة في شكلها الراهن ينتصب الجامع مثالا رائعا على العمارة الأيوبية التي تجمع الجرأة والأناقة، وواحداً من آخر تجليات تلك الفترة المجيدة التي دشنها صلاح الدين وسرعان ماقوضتها بحلول عام 1260 النزاعات العائلية بعد موت غازي.

ويعد المحراب في قبلية الجامع الأجمل من نوعه وعند الطرف ثمة مقصورة متواضعة تحتوي على أضرحة غازي وزوجته الضيفة خاتون وابنهما العزيز. هنا تنتهي السلطة الأيوبية في غرفة صغيرة، ربما كما ينبغي لها أن تنتهي . فعلى الرغم من كل شيء لم يكن لدى صلاح الدين العظيم عندما توفي المال الكافي لتكاليف دفنه .

ضمن أسوار المدرسة السميك يشعر المرء أنه ابتعد عن العالم وتقلباته، ثمة رجل واحد جعل من ذلك شرطاً لوجوده الفاعل. فطوال الليل وفي غرفة صغيرة قبالة الساحة الرئيسية لا ينى الخطاط محمد عماد محوك يدفع قلمه الذي قدَ من قصبة جاويَة الى أن يأتي خادم الجامع الذي يبلغ من العمر خمسة وثمانين عاما يجر الشمس خلفه.

الغرفة ١ الصومعة.. مثقلة بالصمت وكل مايصل مسامع عماد هو صوت تنفسه وصرير قلمه على الورقة. ذلك القلم الذي صنع من قصبة نحيلة من شجرة نخيل جاوية وهي مادة مشهورة بقوة تحملها وغالبا ما يوسم القلم بأنه «مبعوث الفكر « هكذا يدغم الصوتان في صوت واحد فكل نفس يأخذه عماد يسجل في انتبار الحروف التي يخطها.

لقد استوقفني كما لو أنه تجسيد كامل لما كانت عليه حياة الرهبنة والأديرة في العصور الوسطى؛ ويوافق عماد.. يقول: «هو الصراع ذاته، لكل ذلك منبع واحد، ما يختلف هو الشكل فقط. فهذه الروح المتوهجة هي للجميع سواء جاءت باسم الاسلام او المسيحية « .

وحين أسأله إن كان صوفياً يقول إنه على الرغم من عدم انتمائه الى أي من المدارس الصوفية يعد نفسه « متصوفاً بقلم « وأسأله عن عمره، فيجيب بأنه يعود في التاريخ إلى أوغاريت، حيث اخترعت الأبجدية الأولى حوالي العام 1400 قبل الميلاد.. وعماد ، في زمننا التاريخي في الخمسين من عمره، متجهم، يضع نظارتين عصريتين، متعفف عن الطعام والشراب، يتوقف كل بضع دقائق ليدخن، منضبط، يُضعضِعُه ما في الوجود اليومي من غدوٍ و رَوَاح، شيخ في الخط، والذي يكاد لا يصدق أنه لم يكن له شيخ.

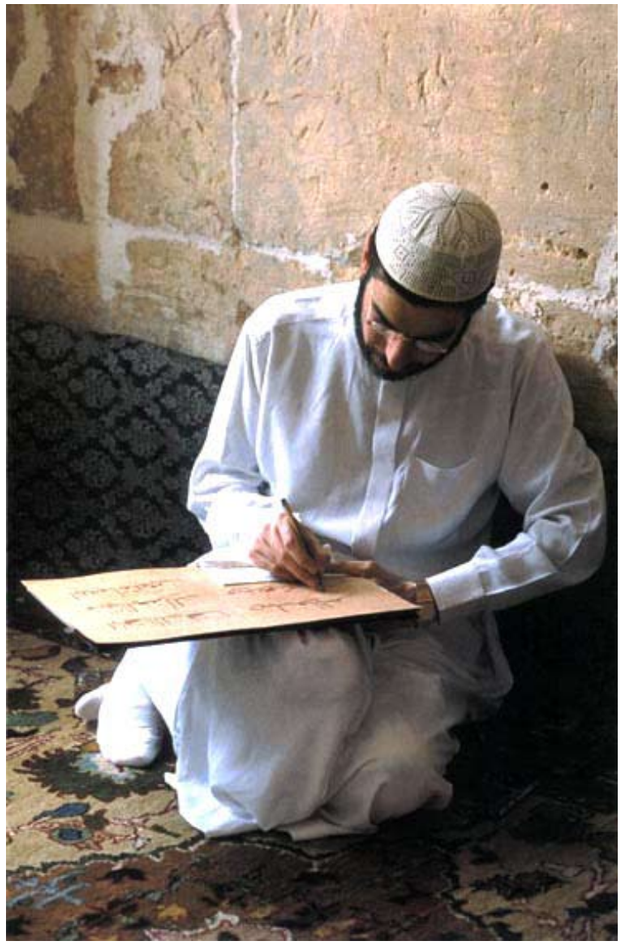

بدأت بسؤاله عن وجوده في هذا الحرم الصومعة.

« هذه الغرفة الصغيرة واحدة من بين غرف أخرى كثيرة في الجامع، وهو حرم بالطبع. وكانت واحدة من المدارس الشائعة قديماً حيث كان الشباب يتعلمون الدين والعلوم . لم يعد للجامع الدور الذي لعبه فيما مضى كجامعة . الغرف التي كانت تؤوي طلاباً باتت تستخدم الآن مستودعات . تعرفت بمدير الأوقاف في حلب وهي التي تملك الأرض والمشرفة على الجوامع . أعجب الرجل بعملي وتدبر لي في البداية أمر محل عند طرف السوق القديم . لكن كان هناك الكثير مما يلهي المرء عن العمل . فما إن أبدأ بالكتابة حتى يأتي أحدهم ويقاطعني . العزلة ضرورية لهذا النوع من العمل . لذلك أعطيت هذه الغرفة مجاناً . هذا المكان يربطني بتاريخنا كله ويبقيني في الوقت ذاته بعيداً عن المجتمع الحديث وصخبه . لأنه معزول خلف جدران سميكة . هذه الحجرة المفعمة بالطاقة تمنحني السكينة وهي الجو المناسب للدخول في الحالة الذهنية اللازمة . لربما كنت في عزلة لكنني لست وحيداً . ليس لدي ساعة هنا . ليس لدي زمن . وبالأحرى إن الزمن الوحيد الذي أشعر به هو عندما لا أعود أقوى على الإمساك بالقلم . سجادة الصلاة بقربي على الدوام . في العادة يصلي الناس جماعة . لكن هذا المكان يقربني من الله أكثر ولذلك أصلي وحيداً . وأول ما أدخل إلى هنا أتوضأ . فالقرآن لا يمسَه إلا المطهرون . والصلاة أيضاً لا بد لها من الوضوء وكذلك عملي . لا يمكن لي أن ابدأ إن لم أتطهر من الخارج . لكني أحتاج أيضاً أن أكون نظيفاً من الداخل . خالي الذهن من مشكلات الحياة اليومية ومجادلاتها . وعندما أجهز، يكون التحدي أمامي . أعرف أبعاد الورقة . وطولها وعرضها . رغم هذا كله يبدو الامر كأنني امشي إلى المجهول. تمنحني هذه الغرفة الصغيرة حيزاً للكتابة غير محدود . عندما أستغرق تماماً أكاد لا أشعر بالكرسي من تحتي . ومن جهة اخرى عندما أكلف بمهمة مأجورة ولا أتفاعل مع الكلمات اشعر انني سجين . وكأن العالم ينهار فوقي « .

وسألت عماد ما الذي شده بداية إلى الخط ؟

« ليس هناك مرحلة أو نقطة معينة قررت عندها أن أصبح خطاطاً . كانت عملية تدريجية . لكن إن عدنا إلى البدايات كان والدي موظفا كاتباً ومع أنه لا يعتبر نفسه خطاطاً كانت لديه أجمل يد في الدنيا . عشقي الأول للخط جاءت من خلال كتاباته . كنت في الخامسة أو السادسة من العمر آنذاك . ورحت أقلده وكان ذلك بالنسبة لي لعبة رائعة . وأول شيء جميل رأيته في حياتي ، وهذا ما أتذكره بوضوح ، كان حرف «الواو» وهو عبارة عن دائرة مع ذيل « .

ثمة حكاية شهيرة تتصل بهذا الحرف السحري قد تكون صحيحة وقد لا تكون ، لكنها مثال على ارتقاء الفنان في مكابدته صوب الإله ولذلك لم يكن غريباً أن تبقى حية في حلقات المعنيين بالخط . وكان من الواضح أن ما حكاه لي عماد هو تنويع على هذه الحكاية بين تنويعات كثيرة ، تنويع يؤكد على تفصيل واحد ، هو تفصيله المتفرد الذي سأحاول هنا أن أعيد تركيبه من مصادر عدة . في عام 1258 غزا المغول بغداد وذبحوا أهلها ودمروا قسماً كبيراً من المدينة بما في ذلك مكتبة بيت الحكمة العظيمة التي كانت تحتوي بعضاً من أعظم كنوز الثقافة الإسلامية . والقوا في نهر دجلة بمخطوطات كثيرة حتى اصطبغت مياه النهر بالحبر اسبوعاً كاملاً . قيل آنذاك إن سماكة الكتب في موضعٍ من النهر بلغت حداً أتاح لجياد المغول

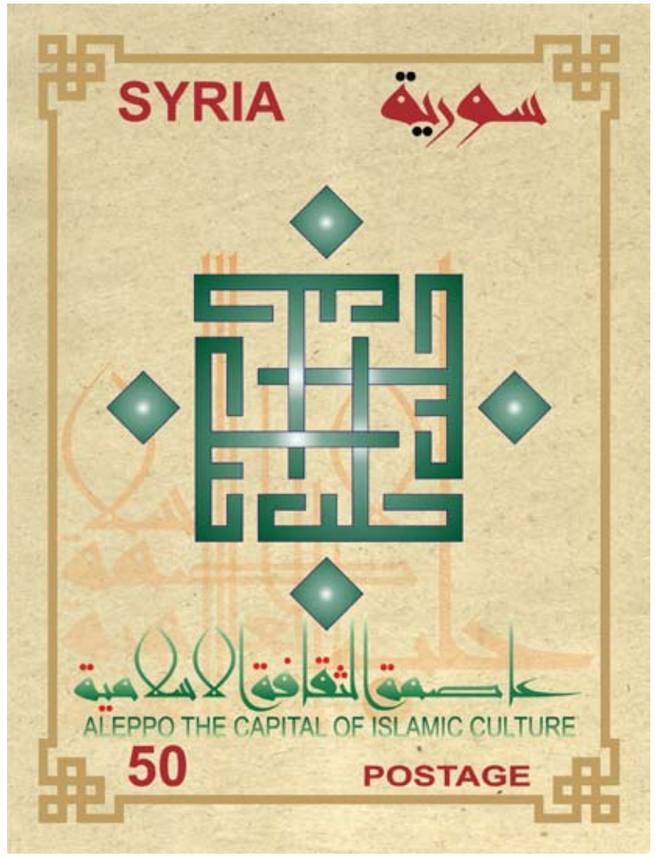

أن تعبر فوقها . وبينما كانت السنة اللهب تلتهم المدينة كان ياقوت المستعصمي أعظم خطاطي عصره مختبئاً في مأذنة لا يفعل شيئاً سوى كتابة «الواو» ، بحسب حكاية عماد . في حين يقول مصدر آخر ، إنه كتب آيات قرآنية على قطعة كتان ، أما الذي لا نزاع فيه فهو أنه نجا من تلك المقتلة العظيمة ، وصورة ياقوت وهو يكتب فوق مأذنة وهو أقرب ما يكون الى الله تظهر في العديد من المنمنمات .

ويتابع عماد قائلاً :

« قد يمضي المرء أشهراً على حرف واحد مستكشفاً كل ابعاده . لقد أمضيت خمسة أو ستة أشهر أحوم حول حرف «النون » . سألني إمام الجامع مرة : هل أنت ذاهب لرؤية حبيبك النون ؟ .

إنها عملية دقيقة جداً ، أحياناً حين يمد المرء حرفاً ويحنيه قليلاً أكثر من اللازم ينتهي في مكان آخر ، في بعد آخر تماماً . وإذا أردت أن ترى جمال الخط لا بد أن تقترب من الحروف لترى مدى جودة العمل . هناك يمكنك أن ترى نَفَسَ الفنان وأين انتقل هذا النفس إلى الحبر ، وأين اجتمع في مكان أو انزاح الى آخر . ويمكنك أيضاً أن تقول كم مرة حبس نفَسَه قبل ان يتم كلمة أو حتى حرفاً واحداً . كما يمكنك أن ترى انه بدأ من هنا وقطع الشوط كله ثم توقف ، وما لبث ان عاد لكي يسيطر على الشكل، بأرفع ريشة يخط تلك الحواف الغامقة « .

من المتعذر تقريباً أن نتخيل خطاطاً أيا كان مستواه من دون أستاذ يرشده ، ولا يحتاج المرء سوى نظرة سريعة إلى سير الخطاطين الكبار كي يتأكد من أنهم ليسوا سوى حلقة في سلسلة تعلم طويلة ، إذ كان عليهم حين كانوا طلاباً أن يمارسوا التقليد ، فلا يمكنهم ولوج مرتبة المحترفين أو الشيوخ إلا بعد أن يكملوا تلك الدراسات . فالخط علاوة على كونه تمريناً روحياً ومحاكاة للخالق ، علم أشكال هندسية وايقاعات دقيق .

وسألت عماد كيف تمكن من شق طريقه وحيداً.

« إن أي إجابة عن هذا السؤال تعيدني إلى تسعينيات القرن العشرين ، عندما ذهبت مرة إلى استانبول . وكثيراً ما يقال إن القرآن نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ،ورتل أجمل ترتيل في القاهرة وكتب أجمل كتابة في استانبول. استانبول مكة الخطاطين إنها قبلتهم ، وثمة أسطورة هناك من أساطير الفن الباقية هو حسن جلبيتلميذ حامد الآمدي أعظم خطاطي العصر الحديث وآخرهم من السلالة العثمانية . عندما ذهبت الى استانبول لم يكن خطي متطوراً كما هو الآن ، ولم تكن تقنياتي هي التي أستخدمها الآن ، كنت اشك في قدراتي ولم أكن واثقاً من الطريقة التي أحرك بها قلمي ، أو حتى من أين أبدأ وأين أنتهي . على أي حال أريت عملي للشيخ حسن جلبي فقال لي : « ما تفعله يأتي من تلقاء ذاته لكنك تفعله بالطريقة الصحيحة على الأقل « . في الوقت ذاته التقيت شيخاً آخر هو نهاد جتين، وحين رأى عملي قال لي : لقد اخترت أن تتعلم بالطريقة الأصعب ، أنت مثل عشبة برية تطلع من صخرة في بيئة قاسية، صحيح أنها عشبة ... صحيح إنها خضراء ... لكنها برية جداً . حقيقة لقد منحني تشبيهه نوعاً من الثقة بالنفس كما زودني بمنظور جديد ، فاغلب الخطاطين الذين يتعلمون من شيوخ مباشرة يميلون إلى حصر أنفسهم فيبقون في القالب ذاته لا يخرجون منه أبداً ، وإن قال شيخهم إن حرفاً يجب أن يكون بطول كذا أو كذا يظلون على كتابته على ذلك النحو ، أما أنا الذي كنت في البرية فقد نسخت الجميع ، تلك هي الطريقة التي تعلمت بها ، نسخ الأساليب جميعها ، حتى أني نسخت خطوطاً رديئة وهذا ما جعلني مرناً ، وعندما يقوم المرء بأعمال الترميم مثلاً ، يجب أن يكون قادراً على قراءة عمل الآخر ومعرفة ما هو الرديء فيه وما الحسن وأن يكتب بالروح ذاتها التي كتب بها ، وبذلك يدخل بعداً جديداً حتى مع خطاط غير متقن الخط بشكل جيد ، ويكتشف اشياء لم يسبق له أن عرفها أو اختبرها ، ولا يمكنك أن تتبنى أسلوب امرئ آخر من دون أن تغير الطريقة التي تمسك بها قلمك ، إنه شيء أشبه بالخروج من مدينتك والذهاب إلى مكان آخر ومن ثم العودة إلى أرضك سالماً مزوداً ببعض الهدايا . لقد أمكنني أن أرى الجمال في عمل كل شيخ لكني تمكنت في الوقت ذاته من شق طريقي الخاص . عندما ذهبت إلى استانبول دخلت بمسابقة تقام مرة كل ثلاث سنوات ويشارك فيها الخطاطون من جميع أنحاء العالم ، أردت أن أثبت شيء ما ، أنهيت لوحتي بيوم ونصف اليوم وهذا لا شيء كزمن وحصلت على واحدة من الجوائز بعد ذلك فقدت الاهتمام .لم أرجع إلى استانبول وبدا الأمر أشبه بالقول لم تعد بي حاجة إلا إلى إعادة الترتيب من جديد.

هل تعتبر نفسك شيخاً بالخط ؟

« قلة من البشر من سمعوا بي ! ليس هدفي أن أحقق هذا الدور، بالنسبة لي هذه عملية طبيعية ، إنها مثل الصلاة ، شيء خاص بي أفعله « .

يقول صلاح العلي في مقالة له بعنوان « الخط الإسلامي : كتابات مقدسة وعلمانية « :
« يكمن عمل الخطاط في البحث عن المطلق ، وهدفه أن ينفذ إلى معنى الحقيقة في حركة لا نهائية تمضي أبعد من العالم الموجود وبهذا يتحد مع الله « . وما يظهر على الورق ، يستنتج العلي ، يكون فريداً كفرادة شخصية من يمسك بالقصبة . عندما تحدثت مع عماد اتضح على الفور أن لا فكاك بالنسبة إليه من فكرة أن الخط فن وشكل من العبادة . فالخط كما يقول هو الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يعبر من خلالها عن حبه للإله .

وسألته ما الذي يحدث عندما يصبح الخط حرفة ؟

« عندما يفقد الخطاط روحه ، يتحول إلى أداة ، ولا يعود ما ينتجه فناً .هناك من يدعون خطاطين يكتبون أسماء الأشخاص وهم لا يستحقون أن يمسكوا القلم ، يمكن للمرء أن يميز بين الحرفي والفنان ، قد يقدم الحرفي شغلاً رائعاً لكنه ليس فناً بالضرورة لأن الحب - الروح - مفقود .
يجب أن يكون هناك توازن ويجب أن تكون هناك قواعد ، ومع أن الخط ليس بهذا الانفتاح فإن هنالك حرية ، والخطاط الفنان يوازن بين هذين الأمرين الحرية والانضباط ، وينتج شيئاً جديداً يمضي إلى منطقة مجهولة من دون أن يعبث بالقواعد . الخط في النهاية هو التعبير عن حالة عقلية « .

وكان طبيعياً أن يصل بنا هذا إلى مسألة الإلهام الروحي .
« نادر تماماً لكنه حصل لي عدة مرات لدى كتابة القرآن الكريم خاصة ،إذا ما كانت الآية مناسبة بالفعل رائعة ، أن شعرت بتلك الخفة ، وهنا أحلق أتوحد مع الكلمات ، أو فلنقل أجيء إلى الورقة وأرى نفسي أنسخ ما هو هناك أصلاً . يبدو الأمر كأن نوعاً من القدر يحركني والنص موجود أصلاً ، على نحو ما ، فلا يميزني سوى أنني أول من يرى النص قد كتب . ثمة عبارات وآيات في القرآن الكريم وأيضاً في الحديث الشريف ودونهما بالغة الشاعرية والقوة ومفعمة بالموسيقا كالقول المأثور عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بانه « غريب الغرباء « .
قيل إن الخط «هندسة الروح « . وها أنت ذا في هذا المكان الخاص حيث تقيم علاقة بين القلم « القلم الإلهي الأعظم « ، وقلمك أنت ، لو سلمنا بأن ذلك الإلهام يمر عبر الجسد ، فما مدى اهمية ما هو مادي؟
« تتحقق الروح مادياً عبر الخط . ومفتاح هذه الحالة جسد الإنسان الذي هو الناقل بين الله والورق ، لذلك ، نعم ، هو فعل مادي ومسك القلم ضروري بالمطلق في هذه العملية ، لكن الطبيعة الحقة لهذه العلاقة تتجلى على الورقة ، إنها بينتي ، إنها شاهدي . من السهل نسبياً أن يكتب المرء سطراً واحداً ، أما أن يكتب عدة صفحات بالأسلوب نفسه بحيث تقدم كلاً منسجماً فذلك هو التحدي الكبير ، هناك بالطبع صراع لا ينتهي بين الجسد والروح ، تريد الروح أن تخترق الإطار المادي وأن تمتد وتصل وتفر من أسرها ، لكنها ترتطم دائماً بجدران هذا الجسد وتذل المرء، عندما أعمل وأعطش قد يكون الماء على مسافة مترين ، لكني لا اترك ورقتي وقلمي فقط كي اسكت جسدي ، قد أتناول قطعة من البسكويت كي أواصل لأنني لا أريد لجسدي أن يتحكم بي ، تقول له الروح « هذا ليس وقتك ، هو وقتي .هذا وقت الروح، فدعني أحلق ، إنني أفعل ذلك الآن ، فلا تذلني بحاجاتك السخيفة « .
في كتابه الفن الإسلامي والروحانية (1987) ، يلفت سيد حسين نصر الانتباه إلى العلاقة بين القصبة كأداة للكتابة وآلة موسيقية (الناي) ويقول :» شدو الناي هو نظير حروف الخطاط وكلماته « . وقد دعا الشاعر الصوفي العظيم جلال الدين الرومي جمهوره لأن يصغوا إلى شدو الناي وهي ترثي انفصالها عن منبتها . وقعت إثارتي هذا الموضوع مع عماد على مصادفة سعيدة .
« أحد أصدقائي موسيقي عظيم ، وخطتي أن نقيم عرضاً يعزف فيه الناي بينما أخطط ، واحدنا يسر العين والآخر الأذن . القلم والناي منشؤهما من المادة ذاتها ، والواقع أن كلمة «ناي» تعني القصبة . وفي بعض أنحاء مصر الكلمة العامية التي تدل على الناي هي «القصبة» . كما تدل على الحنجرة أيضاً . لذلك هناك هذه العلاقة المعقدة التي تواؤم فيها هذه الأشياء جميعاً لتخلق حالة خاصة :» يُرى» عندها الناي والقلم «يُسمع» .

هل تعتبر أنك تدافع عن فن يحتضر ؟ وكيف تنظر إلى نفسك في التراث ؟

« لست أرى الخط فناً يحتضر لأن الإلهام أقوى ، والقرآن الكريم هو المصدر الأساس وقوته ، لا بد ان تلهمني أو تلهم سواي . ثمة آية تقول : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .نص الكتاب لا يتغير لأنه محفوظ وليس لأحد أن يبدل فيه . وأنا مجرد أداة لإخراج تلك الكلمات إلى نور اللوحة ، جمال الخط هو ما مكنني من أرى القرآن ، والقرآن علمني الصلاة وقربني من الله ، وما دام القرآن موجوداً فلا نهاية للخط ز أما من جهة أخرى ، فالحياة تتحرك بسرعة بالغة تنفد صبر البشر وتبعدهم عن مثل هذه الأنواع من النشاط ، وهناك الآن طرق كثيرة لإنتاج أعمال تكاد أن تكون لها النوعية ذاتها ، حتى على الكومبيوتر ، لكنها ليست ذاتها ولا يمكن أن تكون . الخط عملية طويلة ومعقدة ولا يمكن التمكن منها في وقت قصير ، على المرء أن يكون لديه الخلفية الصحيحة والإلهام المتوقد « .

عندما تستخدم جهاز الكمبيوتر ، كما أحسب أنك تفعل في بعض الأحيان ، أليس هذا ضد تقاليد هذا الفن ؟

« أتضايق من نفسي لأنني أستخدمه ، لكن هذه مجرد مرحلة ، استكشاف لجميع المناطق ، أريد أن أعرف كل شيء وكل أبعاد الحرف وأن أكون في كل مكان ، الكمبيوتر مفيد في المشروعات الصغيرة ، الميداليات وبطاقات المعايدة ، أو لمسح وطباعة عمل سبق أن أنجزته ، لكنه لا يستطيع قط أن يكون الواسطة لخلق حالة روحية أو ذهنية ، بإمكان أي شخص استخدام الكمبيوتر لكن النوعية لن تكون ذاتها ولا التفاعل نفسه . الخط هو الخط وذلك مقدس . ربما استخدم الكمبيوتر لتصميم نموذج زخرفي أو خلفية ، وبدلاً من إعادة رسم هذا الحد من الوحدة الزخرفية عشرات المرات أقوم بذلك على الكمبيوتر بسهولة وسرعة كبيرة .

ثمة هنا قياس تاريخي لافت . يعود تاريخه إلى ما يدعى «عهد الزنبق» من الحكم العثماني عندما أدخل ابراهيم متفرقة ، وهو ترنسلفاني اعتنق الإسلام ، أول مطبعة بالأحرف العربية إلى استانبول في كانون الأول من عام 1727 . تظاهر الخطاطون والمزخرفون والكتاب في الشوارع خشية منهم على مستقبلهم وحملوا معهم كفناً وضعوا فيه أدوات مهنتهم ، وحين بلغ موكب الجنازة الصورية هذا جامع السلطان أحمد ، حيث صلي على الميت ، سأل السلطان أحمد الثالث الذي أصدر الفرمان بتأسيس دار الطباعة ،من الذي مات من الشيوخ ، فجاء الجواب :» لم يمت شيخ بل ماتت المشيخة جميعاً «

ومع أن مغامرة متفرقة الطباعية لم تصل إلى أكثر من سبعة عشر عنواناً جميعها ذات طابع غير ديني ، لكنها كانت نقطة انعطاف في تاريخ الخط ، ويمكن القول إنها كانت اليوم الذي بدأت فيه «موسيقى العيون» تموت . وبالمقابل فإن اختراع الطباعة ربما يكون قد حرر الخطاطين من عناء القيام بأمور ليست على سوية فنية كبيرة . يوافق عماد على هذا ويقول إن التكنولوجيا الحديثة ميزت الخطاط الحقيقي من الذي يكتب فحسب أو يعمل على الكمبيوتر ، وبذلك اكتسب الخط مكانة مهيبة أرفع شأناً .

« إذاً كيف ترى دور الخطاط في العالم الحديث ؟»

« بات أكثر أهمية في الأزمنة المظلمة والصعبة ، والشيء الأساسي هو أن يكون المرء صادقاً في عمله ، والمؤسف في عالم اليوم أن هذا ليس كافياً ، فالخطاط بحاجة إلى الانتشار ، بحاجة لأن يكون على اتصال بالناس ... وإلى تغطية إعلامية وتسويق بحيث يضع هذه الأشياء أمام الجميع ، وأنا لست بقادر على هذا ، إنها عمل مؤسسات « .

حتى تاريخه انتج عماد عملين كبيرين ، أولهما لفافة مذهلة طولها 10.65 م. استغرق إتمامها عاماً ونصف العام ، وتحتوي على آيات مختارة من القرآن الكريم من بينها وأهمها سورة الإخلاص التي تُعلن فيها وحدانية الله المطلقة - الصمدية - وقد كتبت هذه اللفافة بأساليب خطية مختلفة ، تراوحت من الكلاسيكي إلى الحديث ، كل ذلك نمنمةً وتوشية بالذهب ، ومن بين الخطوط المستخدمة «الغُباري» الناعم الذي غالباً ما يستخدم في الحدود . ابتسم عماد إذ تذكر أنه أتمّ هذا العمل من دون أية أخطاء .

« كنت عصبياً جداً وأنا أنجز الاثني عشر سنتيمتراً الأخيرة التي كتبت ب « النسختعليق» أو الفارسي ، الذي سمي بهذا الاسم لأنه أشتهر بإيران. ولأنني كنت في هذه الحالة فقد استغرق مني الأمر أسبوعاً كاملا لأخطه « .

قلت إنك أتممت اللفافة من دون أن ترتكب أية أخطاء ، لكن الا يفترض ان تكون قد تركت خللاً ما ؟

« نعم ، في تراثنا الإسلامي نعتقد أن الكمال لله وحده وأن البشر عاجزون عن الكمال . لو نظرت إلى التكوينات الهندسية في سجادة شرقية فسترى كل شيء متكامل حتى أدق التفاصيل وليس هناك من

أخطاء ، على الأقل هندسياً ، لكن إن تمعنت أكثر فسوف تجد ان الصانع قد أغفل شيئاً ما عن عمد أو سهوٍ . بعد ان أنهيت اللفافة لم أشعر بالقدرة على أن أستمر ، كنت على وشك أن أكسر جميع أقلامي وأبدأ من جديد شيئاً أفضل ، وهذا يعني أن ما أنجزته للتو لم يكن كاملاً . في البداية كنت بالغ الطموح ووضعت في ذلك كل ما لدي ، لكني أدركت في النهاية أنه لا يزال هناك الكثير مما ينبغي أن أتعلمه وأن علي أن أبدأ من جديد . إنها عملية لا تنفك تتطور . والشيء الآخر، وأنا أتحدث الآن من وجهة نظر المراقب ، هو أن معظم البشر ، لأنهم لم تسنح لهم فرصة التمتع بالتراث القديم وتقديره تغرهم المظاهر بسهولة ولا يعثرون على الكنز الحقيقي إلا حين يرون الأشياء الصحيحة . ما لدينا الآن هو جمهور ليس لديهم أية معرفة أساسية أو ممارسة في الخط الفعلي ينتجون أشياء قد تبدو مؤثرة لأولئك الذين لا يعرفون أي شيء عن الطريقة التي يجب أن تسير عليها الأمور أي شيء جديد يجب أن يأتي من تطور حقيقي ولست أسعى خلف أي فقاعة من فقاعات الشهرة « .

كذلك . أتم عماد نسخة من القرآن الكريم في ثلاثين مجلداً من الأجزاء المنفصلة بخمسة سطور في كل صفحة ، ووصل مجموع الأسطر إلى خمسة عشر ألف وعدد الصفحات إلى ثلاث آلاف . وقد شكلت هذه النسخة أساساً لمشروع جديد يعمل عليه حالياً ، ويقدر انجازه سيستغرق خمسة عشر شهراً . بقيت هوية الجهة التي كلفت عماد بهذا المشروع مجهولة لكن سيكون - على حد تعبيره - مشروع تحقيق الحلم .

« أحب ان أفكر بأن ليس هناك ما يدعى خطأً وأن ما من شيء قد نقش في الحجر ، هناك الخطاط فحسب ، فبقدر ما أقدر الأشكال التقليدية أحب أن اقدم شيئاً لا يشبه خط «س» أو «ع» ممن سبقوني ، بل هو خطي . ما أقوم به الآن ألهمتني إياه مدرسة في الخط تكاد أن تكون قد نسيت ، هي مدرسة «المحقق» التي تعود بشكل أساسي إلى العهد العباسي لكنها بدأت خلال العهد الأموي . لقد طور العباسيون هذه المدرسة إلى شكلها المعروف ، واستخدمها العثمانيون بداية لكنهم أزاحوها ومن ثم نسوها . ويمكن القول إنها الخط الأبهى ، ففيها توازن بين البسيط جداً والمعقد جداً ، خلافاً للخطوط العثمانية بالغة التعقيد ، ما جعلها تشكل تحدياً بحد ذاتها . أود لو أعيد هذا كله إلى الورق ولكن مع شيء من أسلوبي . سأفعل شيئاً مختلفاً مع الألف والراء والواو جاعلاً منهم أطول بغية إعطاء التوازن مزيداً من الأناقة . لقد نسخت القرآن الكريم من قبل وكنت أفكر في نشره لكن كانت هناك بعض المشكلات . عندما انتهيت من أول نسخة للقرآن كتبتها ، استحوذت علي رؤيا نسخة أخرى أجمل ،هي التي وصفتها للتو . وما كنت أسعى إليه في الحقيقة هو هذا التكليف ، أفضل الأفضل . زكان يمكن أن يعطى لآخرين ، لكن الله أغاثني في النهاية «.

«إلى أي مدى تشعر بأنك قادر على أن تخلق شيئاً جديداً ؟»

أنا دائم الاتهام لمدارس الخط التي كان العثمانيون شيوخها ، بالوقوع في شرك الالتزام بالقواعد التي لا يستطيعون منها فكاكاً ، فهم ينتجون الأشكال ذاتها دائماً . ورغم أنني لست أنتمي إلى مدرسة أو شيخ ، أعتقد أنني ما زلت محافظاً جداً في مقاربتي . أحاول دائماً أن أضيف أشياء ، لكنني أبقي على التزامي واحترامي البالغ للتعاليم القديمة والقواعد والتوازنات القديمة . فما أخطه لا يراه خطاطون آخرون معينون أو بعضاً من أولئك الفنانون المعاصرونالذين يدخلون الخط في أعمالهم كشيء حديث معاصر ، إنهم يقحمون الحروف في التشكيل ، وهذا يكاد بالنسبة لي أن يكون انتهاكاً لحرمتها . يمكنك أن ترجّل إلى حد معين لكن لا يمكنك أن تعبث بصلب الموضوع . لقد ميزنا سابقاً بين اولئك الذين يتشبثون بالتقاليد القديمة ولا يتقدمون إلى الأمام وبين اولئك الذين يحثون ويقفزون في الهواء كلما اعتقدوا أنهم يأتون بجديد . لا أرى نفسي أنتمي إلى أي من هاتين الجماعتين . أحاول أن أكون مثل موسيقي يفهم أشياء كثيرة عن آلته ويعرف قدراتها قبل أن يعزف فتعمل بالطريقة التي صممت لها . ما أحسبه جديداً يأتي على نحو طبيعي مع أشياء تعلمتها من التراث الكلاسيكي. وأي شيء إضافي يجب أن يأتي بحسب ما تسمح تلك الأدوات والتعاليم والرؤى . على المرء ألا يحاول أن يطبل على الكمان كما يفعل بعضهم «.

عندما تركت عماد وخطوت إلى الخارج ، متفكراً إن كان مثل هذا الجمع ممكناً . أومأ القمر الذي كان فوق قلعة حلب قبالتنا بأن وقت النوم قد حان بالسبة لي ، أما بالنسبة لشيخ الخطاطين في حلب فلم يكن ذلك يعني سوى بداية ليلة أخرى من العمل والصلاة .

كاريكاتير

• ثورة سوريا
بعد تونس وليبيا ومصر اقدر اقولك
حسبى الله ونعم الوكيل فى اللى
سماه أسد هايطّلع علينا سمعه
ان الاسود أغبياء

THERE, SEE?
I TOLD YOU I WOULD STOP SHOOTING.
DARYL CAGLE
MSNBC.COM

MIDDLE EAST

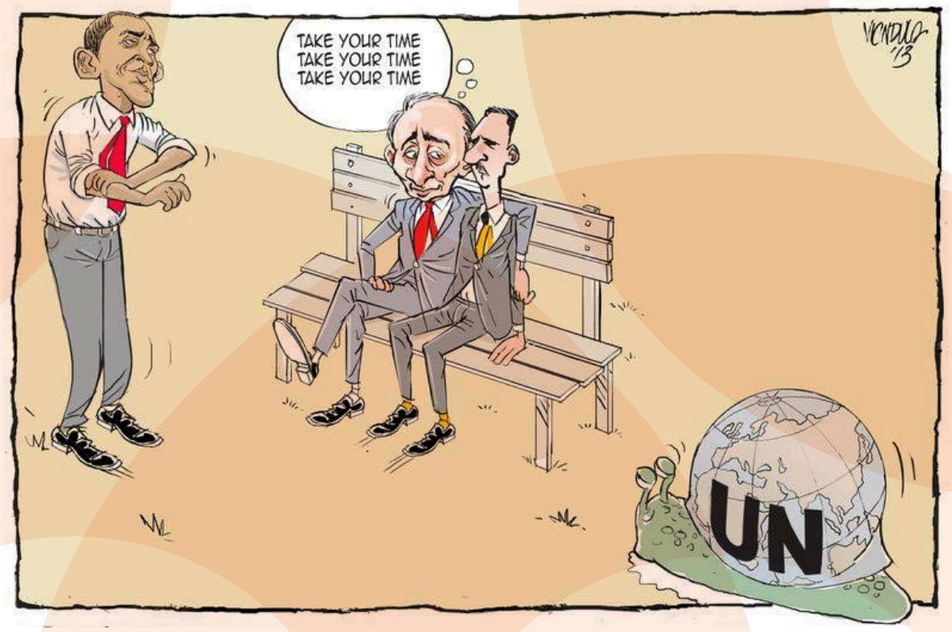
TAKE YOUR TIME
TAKE YOUR TIME
TAKE YOUR TIME
UN

SYRIA
UN

فش احلى من
الدم الفلسطيني
ماجدة

BASHAR
AL-ASAD
PRESIDENT

أسعار صرف الأسرى
جندي ايراني
50 معتقل سوري
جندي حزب الله
12 معتقل سوري
طيار مدني تركي
0.22 جندي حزب الله
جندي سوري
0
عم قلك الجندي السوري بيخسر معي مالي مصلحة!!

الشرق الأوسط الجديد

الشعوب في زمن الثورة السورية

● بدرالدين عرودكي

لم يكن جان بيير فيليو بحاجة إلى المراجع بقدر حاجته إلى الوثائق كي يكتب عن الحراك الثوري الذي بدأ انفجاره في العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه خلال الأشهر الأخيرة من عام 2010. فقد عرفَ العالم العربي عن كثب أولاً من خلال رحلاته الدراسية التي لم تتوقف عند دراسة اللغة العربية بل تجاوزتها إلى تاريخ المنطقة الاجتماعي والسياسي والثقافي. وعرف بلاد الشام خصوصاً من خلال رحلات عديدة ولاسيما إقامته في الأردن أولاً ثم في سوريا بعد ذلك عدداً من السنوات بوصفه دبلوماسياً في سفارة فرنسا بعمان ثم بدمشق، مثلما عرف من بعد المغرب العربي حين عمل أيضاً في سفارة بلده بتونس. ذلك كله من أجل إغناء تجربته كاتباً ومفكراً سياسياً قبل أن يستقرّ أستاذاً في معهد العلوم السياسية بباريس وأستاذاً زائراً في العديد من جامعات أوربا وأمريكا. على أنَّ ما يقوله أو ما يكتبه في هذه الظروف، وفي الظروف التي تعيشها الثورة السورية، في الندوات أو في البرامج الإذاعية والتلفزيونية حول ما يجري في العالم العربي يكتسب بعداً شديد الأهمية، لا لأنه واحدٌ من ألمع أبناء جيله في مجال اختصاصه فحسب بل لأنه ينتمي إلى تيار سياسيٍّ يساري عجز أغلب المثقفين فيه في فهمهم للحراك الثوري العربي وفي كتاباتهم حوله عن تجاوز قوالب فكرية عفى عليها الزمن أو عن إدراك الدلالات التاريخية العميقة لما يجري تحت أعينهم وعلى حدود قارّتهم الجنوبية تحديداً.

هل ما يحدث في العالم العربي ثورة؟ أم هي طفرات احتجاج؟ أم حركات تمرد؟ لم يتردد جان بيير فيليو، منذ البداية، في أن يسمي الأشياء بأسمائها بدلاً من التلاعب بالألفاظ الذي كان ديدن سواه ممن يتقدمون الصفوف دوماً بوصفهم مختصين بالعالم العربي.

ما يحدث هو ثورة. وهي، على وجه الدقة، ثورة من أجل الديمقراطية.

وكان كتابه الأول الذي صدر بباريس بعد أقل من تسعة أشهر على بدء الحراك الثوري في تونس يحمل عنوان: الثورة العربية: عشرة دروس حول الانتفاضة الديمقراطية الذي أهداه. ولم يكن ذلك من قبيل الصدفة، إلى كلٍّ من سمير قصير وعمر أميرالاي اللذين كانا، على غياب الأول اغتيالاً ببيروت يوم 2 حزيران عام 2005 ورحيل الثاني بدمشق في 5 شباط عام 2011، من أوائل المبشرين بهذه الثورة العربية القائمة الآن في أرجاء العالم العربي وفي سورية خصوصاً.

وعلى أن جان بيير فيليو يده في هذا الكتاب على المعالم الرئيسة لهذه الثورة الجديدة في العالم العربي، إلا أن معظم التعليقات على الكتاب تلافت الحديث عن هذه المميزات أو المعالم لتشير إلى خطر الجماعات الإرهابية وإلى المتشددين الإسلاميين سواء في تونس أو في مصر قبل أن ترفع بوضوح عندما احتلت الثورة السورية مقدمة المشهد، أصابع الاتهام إلى الجماعات الإسلامية، معتبرة أن ما يحدث ليس أكثر من حرب أهلية رغم كل الوقائع التي كانت ولا تزال تكذب هذه التسمية الزائفة.

ولأن ما آلت إليه الحركة الثورية في سورية من تعقيد بدا عسير الفهم والتحليل على الجمهور في الغرب لا بل على معظم من امتهنوا حرفة التحليل السياسي، كان لابد من جهد علمي ومعرفة ميدانية يضعان الوقائع الجارية على الأرض ضمن بعدها التاريخي والاجتماعي، البعيد والحديث في آن واحد. ذلك على وجه الخصوص منطلق ومآل كتاب جان بيير فيليو الأخير الذي صدر قبل عدة أشهر حاملاً عنوان: الشرق الأوسط الجديد، الشعوب في زمن الثورة السورية.

يعود المؤلف بنا إلى اللحظة التي ابتكرَ فيها أميرالٌ أمريكي مغمور، ألفريد ماهان، مصطلحَ الشرق الأوسط في السنة الثانية من القرن الماضي، لكي يبيّن أهمية الموقع الجغرافي فضلاً عن الدور التاريخي لما يسمّى اليوم بسورية. وسيشير إلى عدد من العلامات التاريخية طبعت هذا البلد بطابعها. مائتا عام من الحروب الصليبية لم تؤديا إلى أيِّ خلط بين المسيحية المحلية والمعتدين الفرنجة. واستمرّت سوريا حرَماً لطوائف مختلفة سواء من مسيحيي الشرق الذين كانوا فيها قبل حكم الأمويين أو تلك التي تفرعت عن الإسلام ولجأت إليها تحت حكم العباسيين. لكن بعض الجروح تركت بعض الأثر أيضاً مثل «اضطهاد المماليك للعلويين فيها والذي بلغ أوجه في مذبحة 1317».

سيبدأ صراع القوى الكبرى على سورية منذ وصول إبراهيم باشا إلى الأناضول وسيطرته على بلاد الشام بأكملها وذلك باستنفار البريطانيين والفرنسيين والروس أنفسهم لتقاسم نفوذٍ أجّله اتفاق بين العثمانيين والمصريين عام 1833 يجلو بموجبه إبراهيم باشا عن الأناضول مقابل الاعتراف به حاكماً لسورية والحجاز وليمهد له من جديد استعادة الباب العالي عام 1840 بموجب اتفاقية لندن هذه المرة السيطرة على يسورية وارتباط المسيحيين الأرثوذكس بالروس والكاثوليك بالفرنسيين والدروز بالبريطانيين. لابل حتى ارتباط البروتستانت على قلتهم وضعفهم بولاية نيويورك التي رعت افتتاح«الكلية السورية البروتستانتية» التي استحالت فيما بعد «الجامعة الأمريكية في بيروت»!

كان مآل هذا الصراع سورية الحالية، أي هذا البناء الذي صنعته هذه القوى الاستعمارية مع انتهاء الحرب العالمية الأولى في قلب هذا الشرق الأوسط. كيان حاول طوال الخمسين عاماً الأولى أن يبحث عن مكانه وعن الدور الذي يمكن أن يكون دوره فيه، سواء خلال نضاله للتحرر من الاستعمار الفرنسي أو عبر سلسلة الانقلابات العسكرية التي تلت الاستقلال ومحاولات الوحدة المتعددة مع العراق أو مع مصر وصولاً إلى الانقلاب الأكبر الذي اتخذ اسماً له: الحركة التصحيحية، قام به ضابط عسكري كان وزيراً للدفاع عندما حدثت هزيمة حزيران عام 1967!

في هذا الانقلاب نما جذر الثورة السورية الحالية. لقد أدرك هذا المتآمر العنيد أن بوسعه من أجل توطيد سلطته المطلقة أن يعمل على أن تتواجد سورية في قلب هذا الشرق الأوسط، من خلال الحيلولة دون أن تظل «لعبة تنافس بين الدول العربية» والعمل على «تعديل قواعد اللعبة لصالحها».

كان ذلك يتطلب من صاحب الانقلاب، كما يرى ج. ب. فيليو، استراتيجية محكمة لتثبيت حكمه أولاً ثم العمل على بناء نسق من الحكم حجراً وراء حجر. قامت استراتيجيته على أربع قواعد: التخلص من كافة منافسيه: دستور وجبهة وطنية تقدمية: حربٌ يمحو بها ذلّ حرب حزيران:

السيطرة على لبنان بموافقة عربية علنية (وأمريكية ضمنية!). أما بناءُ عمارة نسق الحكم فقد احتاج إلى سبع سنوات اعتباراً من عام 1974. بناءٌ من خمسة طوابق: تجميد جبهة الجولان؛ إخضاع لبنان؛ دعم الخليج المالي؛ دعم روسيا العسكري؛ التحالف مع إيران. أما الجدران الحاملة فهي: تعدّد المراكز الأمنية (بين 12 و 16) والحيلولة دون نموّ قطب جوهري في السلطة باستثناء رأسها؛ تفريغ السياسة في الداخل السوري أو ما أطلق عليه ميشيل سورا عام 1984: درجة الصفر في السياسة؛ التوافق في المصالح بين إسرائيل والنظام السوري كما تجلى في الخلاص من «الدولة في الدولة» الفلسطينية في لبنان؛ قطع دابر أي معارضة لاتقبل بأولوية حزب البعث وهيمنته. وأخيراً ضمان شرعيته في الداخل اعتماداً على نظرة الخارج(بسمارك العرب «كيسنجر؛ صلاح الدين الجديد «كارتر»؛ إلخ). مع بداية التسعينات أضيفَ طابق آخر: ضمان الولايات المتحدة لنظام الأسد مقابل السلام مع إسرائيل، ذلك لضمان التوريث الذي كان قد انتهى من تثبيت أركانه.

مع وصول بشار الأسد إلى الحكم، بدأ عهد الجمهورية الوراثية، على غرار كوريا الشمالية. ومعه سيتلاشى دور الحزب بالتدريج ليحل الأمن، اعتباراً من عام 2005 ، بأقسامه جميعاً.

سيقوم الوريث بإدخال لمسة شخصية على المعمار الذي وضعه المورّث للنظام، تمثلت في إدخاله تركيا منذ تدخله في قضية أوجلان من ناحية وفي تقديم مصلحة النظام على مصلحة الدولة عبر ماهاتهما كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وقد ألقت السرعة التي تم بها القضاء على ربيع دمشق والزج بالمعارضين في السجون من جديد الضوء على التكامل بين البعدين الداخلي والخارجي من أجل إنكار تطلعات الشعب السوري. ذلك ما يفسّرُ كما يقول المرلف أن الثورة السورية اندلعت أخيراً من الأسفل لا من النخب المثقفة أو الطلائع السياسية المناضلة وأنها وضعت هدفاً لها لا سقوط النظام فحسب بل تحطيم الوسائل الدولية في الأمن التي أقفلت نسق الأسد وعمارته التي كفلت استمرار نظامه.

سوى أن هذا النسق وهذا المعمار على نجاحهما في اجتياز أشد الأزمات خلال أعوام 1982/1979 ثم 1984/1983 بما في ذلك عام الخروج من لبنان (2005) سيواجه، اعتباراً من 15 آذار 2011، المشكلة التي سهرَعلى تلافيها، استعادة الداخل للسياسة!

استعيدت السياسة من خلال المواسم التي عاشتها الثورة السورية بدءاً من آذار 2011. وستؤلف هذه المواسم إيقاع كتاب جان بيير فيليو.

حين بدأت الجماهير تتحرك هنا وهناك في العالم العربي، لم يكن الردّ كما يسجل المؤلف موجهاً إلى الداخل بل إلى الخارج: ففي مقابلته الشهيرة مع وول ستريت جورنال قبل شهر ونصف من اندلاع الثورة السورية أمعن الأسد في نفي الواقع عندما عبر عن أن همَّه ينصبُّ لا على ما إذا كان يمكن لوضع مشابه لما حدث في تونس أوفي مصر ان يحدث في سورية بل إلى أيّ درجة يمكن لهذه «الاضطرابات» أن تؤثر على بلده بطريقة مباشرة أو غير مباشرة! ثم جاء تصريح رامي مخلوف إلى صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ 10 أيار 2011 الذي يماهي فيه بين استقرار سورية في استقرار إسرائيل!

يذكر هذان الموقفان بتعليق كارل ماركس وهو يفسر شخصية نابليون الثالث في ضوء نابليون الأول: «تتكرر الشخصيات التاريخية الكبرى مرتين إن جاز القول (...): المرة الأولى بوصفها مأساوية، والثانية بوصفها هزلية!» على أن هذا الهزل كان يصنع المآسي ثم جاء عنف النظام وقسوته غير المسبوقين ليجعلا من الثورة خياراً لارجعة عنه.

ويلاحظ المؤلف أنه على الرغم من أنه بدا واضحاً للجميع أن القاعدة الاجتماعية التي قام عليها حزب البعث كانت في سبيلها إلى أن تحقق انعطافها التاريخي بدءاً من درعا، إلا أن المدن سرعان ما استجابت وبقوة اعتباراً من بداية صيف 2011، صيف المدن كما يسميه المؤلف: فقد ملأت المظاهرات شوارع وساحات حمص، وحماه، ودير الزور، والحسكة، والرقة، واللاذقية. مظاهرات سلمية، تنادي بالكرامة والحرية ورحيل النظام. لكنّ القمع العنيف كان في انتظارها، مثلما كانت عداوة حليفي النظام، روسيا وإيران، دبلوماسياً في البداية ثم بالوسائل كلها، أي بالسلاح وبالرجال. ذلك ما يفسر معنى ما أسرّ به بشار الأسد لمقربيه من أن النظام لا يمكنه الصمود مالم يجعل كل جيل يعيش إرهاب المقتلة التي عاشتها حماه عام 1982.

لن يهمل المؤلف شيئاً من دقائق مسار الثورة، ولاسيما التنسيقيات التي انبثقت عنها أو ظهورالصحافيين غير المحترفين الذين برزت فعاليتهم أمام إغلاق حدود سورية أمام الصحافة العالمية، ثم تأسيس المجلس الوطني الذي سيثير ضروب النزاعات والحروب كلها، من النظام وإعلامه، ثم من تيارات المعارضة ذاتها بمختلف شخصياتها أو تكويناتها. وسيؤرخ لأول استخدام لتعبير «الاحتلال الأسدي» الذي عممته اللجنة العامة للثورة السورية اعتباراً من 12 تشرين أول 2011 أو لاستخدام قناة الجزيرة تعبيري الجيش النظامي والجيش الحر بعد ذلك. ولن يهمل المؤلف كذلك الإشارة في الوقت نفسه إلى المفارقة التي كان يعمل الأسد على بقائها. صار مثل أبيه زعيم حرب، ولن يهمه أن يكون رئيس عصابة يقودها إلى الثأر الطائفي بقدر ما كان يهمه أن يُعامَل كرئيس دولة. أكد الواقع المرير نجاحه في ذلك: يمارس مثلوه في مختلف دول العالم مهامهم والنظام قائمٌ وهو رئيسه. ذلك ما يجعله يشعر بنفسه حراً تماماً في ممارسة إرهابه دون خوف من أي عقاب.

سياسة

سيشهد خريف 2011 التحول الأساس في ثورة الشعب السوري بعد أن بدأت الثورة تطالب بالإصلاح (الحرية والكرامة) ها هي تطالب بإسقاط النظام. وأمام العنف الذي مارسته الأجهزة الأمنية وانفضاض أصدقاء النظام المقربين من حوله ولا سيما تركيا وقطر انتقلت المشكلة بين النظام وشعبه إلى الجامعة العربية. لكن الجامعة ومهمة مبعوثيها ستفشل وستنتقل المهمة إلى الأمم المتحدة..

في الوقت نفسه كان المجلس الوطني يتعثر بين متطلبات الداخل الملحة وحاجاته وبين حاجته للحصول على الشرعية الدولية التي تسمح له بمواجهة عنف النظام. سوى أن من أطلقوا على أنفسهم أصدقاء سورية كانوا «أكثر اهتماماً بمناقشة تمثيلية المجلس للقوى المعارضة من مواجهة التحدي الخاص بالتدويل.

أما النظام فسيسعى بكل قواه مستفيداً من تجاربه السابقة في لبنان وفي العراق لكي يجعل مما نشره إعلامه عن الإمارات السلفية في سورية التي كانت محض خيال واقعاً حياً. فكان دخول القاعدة مع نداء الظواهري وظهور جبهة النصرة وتحرير أبي مصعب السوري الذي اعتقله الأمريكان وسلموه للنظام السوري دافعاً كما يقول المؤلف إلى تراجع «أصدقاء» سورية عن الانخراط في النزاع السوري، مؤكدا بصورة غير مباشرة ما زعمه النظام من أن الحراك الثوري ليس إلا مجرد مؤامرة إرهابية.

ذلك سيدفع رأس النظام وقد عجز عن إسكات الثورة كما فعل أبوه من قبل في حماه إلى أن يستخلص أن النزاع سيطول. فكان عليه أن يعيد النظر في استراتيجيته التي ستتبنى مفهوم التوريط، توريط روسيا وإيران، بحيث يتبنيا رؤية الأسد ونظامه للصراع لاسيما وأن كلاً منهما قد واجه ثورة في بلده تشبه الثورة التي يواجهها الأسد ونظامه.

وإذا كان للمجلس الوطني ولمهمة الجامعة العربية وللمجازر خريفها فسيكون للأمم المتحدة ربيعها. لكنه ربيع كالخريف أو أشد وطأة ورعباً. كان شأن النظام كما لاحظ المؤلف مع مهمة كوفي عنان شأنه مع مهمة الفريق الدابي: تحويل المهمة إلى غاية في حد ذاتها دون امتلاكها أية وسيلة تمكنها من تحقيق الغاية التي قُرِّرَت من أجلها. تماماً كما كان شأنه في إنكار الواقع بمناسبة الانتخابات التي دعا الأسد إليها وشأن سلطة الانتداب الفرنسية عام 1926 حين فعلت الأمر نفسه: ففي كلا المناسبتين دارت الانتخابات على جزء من الأراضي ولم تكن مهمتها في حقيقة الأمر إلا تمشيطات مضادة للثورة. كلا السلطتين أدركتا استحالة العودة إلى الوضع السابق على الثورة وكلاهما أعاد الأسباب إلى تدخل القوى الخارجية. ذلك كله جعل من مهمة عنان مثل مهمة الدابي من قبلها ترخيصاً بالقتل امتد شهوراً عديدة ثم تنتهي إلى فشل بلا تحديد للمسؤول!

أما صيف 2012 فسيكون صيف الانعطاف. يسجل المؤلف ما كانت وسائل الإعلام العربية والغربية تسكت عنه وهو غياب التكافؤ في القوى بين النظام وقوى الثورة والمعارضة على الصعيدين العسكري والسياسي معاً. كان النظام يتلقى دعماً غير محدود من روسيا وإيران ينعكس في كل الساحات في الوقت الذي كان فيه أصدقاء سورية ينفخون الحار والبارد على المجلس الوطني محتمين وراء زعم انقسام المعارضة. كان عدد المقاتلين في الجيش الحر صيف 2012 حوالي أربعين ألفاً مقابل 200 ألف مقاتل نظامي بمعداتهم وأسلحتهم الكاملة. وفي حين تلقى النظام خلال سنة كاملة ما قيمته مليار دولار من الأسلحة، لم يتلق الثوار خلال عشرين شهراً أكثر من أربعين مليون دولار. لم يكن ميزان القوى في صالح الثوار إذن، وربما لهذا السبب كان الروس يتوقعون نجاح الجيش النظامي في القضاء على الثورة. لكن فزاعة الجهاديين سترفع من الآن فصاعداً من قبل أصدقاء سورية قبل النظام، في حين لم يكن من جاء منهم من الخارج يُعَدّون إلا بالعشرات. وبالمقابل، سيعاني النظام من انقسامات في صفوفه تجلت في الحرب التي دارت بين آل الأسد وآل الخير وكان من نتيجتها اعتقال المعارض عبد العزيز الخير في 20 أيلول 2012 الذي اتهمت به، كالعادة، الجماعات المسلحة. هذه الانقسامات ستزيد النظام تغولاً وتوحشاً بقصفه مدينة حلب والمدن المحيطة بها بلا حدود.

لقد نجح النظام في عسكرة الثورة السورية التي بقيت سلمية حتى خريف 2011، وفي الاحتفاظ بتمثيل سورية على الصعيد الدولي والدبلوماسي ولا سيما في الأمم المتحدة وفي إغراق سورية كلها في عنف غير مسبوق. لكنه بالمقابل فشل تحقيق كل ما هدد به جيرانه أو من كانوا عوناً في بقائه من دول الخليج مثلما فشل في إخماد الثورة. يدرك النظام تمام الإدراك اليوم استحالة العودة إلى ماقبل آذار 2011.

يستعيد جان بيير فيليو في نهاية كتابه الدروس العشرة التي تضمنها كتابه السابق عن الانتفاضة الديمقراطية في العالم العربي. سيطالب من يتصدون للحديث عنها بكثير من التواضع نظراً إلى حجم هذه الموجة القادمة من الأعماق. وهي استعادة تتم في ضوء سنة ونصف من عمر الثورة السورية، لن تغيِّرَ من جوهرها شيئاً، لكنها تسجل مصاعب الفهم، ومصاعب التحليل، ومصاعب الولادة.

لكن الشرق الأوسط الجديد سيولد في سوريا وفي سوريا سترتسم ملامحه الجديدة.

السوريون قادرون على ادارة مرحلة مابعد الأسد

• تييري بوسيير
ترجمة: غادة جاويش

منذ أن تبنّى نظام البعث السوري « اقتصاد السوق الاشتراكي » عام 1991 لـم يتوقف العنف السياسـي والاجتماعـي والاقتصادي الـذي كان حاضراً في العقود التي سـبقت؛ بل.. انه ازداد تصاعداً بسـبب تركيبة النظام وبسبب ليبيرالية اقتصادية زائفة؛ كان من نتائجها أن استولت قلة من المستفيدين على الثروة الوطنية؛ مما أدى الى ازدياد اللاعدالة والفقر والفساد والتعسف؛ والى تهميش الريف (الذي كان يساند النظام منذ وقت طويل) كما الى انعدام التكافئ بين مراكز المدن والأطراف.

كانت سورية بلداً كالسجن؛ مُوطرا بالاستخبارات؛ وغارقاً في اكتئاب عميق يستطيع المرء أن يلمسه ما أن يبتعد عن المواقع الأثرية وعن مراكز المدن الحديثة. حيث يعيش غالبية السكان في هوامش ريفية على تخوم المدن؛ يكسبون عيشهم يوماً بيوم؛ ويصارعون للبقاء على قيد الحياة مع كافة أنواع الذل والخوف والحرمان والانكفاء العائلي .

ولكي يستطيعوا احتمال ذلك كله؛ بنى السوريون لأنفسهم فقاعاتٍ.. يحتمون بداخلها ولحظات من السعادة المنزلية ضمن أطر الأسرة والأصدقاء والمجموعات الصغيرة.

لذا.. كان من غير المتوقع أن يتمكّن أحدٌ منهم من النزول الى الشارع ذات يوم ليتظاهر مُعلناً عن رغبته في التغيير؛ وفي الكرامة وفي الحرية .

مع ذلك فقد كانوا آلافاً حين تظاهروا عام 2011 وأكثر من ذلك في الأشهر التي تلت؛ كانوا يتظاهرون بسلميةٍ.. رغم الاعتقالات والتعذيب والرصاصات الأولى والقتلى الأوائل .

كانت تلك الانتفاضة الثورية أشبه بالمعجزة؛ لكنها معجزة ضعيفة.. كان من الواجب احتضانها؛ حمايتها؛ ومساندتها؛ وهذا ما لم تفعله حقاً.. لا أوروبا ولا الولايات المتحدة.

وعندما تكلّم السلاح أخيراً من الطرفين كان مايزال ممكناً مساعدة أولئك المدافعين عن أنفسهم؛ وعن المجتمع في مواجهة البربرية. ما تمّ فعله من قبل أوروبا وامريكا والعالم الحرّ!... لم

يرتق حتى للحد الأدنى؛ من حيث اعتبار الحاجز ضد المدنيين أولى الخطوط الحمراء التي لا يُمكن تجاوزها.

أما المدافعين عن النظام من المتواطئين الى الموضوعيين أو الحمقى المستفيدين؛ فقد كانوا يصرخون عبثاً بالمؤامرة؛ مُتجاهلين المُبرّرات الموضوعية للثورة ومُحوّلينَ المأساة السورية الى عقدةٍ.. لتثبيت أوهامهم عن نظرية المؤامرة .

انها الدبابات وطائرات الميغ 21 المُذخَّرة والصواريخ البالستية للنظام؛ هي التي تقصف وتُدمر وتُبيد مناطق ومدناً وأحياء بكاملها؛ وليس المرابطين بسلاحهم من السوريين؛ مهما كانت درجة التطرف والدموية التي وصل اليها البعض منهم.

إنه ذات النظام الذي يمارس سياسة التجويع منذ عدة أشهر على مخيم اليرموك للفلسطينيين جنوب دمشق وعلى مدينة المعظمية في الغوطة الشرقية التي تصلنا منها صورأطفال في حالة هزالٍ فظيع.

تقع على عاتق المجموعة الدولية.. مسؤوليةٌ جسيمة أمام واحدةٍ من أكبر المآسي الانسانية في عصرنا. انها حالة جائرة من التخلّي عن شعبٍ يُواجِهُ خطرَ الموت. ان اللامبالاة والتردد وانعدام الكفاءة لدى العديد ممَّن لا ينظرون الى الأزمة السورية الا من خلال تصنيفات مُبسّطة.. تجعلهم تدريجياً يعتبرون أن النظام؛ عصابة القتلة ؛ يُمكن أن تكون حلاً بديلاً لبلد راكعٍ على ركبتيه. الاستكانة لسهولة الخلط بين.. الاسلامية والارهاب

الرأي العام الغربي قلقٌ من مصيرٍ غامض ينتظر الأقلية المسيحية؛ ويتظاهر بعدم المعرفة أو يقلل من أهمية الحاجز التي تُرتكب بحقّ شعبٍ.. لايربطهم به احساس قوي بالتقارب؛ فيستكين لسهولةِ الخلط بين الاسلاميّة والارهاب؛ ولا من أحد يذكّر بأن الاسلامية الجهادية مدينة حقاً.. للنظام السوري في العراق وفي لبنان.

وبذريعة قبول النظام تدميرَ بعض أسلحته الأكثر خطراً «على اسرائيل خصوصا» يستعدّ البعض لاعادة تأهيله كمحاورٍ.. طالما تمّ التعاون معه؛ تاركين ايّاه يتسلّى بابادة جزءٍ من شعبه بأسلحة لم تعد تقليدية. وقد جاء منح جائزة نوبل للسلام لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية ليُصادق بأسلوب صادمٍ على اعادة تأهيل النظام السوري؛

ويُعطي الانطباع بأن السلاح الكيماوي وحده؛ هو الذي يشكل عائقا أمام السلام في القضية السورية.

وراء اعادة التأهيل هذه ترتسم فرضية مخزية:

لن يكون بمقدور الشعب السوري العيش خارج نظام الأسد؛ حيث سيسبب سقوط النظام الفوضى والعنف؛ وكأن العنف لم يكن حاضرا قبل 2011.

انه لمن الضروري منح الثقة للمجتمع السوري لادارة مرحلة مابعد الأسد؛ فهذا المجتمع المحافظ دينياً واجتماعياً.. لاينقصه التسامح؛ وهو منذ زمن بعيدٍ.. يُنتج آلياته التي تُمكّنُ الأغلبيةَ من العرب السُنّة والأقليات الدينية والعرقية من العيش المشترك.

ان حماية الأقليات التي يدّعيها النظام تعتمد على تبعيتها له؛ اذ لم يكن للاقليات خيار سوى.. مُبايعة الأسد .

ان « السلام بين الأطياف » يتوقف على امكانيات التوافق في داخل المجتمع السوري؛ وعلى وعيه للمخاطر التي يخطط لها النظام؛ من خلال محاولات التأجيج الطائفي في سورية؛ و كذلك في لبنان والعراق .

من يعرف سوريا.. يُدرك بأن تلك الخيمياء المُعقدة؛ التي تُكوّنها الحياة اليومية؛ وعلاقات الجوار القديمة؛ والزيارات المتبادلة في أعيادِ كافةِ الأديان؛ وتبادل الأحاديث والهدايا؛ انها ثقافة التوافق المجتمعي؛ ولاأدري الى متى يمكن الحفاظ عليها؛ لأنها أفضل الضمانات ضد انهيار البلد وضد العصبيات الطائفية .

وأيضا.. لابدّ من منح الثقة للشعب السوري؛ ومن مساعدته على التخلص من النظام ليتمكن من القيام بما يجب فعله مع المُتمسّكين بالسلاح؛ وفي المقام الأول مع الحركة الجهادية العالمية؛ والتي لاميول لها في كل الأحوال للبقاء في سورية حيث سيكون الصراع في مكان آخر.

لن يكون السوريون أقلّ قدرة من الأوروبيين في مرحلة مابعد الحرب على بناء مجتمع مدني سلمي مُتعدد وديموقراطي .

(تييري بوسيير: أنثروبولوجي , باحث في مجموعة أبحاث ودراسات المتوسط والشرق الأوسط؛ مسؤول سابق عن العلاقات في المعهد الفرنسي لشؤون الشرق الأوسط في حلب)

سوريا.. أربع مشاكل تركية في واحدة

● عبد القادر عبد اللي

«صفر مشاكل»

حين دخل حزب العدالة والتنمية التركي معترك الحياة السياسية في عام 2002، أعلن أنه سيجعل تركيا ذات «صفر مشاكل» مع جيرانها. وعلى ضوء هذا الإعلان، قوّى التواصل مع سوريا، وانفتح على قبرص واليونان، وطور علاقاته مع إيران، وفيما بعد مع العراق. وبدأ يباهي أمام الرأي العام التركي بأنه حلّ أكثر القضايا العالقة استعصاء مع الجيران بشكل عملي. وبقي الأمر على هذا النحو حتى اندلعت الثورة السورية.

لم يعد يخفى على أحد -إلا على المنحبكجية- أن الحكومة التركية بذلت جهوداً جبارة لإنقاذ النظام السوري ورأسه مع بداية الأحداث وعلى مدى الأشهر الستة الأولى على الأقل. أخيراً اعترف الأخوان المسلمون اعترافاً غير كامل بالعروض الإيرانية التي قُدمت لهم من أجل التصالح مع النظام، أقول غير كامل، لأن العروض تلك كانت تقدمها تركيا للنظام والأخوان كطرفين، ويرفضها الإيرانيون. وعندما يفشل الإيرانيون بيد النظام في إخماد الثورة يُهرعون إلى تركيا من أجل استعادة العروض التي تكون قد فقدت صلاحيتها ولم تعد قابلة للاستخدام. حينئذ اتُهم ما اصطلح عليه اسم إعلام الولي الفقيه تركيا: بـ «المشاركة بسفك الدم السوري!» نعم، كان المطلوب من تركيا أن تشارك بسفك دم الأشخاص الذين يُصدر المرجع الأعلى قراراً بأنهم غير سوريين حتى لو كانوا أبناء سورية منذ عشرات القرون..

لم تتخذ تركيا هذا الموقف حباً بالنظام، أو حباً بالمعارضة والأخوان المسلمين، بل فعلته من دافع سياسي محض، إذ أنها تعرف بأن تفاقم الأمور سيؤدي إلى خسائر لا يمكن تعويضها، -وهنا آخر ما يمكن الحديث عنه هو الجانب المادي من الخسائر- بل انطلاقاً من شعارها «صفر مشاكل»، لأن «صفر مشاكل» يعني تنمية، يعني رخاء، يعني انخراط المواطنين في مختلف مجالات الحياة، وعطاءهم، ويعني تفاؤلاً، وهذا كله ينعكس استقراراً إيجابياً فيه مصلحة للجميع.

إيران والهزيمة:

أدرك الإيرانيون منذ البداية أن نفوذهم سيضمحل أمام أي إصلاح سياسي في سورية مهما كان بسيطاً، ويعتبرون هذا هزيمة. لذلك لم يستطع الملالي في طهران تقبّل الهزيمة في سورية، فهم يعرفون بأن أدنى تراجع لهم في المنطقة يؤدي بمشروعهم الذي اصطلحوا على تسميته: «الثورة الإسلامية»، ويسميه المحايدون الثورة الخمينية إلى الإفلاس التام، وإلى نهايته... وقد صبروا خمسة قرون ونيف لاستعادته -منذ هزيمة الشاه إسماعيل أمام السلطان سليم الجبار الذي أعلن نفسه أول خليفة عثماني للمسلمين-. وبذلوا جهوداً وأنفقوا مليارات الدولارات عليه منذ خمسة عقود..

عودة مشاكل تركيا مع الجيران:

حين فشلت الحكومة التركية بإقناع الملالي بضرورة البدء بإصلاح حقيقي في سورية، أعلن العداء لهذه الدولة، وجاء الإعلان بداية من التابع الأصغر وهو النظام السوري، وعادت لتبرز المشكلة الأولى بشكل أشد مما كانت عليه سابقاً. بعد تفاقم الأحداث، ووصول ارتدادات الزلزال السوري إلى الجوار، دخلت على الخط حكومة المالكي، واختُلقت قضية الهاشمي، وحين لجأ الهاشمي إلى شمال العراق لم تُعلن منطقة شمال العراق منطقة معادية، بل طُرح تساؤل ما إذا كان هذا التصرف دستورياً أم لا، ولكن لجوءه إلى تركيا أثار حفيظة التابع الإيراني الثاني المالكي، وأعلن تركيا دولة معادية تقدم على أفعال أكبر منها! وطفت على السطح مشكلة جوار ثانية لتركيا، بعد المالكي دخلت إيران على الخط ولكن على عادتها السياسية بتحريك أدواتها في تركيا، وترك الباب السياسي موارباً، فهي لا تريد حرق مراكبها كلها، وتكتفي بحرق مراكب أتباعها الصغار. وظهرت فجأة مجموعة من مواطني الجمهورية التركية يدّعون العلمانية ويتبعون الولي الفقيه يتحدثون عن مشاكل بين إيران وتركيا، وبهذا دخلت مشكلة ثالثة...

على الرغم من عدم وجود حدود مشتركة لتركيا مع إسرائيل، فهما تعتبران جارتان بالمعنى الإقليمي. وإذا كان قد طفا بعض التوتر بينهما قبل بضعة سنوات، فسرعان ما هدأ هذا التوتر، لأن إسرائيل تعرف أنها بحاجة تركيا، والعكس ليس صحيحاً -أي تركيا ليست بحاجة إسرائيل- ضمن المتغيرات الإستراتيجية مع مطلع الألف الثالثة. ولكن على الرغم من هذه الهدنة الظاهرية، جاءت الأحداث السورية لتدخل العلاقات التركية الإسرائيلية في مأزق جديد يضاف إلى المأزق الناجم عن قضية حصار قطاع غزة. فالتسريبات الصحفية تقول إن أسباب التوتر الذي ظهر إلى العلن مؤخراً هو دعم تركيا للمعارضة السورية في وجه النظام، فإسرائيل تريد أن يطول الصراع في سوريا إلى أبعد ما يمكن، وأن تُنهك كل من إيران وسوريا وبالتالي حزب الله حتى لا تقوم للمشروع الثيوقراطي المنافس لها قائمة، وحاولت إسرائيل في الفترة الأخيرة استمالة تركيا، فقدمت اعتذاراً رسمياً عن مهاجمة قواتها لسفينة مرمرة الزرقاء، ولكن الخلاف لم يزل، والتوتر لم يهدأ.

أربع مشاكل في واحدة:

تتهكم المعارضة التركية -وخاصة المعارضة الطائفية ذات الشادور العلماني- على الحكومة التركية بأنها زادت المشاكل التي كانت قائمة عند تسلمها الحكم عوضاً عن تحقيق «صفر مشاكل»، خاصة أن مشكلة جديدة استجدّت أول مرة منذ أواخر سبعينيات القرن الماضي مع مصر إبان عزل مرسي، وسجنه. وصارت المعارضة تعدد المشاكل، فتقول «سوريا، العراق، إيران، إسرائيل» نعم، تبدو ظاهرياً أربعة مشاكل كبرى.. وإن بدت في الأفق بعض ملامح انفراج إحداها لم يتبين فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود بعد هي العراق..

هل هي أربع مشاكل حقيقة؟ ما هي مشكلة النظام السوري مع تركيا؟ أليست عدم قبول تركيا بمشاركته في الجريمة؟ ما هي مشكلة العراق مع تركيا؟ أليست القضية السورية؟ هل يستطيع عراق المالكي أن يتخذ قراراً بمعزل عن مرجعيته؟ ما هي مشكلة تركيا مع إيران؟ أليست سورية أيضاً؟ وكذلك الأمر بالنسبة لإسرائيل؟ ما الذي استجد ليرفع حدة التوتر؟ أليست الأحداث في سورية؟

نعم، أحدهم يقول إنه يأكل دقيقاً وملحاً وخميرة وحليباً مع الماء، أي خمسة مواد، وآخر يقول إنه يأكل خبزاً، أي مادة واحدة، ولكن أليس الاثنان يأكلان المادة نفسها؟

ثمة بوادر لانفراج تركي عراقي لم يتصاعد دخانه الأبيض بعد، هل هو جزء من تكتيك إيراني في محاولة الانفتاح على العام مع الإبقاء على المشكلة، أم بداية رفع المشكلة التي اسمها سورية من جدول الأعمال؟ الأمور على الأرض ترجح الاحتمال الأول، ولكن الجانب الإنساني لدينا يجعلنا نتمنى أن يكون الخيار الثاني.

العلاقات العربية الكردية
في ظل الثورة السورية

● حواس محمود

سور علواني

في ظروف وأزمنة متغيرة ومتسارعة بصورة هائلة وفي ظل ثورات ربيع عربي حاولت وتحاول قوى عديدة من الداخل والخارج تجييرها لصالح أجنداتها ومصالحها الخاصة والضيقة. ناهيك عن محاولات النظام المستمرة والدؤوبة لتشويه سمعتها لإنهاء التعاطف الشعبي الكاسح لها عبر بروباغندا إعلامية تسلطية شمولية وعبر قنوات متعددة مشتراة من أصحابها بأثمان باهظة على حساب قوت وكرامة وإنسانية الإنسان السوري في كل بقعة سورية من الوطن السوري الجميل . أقول في هذه الظروف التي تستدعي حاجة كل مكونات الشعب السوري لبعضها البعض كتفا لكتف وقلما لقلم وقلبا لقلب وعقلا لعقل . تقل الإشارة بصورة ملحوظة لضرورة عمليات التقارب الأخوي بين شعبين عاشا تاريخيا أخوة حقيقية بالتواد والتراحم والتعاون بينهما رغم محاولات البعض خلق الحزازات والحساسيات واللعب على وتر القومية الاختلافية التمايزية وتصعيدها إلى الصراع المسلح. نعم تقل الإشارة والكتابة والبحث في التعاون الضروري بين الشعبين الكردي والعربي في أجواء ثورة عارمة رفع الكردي يده عاليا في عامودا ودرباسية ورأس العين وديريك والقامشلي ليصافح الثوار في درعا وبانياس وحمص وحماة والشام .

إن الاختلافات السياسية التصعيدية بين العرب والكرد في سورية هي اختلافات مصطنعة ومختلقة تصب في حجم التخطيط الخبيث لضرب الثورة عبر ضرب مرتكزاتها الأساسية التي جسدتها شعارات الثورة في أول أيام انطلاقتها المباركة

« واحد واحد واحد الشعب السوري واحد « لقد كان - بعد تردد كبير - لانضمام المجلس الوطني الكردي في سوريا لإئتلاف قوى الثورة والمعارضة السورية وقعه الايجابي الملحوظ في نفوس العرب والكرد الأحرار ما ينعش الآمال بنجاح الثورة السورية ولو بعد طول تأخر وتأخير. لقد تشكل بفعل عوامل عديدة وعي تسامحي اخوي عند العرب والكرد معاً وبخاصة بعد اشتعال شرارة الثورة السورية ووجدنا محاولات النظام الكثيرة لخلق الثغرات والعراقيل وزرع الفتن بين الشعبين المتآخيين عبر التاريخ من خلال أدوات وبيادق رخيصة لا تخدم لا القضايا العربية ولا الكردية وهي ستكون خاسرا كبيرا بعد نجاح الثورة وسقوط الاستبداد

إن العلاقة الكردية العربية وطيدة وطادة التاريخ المشترك ونتلمس هذا من خلال وجود كتاب ومثقفين سوريين كثر لهم مواقف نبيلة من الكرد تسجل لهم تاريخيا وعلى الكرد أن يكونوا بمستوى الحدث التاريخي وصيرورة التحولات العميقة في سورية والمنطقة والابتعاد عن التعامل وفقا للمصلحة الوقتية أو التكتيكية المدمرة وإنما الإعتماد على الإستراتيجيا وقضية التفاعل الأخوي التاريخي بين العرب والكرد ووضع التكتيك في خدمة هذه الإسترتيجيا لخدمة القضية الكردية وعدم الاصطدام مع المكونات الأخرى عربا كانوا أم آشوريين أم من مكونات أخرى متعايشة ضمن فسبفساء سورية جميلة ورائعة.

إن محاولات بعض الأحزاب الكردية الإنجرار إلى مخطط السلطة بالإنشغال بمعارك جانبية لا تعود للكرد بأي منفعة سياسية وستكون الخسارة للكرد قبل غيرهم وهذا ما يحذر منه المثقفون الكرد وعلى هذه الأحزاب الالتفات إلى صوت العقل لا صوت البندقية المصوبة تجاه الكردي أو العربي ونسيان النظام الذي أدهش العالم - الصامت النائم - بمجازره وفظاعاته القاسية جدا .

خليل قادر

صدر الدين أمين

فلاح شوان

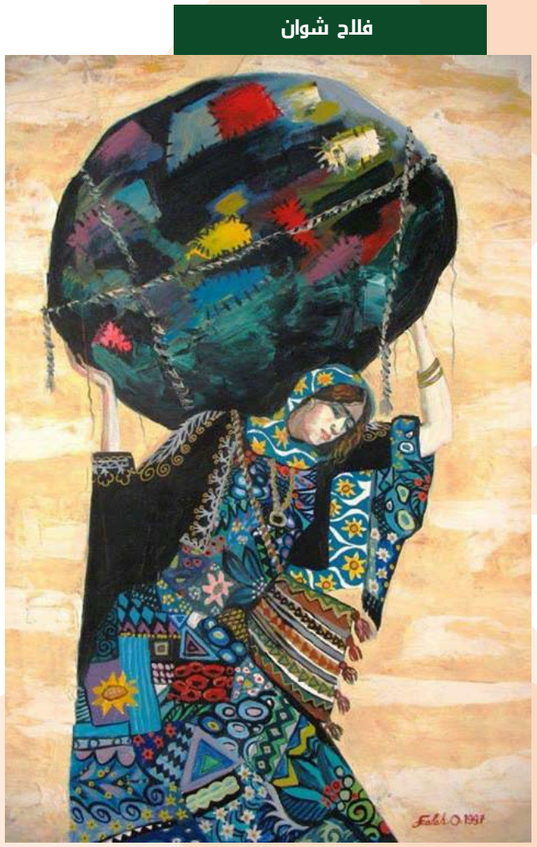

بانوراما التشكيل الكردي

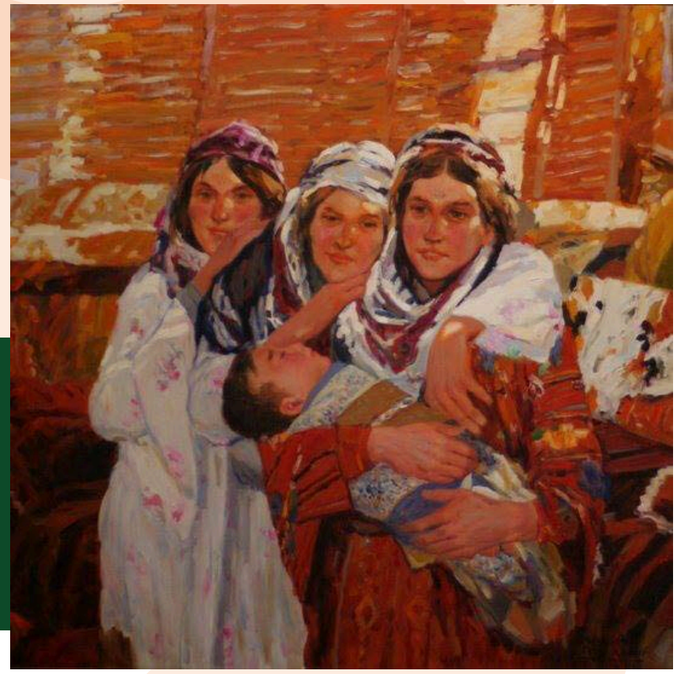

عمر حمدي

Masood Rangrazan

بانوراما التشكيل الكردي

وجدان ديركي

زهير حسيب

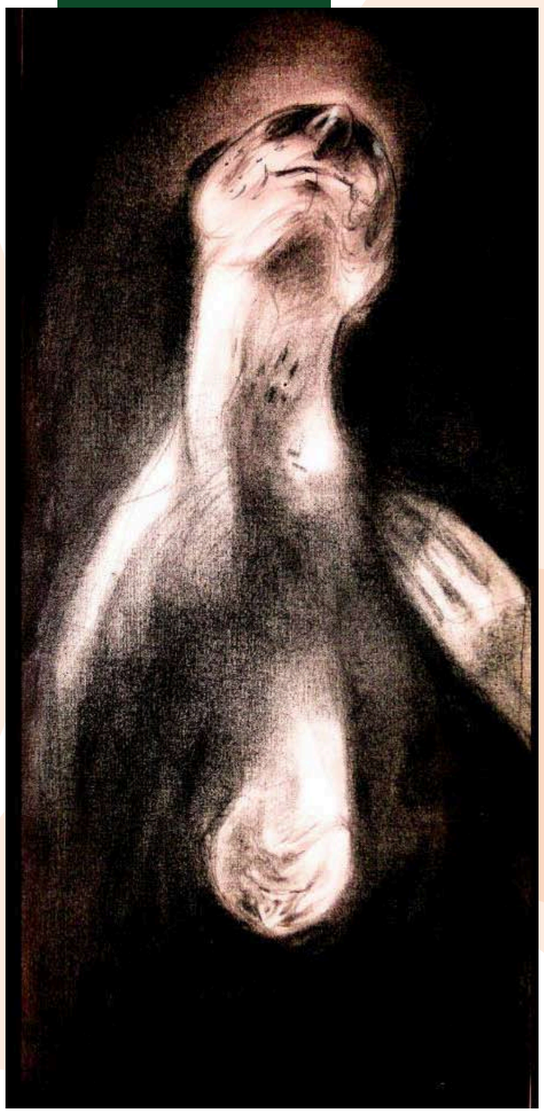

عصام حمدي

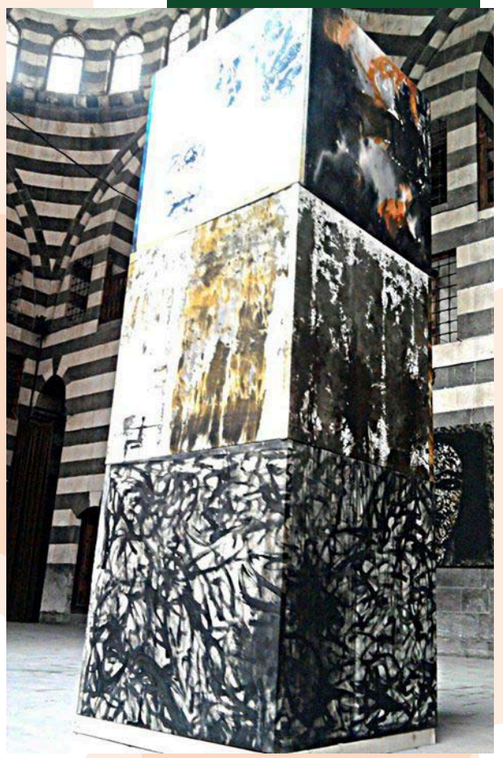

Thar Al Sayegh

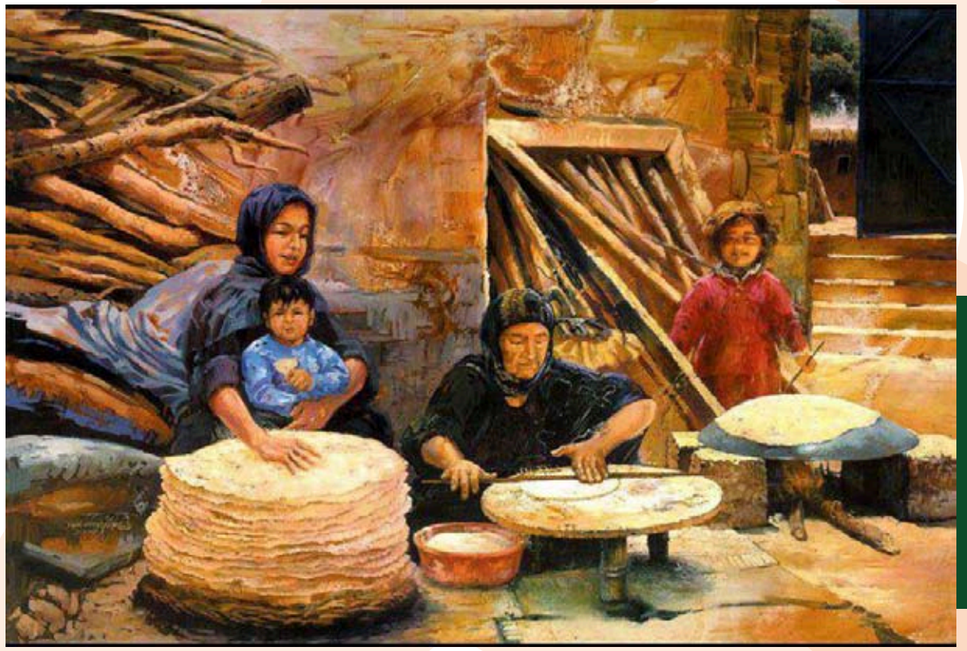

Draie Samar

ديلوار عمر

Shirin Baran

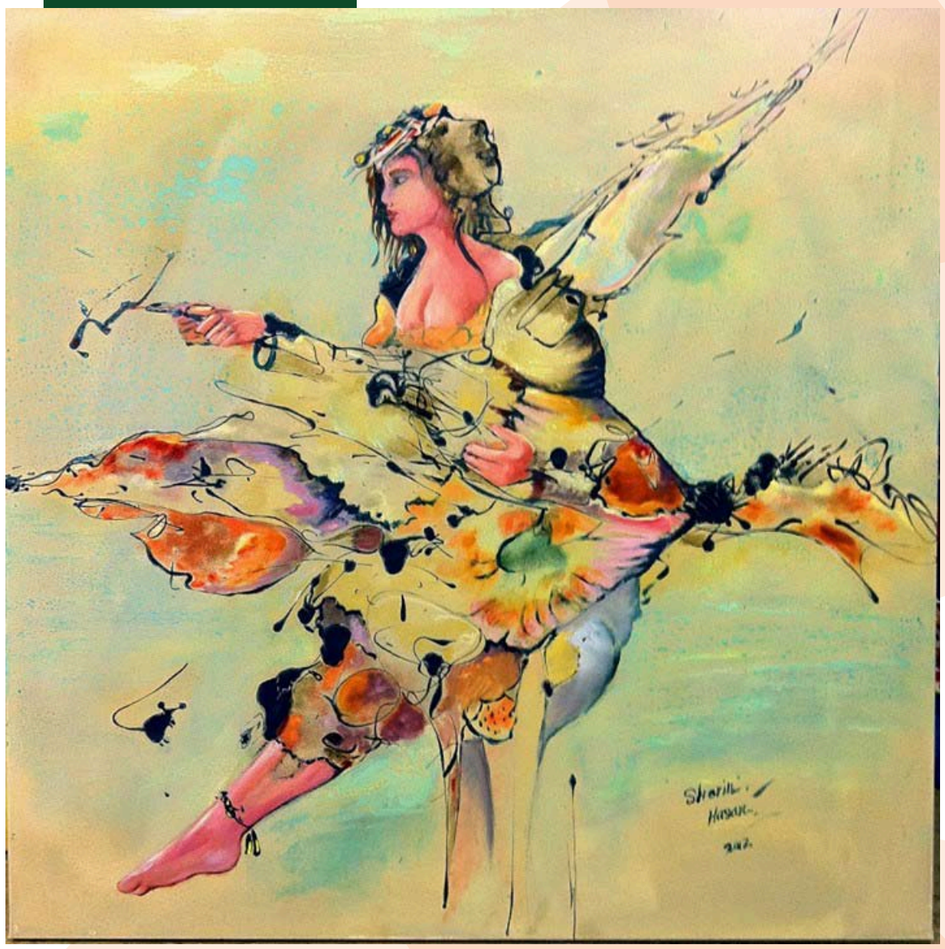

بانوراما التشكيل الكردي

Bahram Hajou

عنايت عطار

Humkmet dawd

العدو

• د. محمد حبش

تحظى كلمة العدو في ثقافة النظام السوري بنصيب الأسد في التوجيه حيث يتم حشد كل الطاقات للمعركة ويتم تكريس ثقافة المؤامرة على كل المستويات، ومع أن العدو يبدأ عادة بمصطلح الصهيونية ولكن لا نحتاج لكثير ذكاء أن ندرك أن العدو يبدأ من إسرائيل وحليفتها أمريكا والدول الدائرة في فلكها مثل كندا واستراليا، ثم فرنسا الاستعمارية وبريطانيا الاستكبارية، وأعوانهم في الاتحاد الأوروبي الذين يتعين شطبهم جميعا من الخارطة وفق وزير الخارجية المعلم، ويمتد العدو بالطبع إلى تركيا العثمانية الإخوانية، وجامعة الدول العربية بدولها الاثنتين والعشرين التي أصبحت أداة استعمارية بمخالب قومية، لتجد نفسك محاطاً في وطنك من الجهات الأربع بالأعداء الذين لا ينفع معهم إلا المواجهة الماحقة.

ولكن أسوأ ما في مشهد العدو أنه امتد في الداخل، وانتشر بشكل مريع في المحافظات السورية الأربعة عشر، وامتد في صحراء سوريا وغاباتها وجبالها وسهولها وبراريها، ومساحدها وكنائسها، وجامعاتها ومدارسها وأفرانها وأسواقها ومشافيها الميدانية، وصار من الطبيعي أن يستمع المواطن لانتصارات جيشه الباسل في القصير وخناصر، واليوم سمعت الإعلام السوري يتحدث بمجد وبطولة عن الانتصارات (التاريخية) للجيش العربي السوري في السبينة وتقدمه العظيم نحو الحجر الأسود وكأنه يتحدث عن معارك لينينغراد أو العلمين أو الدفرسوار.

ويعيش الإنسان السوري رعاب الخوف من العدو، وهو رعاب يسمح لمكتب الأمن القومي بالتغول في حياة الناس وضبط حركاتهم وأنفاسهم فالعدو في كل اتجاه والمؤامرة تسري في الجسم العربي مسرى الدم، حتى أولئك الذين يعملون في النظام والدولة وبمناصب قيادية رفيعة فإنهم ما إن يتخذون موقفاً أخلاقياً معارضاً حتى يتحولوا إلى أداة مؤامراتية عميقة تم التخطيط لها منذ الخمسينات وفق فلاسفة الصمود والممانعة وبشكل خاص ذوي اللكنة اللبنانية.

وفي التوجيه الذي مارسه نظام الاسد تاريخياً هناك ثقافة العدو، وبالطبع فقد شاركنا جميعاً في دعم سياسات مواجهة هذا العدو وهنا المقصود بالطبع العدو الاسرائيلي، وكان المطلوب أن يتخلى المواطن عن كثير من حقوقه وواجباته وأن يتم تبرير كثير من خسارات الدولة وفشلها في التنمية على أساس أننا دولة مواجهة، وأن المؤامرات لا تفتؤ تحاك ضدنا في الليل والنهار، ولا صوت يعلو صوت المعركة.

بعد أربعين عاماً لم تطلق فيها طلقة رصاص واحدة تجاه اسرائيل ولم نتقدم بالتالي خطوة حقيقية باتجاه السلام يستفيق السوري اليوم على مشهد مؤلم فقد تم استنزاف الخزينة الوطنية نحو نصف قرن من أجل معركة موهومة، ولتعلم بعد رحيل العمر بأنك كنت تطارد خيط دخان.

وربما كان مشهد السلام النووي الأخير أبشع صورة هذا الاستنزاف الأعمى لمقدرات الوطن، فقد ظلت القيادة (الحكيمة) لسنوات طويلة تقوم بإعداد السلاح الكيماوي المحرم دوليا وتم تبرير ذلك بأنه قنبلة الفقراء، وأنه سلاح فعال لمواجهة العدو الإسرائيلي وأنه طريقتنا الوحيدة في المواجهة مع العدو الذي لا نستطيع أن نتفوق عليه استراتيجيا ولكننا نملك سلاحا نوعياً رادعاً فعلاً في المشهد اللامتوازن مع القوى الدولية المتآمرة، يمكنه أن يغير مشهد المواجهة.

لا يعلم أحد في سوريا لا حكومة ولا برلمان ولا حزب ولا جبهة وطنية تقدمية ولا حتى وزارة الدفاع كم أنفق على إعداد هذا السلاح النوعي الفتاك الخطير المقاوم، والمحرم دولياً وأخلاقياً ودينياً، ولم يملك اي سوري حق السؤال عن نفقات هذا السلاح الهائلة، وكم هو الحجم المقتطع من الموازنة لتمويل صناعة هذا السلاح ولكن الشيء الوحيد الذي عرفه الشعب أن نفقات تدميره تبلغ مليار دولار وفق ما ورد على لسان الرئيس العجيب نفسه!!

كان أمراً مؤلماً أن هذا النظام ومع أول كف، تخلى عن كل دعاويه في المقاومة، وقام بحماس وشطارة بتسليم كل سلاحه الكيماوي وبحماس منقطع النظير أدهش الأمريكيين أنفسهم وراحوا يكيلون الثناء عليه على الرغم من مواقفهم المعلنة في وجوب رحيله وأنه فاقد بالمطلق لاي شرعية، ليتم دفن هذا السلاح في البحر عبر بارجة أمريكية لا نملك عليها أدنى سلطان، ولا نملك حتى تذاكر الفرجة على تدمير هذا السلاح الكيماوي الذي تم تسويقه على أنه سلاح المعركة وسلاح المقاومة والممانعة والسلاح الشريف والسلاح النبيل والسلاح العادل والسلاح المتوازن.... وهكذا تم تسليم السلاح بالكامل إلى العدو التاريخي للسوريين أو الشيطان الأكبر بالتعبير الإيراني، ليقوم منفرداً بمهمة نبيلة وهي تدمير السلاح الكيماوي في البحر، وإغراق مليارات الدولارات التي اقتطعت من دماء السوريين وعرقهم وفقرهم على مدى عقود، من دون أن تعود على أي سوري بأدنى فائدة.

بكل بساطة يدرك السوريون أن العدو الاستراتيجي للأمة العربية لم يكن في الواقع إلا الاستبداد المتوحش الذي مارس بمكر تكريس ثقافة العدو التاريخي ليبرر سياساته في تغييب الحرية والكرامة والمساواة في الوطن الجريح.

قناعتي أن الذي جمع الخطاب البعثي والإيراني ثقافياً هو فكرة المؤامرة ومواجهة العدو الذي يتربص بنا الدوائر، وهي ثقافة امتزج فيها هنا الديني بالسياسي، ولكنها في الحالتين تقدم للاستبداد مزيداً من الصلاحيات فوق القانون للمواجهة المريرة مع هذا العدو المنتظر.

لا يهم هنا من هو العدو، ففي الحالة الإيرانية مثلاً التهبت شوارع ايران بالغضب من العدو التاريخي اللئيم الذي يجب أن تكرس كل الطاقات لقتاله وهو سلمان رشدي الذي كتب كتابا مس الذات النبوية، والتهب العالم كله بالغضب ولم يفهم العالم سبب غضب امبراطورية شيراز الموغلة في التاريخ العريق ضد أوراق تافهة لكاتب مغمور أصبح بسرعة البرق أشهر كاتب في العالم، في حين لم يكن هذا العدو الديني يعني شيئاً بالنسبة للنظام السوري، واختار بدلاً منه العداوة المريرة مع تنظيم الإخوان المسلمين الذي يحمل تقريبا نفس افكار الخميني من سلمان رشدي، ونفس أفكار النظام من إسرائيل.

فكرة العدو الذي يتربص بنا لم تعد فكرة واقعية في البلاد المتحضرة، ومنذ قيام الأمم المتحدة فإن العالم المتحضر اختار أن يحل مشاكله بالدبلوماسية، ومنذ ماستريخت فإن الدول الأوروبية لا تستخدم على الإطلاق مصطلح العدو، على الرغم من سنوات الحروب الطويلة التي طبعت القارة العجوز، حرب الثلاثين عاما وحرب المائة عام والحرب العالمية الأولى والثانية، ودمار أوروبا المريع خلالها، ولكنها اليوم تتجاور وتتحاور وتتفاوض وتتصالح وتتخاصم، ولا تستخدم في خصامها أو صلحها ثقافة العدو المتربص الذي يجب أن تحشد له الجيوش.

وليست هذه الثقافة شأن الدول المتقدمة، بل إن العالم برمته يدخل في واحة السلام الإنساني، متجاوزاً ثقافة الحروب والدماء والمؤامرة، باستثناء الأنظمة الشمولية في كوريا الشمالية وكوبا وإيران وهي تتحالف تلقائياً مع نظامنا التعيس.

ويمكنني ان أقول ببساطة على سبيل المثال بعد أن مارست التعليم الجامعي سنتين في الامارات أن العدو المتربص بالأمة لا وجود له في ذهن الإماراتي الذي يستطيع ببساطة أن يقول وطني العالم، وديني أن أفعل ما هو خير، والخلق كلهم عيال الله، على الرغم من أن الخطاب الديني لا يزال في معتكفه البائس يتحدث عن كفر البشرية وتراكم حطب جهنم في كل مكان، ولكنه خطاب تم تطويقه بعناية بحيث لا يخرج من دائرة اللاهوت إلى ساحة الناسوت.

ومع أن إيران على سبيل المثال تحتل عدداً من الجزر الإماراتية، ولا تمر مناسبة من دون أن يطالب الاماراتيون حكاما وشعبا بوجوب عودة الجزر الإماراتية، وانسحاب الإيرانيين منها، ولكن الخطاب السياسي لا يستخدم مصطلح العدو، ولا يزال المسؤول الإيراني يستقبل ويودع بالمراسم المعتادة، من دون أن يقول الشباب المتحمس إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما، ومن دون أن يعقد الألوية الحمراء لاستعادة الحق المهدور بالدم والحديد والنار.

إنها رسالة تربوية في المقام الأول توجب على رجال التربية أن تعيد صياغة علاقة الجيل بمحيطه المحلي والإنساني، وأن نؤسس لجيل متصالح مع الناس، يعيش في عالم حيوي متفاعل، تحركه المصالح المتبادلة، وحين لا تكون هذه المصالح متوازنة فإن المطلوب فعل ما هو أجود حتى نحصل على المواقع المتقدمة.

هناك طريقتان لبناء أعلى برج في المدينة: الأولى أن نبني برجاً أعلى من الأبراح الموجودة، والثانية أن نهدم جميع الأبراج التي تزيد في ارتفاعها عن برجنا، وللأسف فقد اختار نظامنا البائس أن يسلك السبيل الهمجي الثاني وهذا ما تدل له صور الوطن المدمر من القنيطرة إلى عين ديوار.

في مسألة التبعية

• سامي العائدي

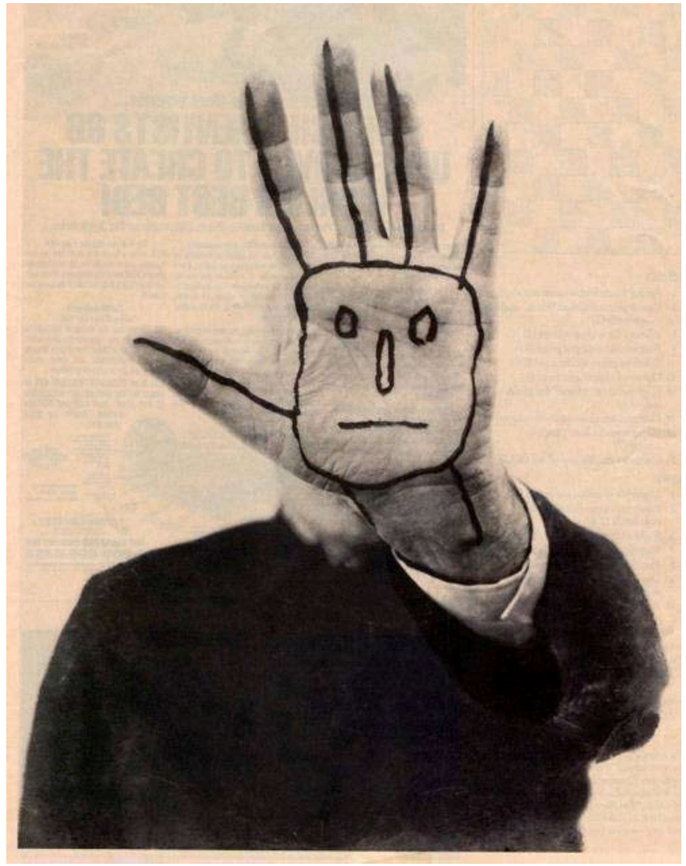

كان (اقتداء المغلوب بالغالب) أحد القوانين التي استخلصها عبد الرحمن ابن خلدون عبر تمعن في مسائل (العمران) واجتماع الأمم وسلوك الأفراد والمجتمعات. لكن مثل هذا القانون ، شأن معظم قوانين علوم الاجتماع ، لا يقبل تصنيفاً في بند (الحتمية التاريخية) أو ما يدانيها . ولعل من الحكمة مزاوجته مع قانون أرنولد توينبي (التحدي والاستجابة) ورؤى أخرى تلحظ تفاوت السلوك الفردي والجمعي باختلاف ظروف الزمان والمكان والإنسان والمتاح ، وبتفاوت مدى قوة إرادة المقاومة أو الانتماء أو الطموح . مع ذلك ، فإن أبعاد وأشكال اقتداء المغلوب بالغالب قد تعددت في عصرنا. فمناهج التعليم ودفق النتاج الثقافي ، إلى جانب القهر بالقوة العسكرية من أبرز وسائل الاختراق التاريخي الذي حققته قوى استعمارية في القرنين الماضيين على امتداد العالم ، ثم فرض طغيان تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي في القرن الحالي وضعاً غير مسبوق لاستشراء التبعية والتقليد . وهنا نتمعن مجدداً في اعتبار د. قسطنطين زريق أن ما يفرق بين عصور الازدهار وعصور الانحدار يتمثل في الموقف من النقد أو في التفاوت بين اعتناق النظرة العقلية الفاحصة وبين الاعتماد على التقليد .

عبّر الرئيس الأمريكي الأسبق وودرو ويلسون عن ركن رئيس في التفكير السياسي الأمريكي عندما قال : « ليس هناك سوى رد واحد ممكن أمامنا.. القوة إلى آخر مدى .. القوة دون حد ، القوة الخيرة (..) المنتصرة التي ستصلح قانون العالم ... والنصر الكامل في الحرب يتطلب الطاعة الكاملة من المهزومين ، ويفتح الباب دون معوقات لتحقيق الأهداف السياسية..» (وليام فاف ، الاتحاد ، أبو ظبي، 2003/3/3، ص 25) . ومثله قال جون كيلي ، مساعد وزير الخارجية الأمريكي أثناء حرب الخليج الثانية : « إذا كان للاستراتيجيا الأمريكية أن تبقى في منأى عن الفيروس المضاد الذي يفترس الامبراطوريات ، والذي اسمه التاريخ ، فعليها أن

تنشر الجثث الإقليمية في كل المناطق لتستعملها بأصابع فذة في استهلاك أصحاب العظام الساخنة والأفكار الساخنة « . واضح أن الجثث الإقليمية التي دعا كيلي إلى نشرها هي دول ومجتمعات أراد أن تدمرها القوة الأمريكية الطاغية وتجعلها عبرة ترهب بها باقي الدول والمجتمعات. هذه ثقافة ترتكز إلى جذور تأسيس المهاجرين والمغامرين ،الأنجلوساكسون أساساً، للولايات المتحدة الأمريكية على أرض السكان الأصليين الذين تمت إبادة عشرات الملايين منهم إبادة جمعية شاملة . لقد اتسع امتداد السيطرة الأمريكية عبر المحيطات منذ أوائل القرن العشرين استناداً إلى قوة عسكرية طاغية وتدخلية لا تتورع عن ممارسة البطش بتهور ، وإقامة أنظمة عميلة وموالية في بلدان مفصلية أو مؤثرة . وهي توظف معظم جهود الابتكار والإبداع والتطوير للأغراض العسكرية ـ معتمدة أساساً على أدمغة أجنبية تتم غوايتها واستقطابها . بهذا تمكنت الولايات المتحدة من توفير تقنيات حربية متفوقة عززت قدرتها على السيطرة والهيمنة عابرة القارات ، والتحكم بالاقتصاد العالمي وتوظيفه لخدمة المصالح الأمريكية ، وأطلقت شعارها المراوغ « نخوض حروباً دائمة من أجل سلام دائم «... هكذا بات فرض التبعية على الآخرين محوراً رئيساً في تعامل الولايات المتحدة مع سائر الشعوب والأمم انطلاقاً من وهم التفوق الأنجلوسكسوني الفطري وتحت تأثير طاغ لغطرسة القوة ، صلبة وناعمة . لعل في استشهاد ريتشارد فولك ، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة بيل ، لدى افتتاحه المؤتمر الثامن للدراسات المستقبلية في كورسيكا (كانون الأول1984) بقول راجي كوثري : « إن الهند كانت ولا تزال تجد صعوبة في التخلص من الكوكاكولا أكثر من صعوبة التخلص من النظام الاستعماري البريطاني « ما يشير إلى عمق مأزق تبعية معظم أمم العالم الراهنة بدرجات مختلفة وعلى مستويات متعددة للهيمنة الأمريكية . لقد أدرك موظفو الإدارات الاستعمارية القدامى هذه المسألة وقام بعضهم بالتنظير لها ووضع برامج تضمن استمرار تبعية المجتمعات الخاضعة للاستعمار للدول التي استعمرتهم بعد أن يتم منحها استقلالاً مجوّفاً . يعتمد استمرار التبعية على عاملين شرح جورج هاردي، مدير التعليم في عهد الإدارة الفرنسية في المغرب أولهما بقوله : « إن القوة تبني الامبراطوريات ، لكنها لا تضمن استمرار ودوام الامبراطوريات ... إذ يجب إخضاع النفوس { فكرياً وثقافياً ومسلكياً } بعد أن يتم إخضاع الأبدان ..» (Georges Hardy. Le Probleme scolaire au Maroc . Casablanca, (Imprimerie rapide, 1920 . أما العامل الثاني فهو تغييب الديمقراطية الحقة بعد إعداد الإدارة الاستعمارية مجموعات محلية حاكمة تشدد سيطرتها وتمنع المشاركة والمراقبة والمحاسبة وتزرع الفرقة والهواجس في مجتمعاتها لتسهل لها الهيمنة عبر تحكم اقتصادي ومعاشي ، وأجهزة أمنية شديدة القوة والقمع واسعة الصلاحيات، وإدارة مطواعة، وإعلام مضلل .

عجبنا طويلاً قبل عقود لدى ارتماء معظم أنظمة دول أمريكا اللاتينية ، وأنظمة دكتاتوريات آسيوية وأفريقية أيضاً ، في الحضن الأمريكي الذي أدمن التقلب والغدر بحلفائه والتجسس عليهم وامتهانهم ثم إدارة الظهر لهم بعد استهلاكهم ، مثلما استهجنا ارتماء أنظمة أخرى في حضني فرنسا أو بريطانيا . صدقنا آنذاك أن الأمر يقتصر على قوى رجعية ارتهنت قسراً أو طواعية لاستخبارات الدول الكبيرة أو لشركات تابعة لها . لكن العقود الأخيرة فضحت مدى تغلغل داء التبعية في التكوين البنيوي لأنظمة كثيرة ، جرى تصنيف كثير منها يوماً (وطنية أو ثورية أو يسارية)، بل وابتليت حركات وتيارات وأحزاب شملها تصنيف مماثل بذات الداء. لعل أكثر الحالات جدارة بأن نقف عندها هي ما عرفه راهننا العربي ، وخاصة بعدما سقطت أقنعة كثيرة منذ الردة التي بدأها الرئيس المصري الأسبق أنور السادات ، فتلاحق الارتماء سافراً في الحضن الأمريكي ، دون اكتراث بأن لهذا الحضن بالضرورة امتداد عضوي هو الحضن الصهيوني . كان هذا من إفرازات الأنانيات الفردية والنزعة التسلطية المتجذرة ، وضعف الثقة بالذات الفردية والجمعية ، وتربية فاسدة تسوغ استسهال التقافز من هدف إلى نقيضة ولا تتورع عن الانتقال من تعهد إلى التنكر له والنكوص عنه ، وتستبيح الوطن فتعامله كمزرعة شخصية ، وتمتهن الشعب بمعاملته كالأرقاء ، وتمسخ المواطنة استعباداً يمارسه صاحب السلطة وحاشيته .

كم كانت صدمة كثيرين مفجعة عندما علموا مثلاً أن البريغادير برايتون ، مسؤول المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط ، قد حضر بصفة مراقب (...) اجتماع وزراء الخارجية العرب سنة 1946 الذي أعد لمؤتمر القمة العربي في بلودان المخصص لبحث الأوضاع في فلسطين التي لم تكن مغتصبة بعد آنذاك وادعاء

التخطيط لإنقاذها . ربما تداعت لدى بعض المصدومين لاحقاً أسماء كثيرة لعبت أدواراً ميدانية خطيرة في تأسيس وصياغة الكيانات القطرية العربية الراهنة وأوضاعها : سنت جون فيلبي ، لورنس ، جرترود بيل ـ الجاسوسة التي لعبت دوراً بالغ الخطورة في العراق والحجاز، برسي كوكس ـ رئيس مكتب الهند الذي كان العراق والجزيرة العربية من مسؤوليته ، البريطاني جلوب ـ الذي قاد جيش الأردن في حرب فلسطين سنة 1948، كارتر ، كلايتون، ستورس، مكماهون ـ صاحب الوعود العرقوبية سنة 1916 لحسين وأبنائه الذين حكموا العراق والأردن لاحقاً ، ديكسون ، أموندز، برترام توماس، كورنواليس، سبيرز، ولسون ، جارفيس، كركبرايد، فريا ستارك بولارد ، لولنجريج .. هؤلاء وسواهم كثير هم قدامى من أسهموا في صنع وتفتيت كيانات التجزئة القطرية العربية ، أما من تلاهم بعد (الاستقلالات) فقد ازداد عددهم وتنوعت جنسياتهم ومهامهم ، وتعاظم خطرهم . بعدئذ ، ربما تحول الشعور بالامتهان إلى صدمة عندما أكد محمد حسنين هيكل مثلاً أن مداولات مؤتمرات القمة العربية في المغرب كانت تنقل نقلاً حياً عبر (المونيتور) إلى غرفة متابعة قرب قاعة الاجتماع يجلس فيها مندوبون عن المخابرات المركزية الأمريكية والموساد .. هل من غرابة في تلاحق الهزائم العربية في ظل أوضاع مثل هذه ، وخاصة بعد تهشم القشرة الرقيقة الخادعة الهشة لمزاعم الحداثة والتنمية والنهوض عن عجز بنيوي فضح مدى بؤس التركيبة السياسية لكيانات افتعلت قسراً من شظايا وطن واحد وأمة واحدة، وبعدما تكشف بعض ما تم تصميمه من برامج لتأبيد هذا التشظي ولاستبدال الانتماء العربي الواحد الموحد بانتماءات قطرية وإقليمية ومناطقية ومذهبية وطائفية وعرقية تتوالد بدورها؟ وهل من غرابة في اكتشاف الألغام الموقوتة التي زرعتها القوى الخارجية في كل تلك الشظايا وراحت تتحكم بتفجيرها عن بعد صراعات بينية وأخرى داخلية تستنزف الجميع ؟ هل كانت تلك القوى لتستطيع ممارسة هذا التحكم وتفرض هيمنتها وبرامج نهبها وتخريبها لولا ضعف الكيانات العربية وهشاشتها اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وأخلاقياً ، بحيث يهيء فساد تعاملها الداخلي أنسب بيئة لتجذر وتجدد عمليات هيمنة الخارج وفرض التبعية له .

يدرك القاصي والداني ، والصغير قبل الكبير ، أنه ما من سبيل للنهوض والتطور الذاتي ولا للتنمية دون مقاومة الهيمنة الخارجية ورفض التبعية عبر إنتاج إبداعات ذاتية تقلص من الاتكال على الخارج والحاجة إليه ، وتقترب من الجدارة باشتراط علاقات متوازنة معه ، لا علاقات تبعية له ، فكيف يستوي الحال عندما تفرض علاقات خنوع وخضوع لوكيله الصهيوني مغتصب الوطن الفلسطيني ومحتل أراض سورية ولبنانية ، ومستبيح العديد من الأقطار العربية ، وعندما يصرح ملك عربي أو رئيس دولة عربية أن اتفاقيات (السلام) المزعوم مع هذا العدو خط أحمر لن يُمسّ .. لقد كشفت النكسات والهزائم المتلاحقة الناجمة عن الخفة وسوء أداء الإدارة العربية للصراع ضد الغزوة الصهيونية لفلسطين جانباً رئيساً للمحنة العربية الراهنة التي لا تقف في حدود هذا الصراع وإنما تمتد لتشمل معظم شؤوننا العربية المعاصرة في شتى المجالات. عشنا في المقابل ، ولا زلنا نعيش، البأس الجنوني الشديد والقسوة الوحشية المدمرة وخفة في الصراعات البينية العربية ، وفي إشعال نيران الصراعات الداخلية داخل كل قطر عربي ، في تكامل مع ممارسة قمع سلطوي دموي ضد الشعب يرقى إلى مصاف الإبادة الجمعية الشاملة ، تخاذل ذليل أمام العدو الصهيوني ، وتفريط مهين بالأرض العربية المغتصبة والمحتلة تحت دعاوى الجنوح للسلم التي غطّت تفاقم الانصياع للتعليمات الأمريكية بتقديم تنازل تلو الآخر ، بينما تزداد غطرسة العدو الصهيوني وأطماعه وإهانته لأمتنا في أعقاب كل من هذه التنازلات . لا نستطيع هنا الانزلاق إلى سذاجة توهم جهل النظام الرسمي العربي بحقائق صارخة أدركها كثيرون على امتداد العالم، من قبيل رصد المفكر الفرنسي سيرج لاتوش لتحول أوربا « إلى ابنة لأورشليم -الخرافة ، لا المدينة - ووارثة لكل عقد الشتات اليهودي الذي يصر على فرض الخرافة قانوناً يحكم التطور البشري ، ويطوّعه قسراً بوحشية لا تعرف وازعاً من ضمير أو قيداً من أخلاق « (سيرج لاتوش ، تغريب العالم ، ت. خليل كلفت، لندن ، دار العالم الثالث ، 1984) ، فالغرب الذي قال لاتوش أنه فكرة أيديولوجية أكثر منها جغرافية ،هي في جوهرها فكرة صهيونية تعصبية توقن بسيادة إثنية مطلقة للعرق الأبيض ، مدعية فلسفة خاصة هي التنوير ، داخل نظام اقتصادي أخطبوطي يمتص من كل القارات مواردها وجهود شعوبها ، ويضخ إليها ما تستهلكه مادياً وفكرياً وسلوكياً عبر تغريب هو مشروع متجدد لاستعباد العالم، هذا الغرب قائم

فكر

على قاعدة الفكرة الصهيونية / التوراتية القائلة بالوعي بالذات - أي بالأنا الفاعل ، لفرض التبعية على الآخر وصولاً إلى كون ذي بعد واحد ـ أن تستبيح الآخر وتسوّغ لذاتها الإبادة الإثنية الجماعية لأمم وشعوب وحضارات ، ضمن نظام اغتصاب متكامل لا يتورع عن اجتثاث الآخر من جذوره . وقد رأى لاتوش أن هذه الصليبية المتهودة في سعيها المعاصر إلى إخضاع باقي العالم واستيعابه استيعاباً إلحاقياً ، ليست قادرة على استيعاب أوربا نفسها في كيانها الديني الذي عمل اليهود فيه تحويراً وتزويراً وتحريفاً وتشويهاً على مدى قرون ، بحيث باتت المسيحية نفسها مستوعبة داخل مشروع اقتصادي استعبادي كوني.

ولئن استشرت تبعية راهننا العربي السياسية والاقتصادية والثقافية للولايات المتحدة، وللغرب عموماً ، ومن ثم بالتالي للكيان الصهيوني الذي يشكل إرضاؤه مرجعية رئيسة للسياسات والمواقف الأمريكية والغربية تجاه منطقتنا، فإن التبعية التي يسوغها خطاب رسمي عربي وملحقاته بكثير من البلاهة والاستغباء والتزييف زاعماً أنها (علاقة صداقة) أو (تعامل ندي) أو (انسجام مع معطيات الواقع الدولي وموازين القوى) قد أسهمت بقسط كبير في تبديد طاقات الأمة والتفريط بحقوقها واغتيال آمالها وشلّ إرادتها ومسخ عقيدتها وقيمها واغتيال آمالها وإضعاف ثقتها بذاتها . نلاحظ هنا كيف قام الإعلام العربي ، وخاصة الرسمي ، بدور رئيس في ترويج فكر وأيديولوجية التبعية وفي تزييف الوعي السياسي والاجتماعي للجماهير العربية لصالح النخب الحاكمة في الداخل ولخدمة مصالح القوى الكبرى المهيمنة.

أشار عبد الله العروي إلى عامل آخر ابتليت به المجتمعات المتخلفة على مستوى الأفراد والمستوى الجمعي هو النزوع إلى التقليد الذي يتحول إلى تبعية جازماً بأن المخرج الوحيد منه هو ثورة فكرية في مضمون تاريخاني (عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، ج. 2 ـ المفاهيم والأصول المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، 1992، ص405) . لكن نجاح هذه الثورة الفكرية يحتاج في رأينا إلى توفر شروط يزداد تعقيدها في بيئة اعتقال الفكر في زنزانة التخطيط المركزي الحكومي وقولبته ليخدم غايات السلطة ومصالحها المتقلبة ، ناهيك عن التخلف الذي لا يتورع عن القمع الدموي لمن يرتكب التفكير الحر ، مما بات أشد الأوبئة فتكاً بالثقافة وجوهر الذات الحضارية للأمة ، واستدعاء لمزيد من التدخلات الأجنبية في أشد الشؤون العربية حساسية . لا ننسى اعترافات علنية لأكثر من وزير خارجية عربي بأن نص قرارات القمم العربية وبياناتها يتم اعتماده من وزارة الخارجية الأمريكية قبل أن تجتمع القمة .. كما لا ننسى عدة مرات تقرر فيها عقد قمة عربية لمواجهة تطور خطير، وإذ بتصريح لبيكرينغ ، مساعد وزير الخارجية الأمريكي ، أو لخليفته الصهيوني مارتن إنديك ، أو سواهما ، يعلن أن الوقت غير مناسب لعقد قمة عربية ، أو أن الولايات المتحدة لا توافق على عقدها ، فتطوى صفحة القمة العربية على الرغم من الإعلان عن موعدها.. أسهم هذا وسواه في أن تواجه الدولة التسلطية في الوطن العربي بشتى أنماطها « ظاهرة تآكل شرعيتها السياسية ، وبشكل خاص منذ الثمانينيات ، حصيلة لفشلها الذريع في الحفاظ على الاستقلال الوطني ، ومواجهة التهديدات الأمنية الإسرائيلية والأمريكية ، وفشلها في التنمية ، وعجزها في تحقيق المشاركة السياسية . وكان رد فعل بعض الأنظمة لإنقاذ شرعيتها إما السماح بتعددية سياسية محسوبة ومقيدة تتحكم بها تماماً ، وإما تشديد القمع المباشر . أدت ممارسات الدولة التسلطية العربية في العقود الأربعة الأخيرة إلى مجموعة من الظواهر السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية ، أبرزها شيوع اللامبالاة السياسية ، وبروز الاغتراب الفردي والمجتمعي ، وكذلك ظهور الثقافات المضادة للدولة التسلطية ، وازدياد حركيتها ..» ، كما قال السيد يسن(المستقبل العربي، بيروت،العدد 160،تشرين الأول 1992، ص157ـ158)

لسنا نلقي اللوم كله على سلطة وملتحقين بها فقط ، إذ يقاسمها إياه كثير من الذين يتم تنصيبهم قادة رأي وأعلام فكر وإبداع ، لكنهم لا يتورعون عن تمجيد التبعية للأعداء وافتعال الذرائع لها امتداداً لتبعيتهم النفاقية للحاكم ، فيستحقون ما هو أكثر من اللوم.

الأنا المتضخمة والجهد الضائع

● سلام الكواكبي

لقد خسر السوريون نسبياً، وربما مرحلياً، معركة التواصل وكسب الرأي العام لقضاياهم المشروعة والعادلة. وذلك يعود لأسباب عدة يتقاطع فيها السياسي مع العسكري مع الإنساني. في هذه العجالة، سأحاول التوقف أمام البعد الإنساني المرتبط بتكوين الشخصية السورية المنوط بها نظرياً أو عملياً حمل رسالة الشعب القابع في أتون المقتلة، بعيداً عن العمل الإنساني والإغاثي الذي يقوم به كثيرٌ من السوريون بكفاءة.

كثير من الندوات التوعوية أو التحشيدية تُعقد منذ انطلاقة الاحتجاجات في سوريا وحوّلها إلى ثورة سلمية مروراً بانتقالها إلى العمل المسلح وصولاً إلى إرهاصات «مفاوضات» تحت رعايات دولية متناقضة المقصد. وغالباً ما تنظّم هذه النشاطات جهات مدنية أجنبية أو تسعى لعقدها جمعيات المغتربين السوريين في محاولة لإبراز الحقائق وتحسيس الرأي العام في البلد المُضيف إلى واقع المأساة السورية. ويسعى القائمون على هذا النوع من اللقاءات إلى شرح أبعاد معاناة الشعب السوري من خلال العروض السينمائية أو الشعرية أو الموسيقية أو المعارض التشكيلية أو الضوئية. إضافة إلى المحاضرات التفاعلية التي تسعى للإجابة على أجوبة جمهور متعطّش للمعلومات أو باحث عن التموقع ويكتنفه تردد عميق قائم على تناقض مضامين الرسائل الإعلامية التي يتلقفها. ويحاول المتداخلون، ولا ينجحون دائماً، تبسيط شروحهم أو عروضهم بحيث تصل إلى أوسع شريحة بعيداً عن التركيبات المعقدة أو الاستدعاءات التاريخية المُربكة.

في المقابل، تعتمد الندوات العلمية التي تنظمها جامعات أو مراكز بحثية غالباً، وأحياناً تتصدى لتنظيمها أيضاً بعض المؤسسات الدولية الحكومية وغير الحكومية، على دعوة باحثين سوريين وأجانب للنقاش المعمّق حول الأبعاد الوطنية والإقليمية والدولية للمأساة السورية في محاولة لتعميق التحليل في مجمل أبعاده الجيوستراتيجية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى البيئية. وكذلك، تسعى بعض اللقاءات إلى اختيار موضوع محدد للتوسّع في بحثه وفي مناقشته. وكما هو البحث في العلوم الاجتماعية، تتطلب هذه اللقاءات وجود تصوّرات تربط الوضع المحلي بأبعاده غير السردية وتحاول اسقاط بعض النظريات الأكاديمية على وقائع جارية دونما الوقوع في الجهد المعاكس والذي طالما ما اكتنف اعمال بعض الأكاديميين الغربيين والذي يحاول أن يؤقلم الوقاع مع نظريات قائمة.

تسعى هذه الأنشطة لتعميق النقاش حول المسألة السورية بعيداً عن العواطف الجياشة أو المواقف السياسوية. وتميل في منهجيتها إلى استخلاص توصيات أو وضع تصوّرات يستفيد منها الحقل الأكاديمي كما صانعو القرار السياسي. السوريون موجودون وبكثرة في هذه الأُطر، ومنهم أصحاب الخبرة العملية وآخرون أصحاب أدوات المعرفة والتوثيق.

وعلى الرغم من أهمية الندوات التوعوية والتحشيدية، إلا أنها غالباً ما تتوجه إلى جمهور عريض مكتسب للقضية السورية في مجمله مع وجود بعض الأصوات المتكررة المرتبطة بمخاوف الأقليات أو بالنظرة الإسلاموفوبية أو باليساروية البافلوفية. ولقد أصبح التعامل مع هذه النماذج جزءاً لا يتجزأ من نكهة

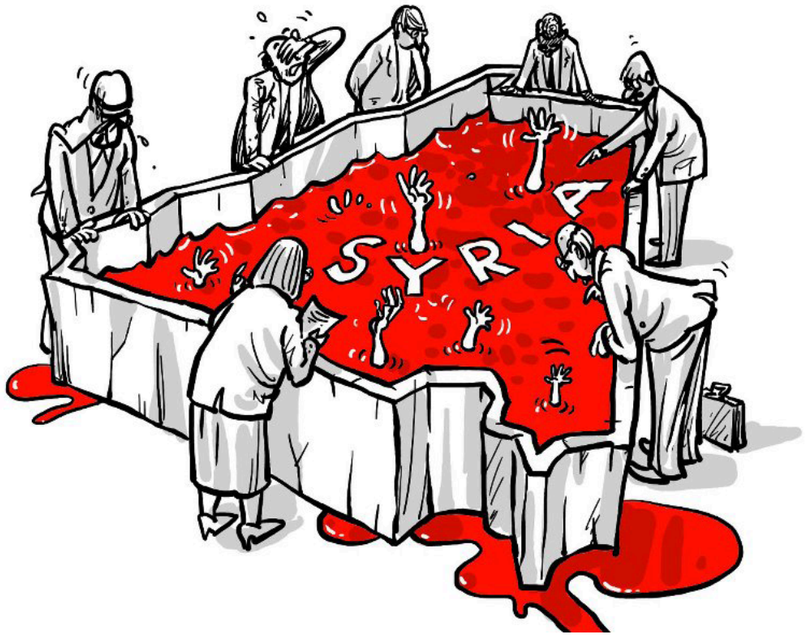

المشاركة في مثل هذه اللقاءات. فعلى سبيل المثال لا الحصر، وفي ندوة أخيرة نظمتها حمعية إلى سوريا في معهد العالم العربي في باريس، قال أحد البافلوفيين بأن ما يجري في سوريا هو نتيجة لمخططات تعود إلى بداية القرن العشرين، وشدّد على أنه قرأ منهجيتها في مذكرات تيودور هرتزل. فما كان مني إلا أن شدّدت على أن الأمر أقدم بكثير، وبأن الحقيقة يجب أن يتم الرجوع إليها في مذكرات حمورابي. فصمت المتحدّث عن الكلام الالزهايمري. كما فمن أصحاب نظرية المؤامرة ترى العجب العجاب، فأحدهم، وعندما لم يجد ما يواجه به المداخلة عن الشأن السوري سعى في مناكبها بحثاً عن التشكيك في مرجعيات فكرية تعود إلى عصر النهضة وواجهت الاستبداد في كتاباتها، فيسأل عن تمويل بعضهم خارج بلدانهم وعن مصدر تمويل مثل هذه الهجرات، فلا تجد ضيراً في الابتسام والتأكيد على أن مصدر التمويل حينذاك كان الشيخ حمد. فيشعر السائل بالخجل أو لا يشعر، ولكنه على الأقل يصمت.

كثيرة تلك الحكايات ولكنها أصبحت اعتيادية وليست ذات أهمية إلا للطرفة على الرغم من فداحة الأحداث وضعف القدرة على الابتسام. ولكن الألم الحقيقي يقع في الندوات العلمية والبحثية عندما يشارك فيها باحثون من كل المشارب وينصت إليها باهتمام مراقبون دبلوماسيون أو إعلاميون.

إن كانت المستويات العلمية متقاربة ولا تمييز في الشهادات والمعارف، إلا أن الملاحظ والمستهجن هو اختلاف المستويات الأدائية. فالمشارك الأجنبي، حتى ولو كان من الجهات الداعمة للنظام السوري أو المتفهمة لسياساته ولأداءه، يعتمد الحديث الهادئ والمنهجي لشرح وجهة نظرة. ويستند أيضا، خصوصاً إن كان إيرانياً أو روسياً، إلى سينيكية تكاد تكون ملحمية في مقاربته للأمور بعيداً عن أي انفعال. والأهم من ذلك كله، فهو يُبحر بالمستمع في محيطات العلاقات الدولية والمصالح الاستراتيجية والتحليلات التاريخية، مما يظهر أولاً، ثراءاً معرفياً، وثانياً، رغبة واضحة في تمييع المسألة المطروحة في أطر أوسع

وتعقيدات وتشابكات لا بداية لها ولا نهاية. ولا يشابه هذا الصنف من المتداخلين في هدوءه وسينيكيته إلا ما عهدناه من المحللين الإسرائيليين على وسائل الإعلام عند تطرقهم إلى القضية الفلسطينية. وفي النهاية، لا يلجئ هؤلاء إلى شخصنة الحوار البتة، ويتعاملون بكل احترام، وأكاد أقول مودة، مع من يخالفهم الرأي مهما حمل هذا الخلاف من كلمات «لاذعة» بحق سياسات دولهم.

أما بعض السوريين، خصوصاً من الباحثين «المعارضين»، فينسى أن يتحدث عن الوطن القابع تحت التدمير الممنهج وعن مئات آلاف القتلى والجرحى وملايين المهجّرين القسريين داخل الحدود واللاجئين هرباً إلى دول الجوار. ويبتعد عن منهجية العرض العلمي المتجرّد ليغرق في الحديث الذاتي وفي التحريض على الآخر المعارض غير المتفق معه أو غير المسبّح بفطنته التي تتجاوز حدود البشر. ولا يعدل عن المضي قدماً في اسهالاته الكلامية رغم تبرّم الحضور من أناه الذاتية المتضخمة.

ويعتقد المنصت إلى أن هذا الكلام «الفارغ» كله لن يتجاوز مرحلة وزمن المقدمة والتمهيد، وينتظر أطياب القلوب دهراً عودة من المتحدث إلى صلب الموضوع الذي تمت دعوته بناء عليه. فالمتحدث يسترسل في ذكر محامده ويعود بالمستمع إلى ما سبق وكتبه (وغالبا، لم يقرأه أحد)، وإلى ما «أفتى» به في هذا اللقاء أو ذاك الاجتماع أو ذينك الندوة. ويجري تسخير الحديث على الذات «الأنوية»، التي تنبأت بكل ما وصلنا إليه وبكل ما يقع اليوم وسيقع حتماً في الغد القريب. ويستمر الحديث المسهب غير الملتزم بأدبيات الحوار أو الاستماع أو الإصغاء أو المشاركة، بل ويزيد ما تيسّر من الشتم والتهكم على من يخالفه الموقف في المعارضة.

وبالتأكيد، سيعرّج على كل الهياكل التي لم يدعى إليها ليفنّد أضرارها وخطاياها. ويعرّج على المشاريع البحثية التي لم يكن على رأسها ليوضّح بأنها صنعت في مخابر أجنبية ومن مخبريين أجانب. وعلى الرغم من المغالطات الفظيعة فيما يطرح، لا يجد

أنه من الضروري أن يقدم رؤية أو تصوّر أو سيناريو أو تحليل. ويدخل في حالة من الانتعاظ الذهني راسماً إبتسامة المنتصر وهو المستمع الوحيد لنفسه. ويعرّج على بعض الكلمات النابية ليعطّر بها ردّه على بعض الوقائع المسردة من قبل باحث أجنبي يحاول أن يعيد حصان الحوار الهائج إلى عربة الموضوع السوري. ويتوّج أداءه الأخلاقي بشتم مشارك آخر اختلف معه في طريقة إيراده للمغالطات الفجة والوقحة، ليتهمه بانعدام التهذيب لمقاطعة حديثه المصطفى، وهو الذي لا يقاطع كل احاديث الآخرين بالكلمات فحسب، بل لا ينفك عن التلويح بالأيدي والتبرّم بالشفاه والغمز واللمز بالعيون، وربما بالأرجل الغائبة تحت الطاولة أيضاً.

ويغيب الوطن، تغيب سوريا والسوريون عن القاعة. يغيب الهم والوجع المشتركين والمفروض ترسيخ الحديث عنهما بمعزلٍ عن كل الخلافات الشخصية المريضة والعقد الذاتية المتسرطنة. تغيب سوريا إلا عن مداخلات «الأجانب» الذين هم سوريون إنسانياً أكثر من بعض من يحمل هوية سورية. ويُشفق الملاحظ على أن مثل هذه النماذج تدّعي وصلاً بالقضية. ويخرج الحاضرون من مختلف المشارب وهم يتحسّرون على هذا البلد العظيم الذي فيه أشخاص يحملون عقداً نفسية تحتاج إلى ثورة بذاتها.

إن هذه الظاهرة تعتري، بنسب متفاوتة، عدداً من «رجالاتنا» علميين كانوا أم سياسيين. وهي مرتبطة بواقع معاش طوال عقود حيث لا يسمع أحدنا للآخر، وعندما يتاح لأحدنا الكلام، فيصادره ويمنع تنفس مستمعيه، طالباً ومنتظراً ومتوقعاً السجود في آخر الوصلة. ولكن الظاهرة تُبنى أيضاً من خلال تراكم الخيبات وتكرار الفشل في الحصول على مقعدٍ تحت الشمس، أية شمس، ولو حتى كانت من المصابيح. وكثيراً ما يحمل الفاشلون أو المتقاعسون أو المُحيّدون أو المنبوذون أو الملفوظون، سبب كل ذلك إلى الآخر حيث تطغى عقدة الإعجاب النرجسية بالشكل وبالمضمون. ولا أدّل على هذا المرض إلا التطرّق، من حيث لا داعي له البتة في إطار علمي أو سياسي، إلى الحياة الخاصة سرداً لمغامرات صبيانية تملئ وجوه المستمعين الجادين احمراراً فيشعرون بالخجل عوضاً عن المتشدّق الذي ابتعد عنه الشعور أميال.

والموقع الجغرافي لا يُغيّر في قوم ما لم يُغيّروا في انفسهم. فلا معنى أن يكون الشخص متعلماً ومتبحّراً في الشهادات وخائضاً غمار بحار الغربة والمغترب ومقيماً في دول تحترم أنظمتها وتقاليدها الآخر مهما كان هذا الآخر. المكان لا يحدد الإنسان ولا يساعده على التخلّص من عقده النفسية، إلا في حالة لجوءه للعلاج المتطور في بلاد الغربة، خصوصاً في الشق النفسي.

يبقى القول، بأن الندوات ما زالت ضرورية، وبأن المشاركة العلمية محمودة على الرغم من مخاطر الوقوع في براثن المغمورين علمياً أو أخلاقياً. والهدف الأول والأخير هو الحديث عن البلد الضحية بعيداً عن تصفية الحسابات وإدراج لوائح الاتهام الشبيهة بتلك التي تجترعها الأجهزة الأمنية للانتقاص من رأي يخالفنا أو لا ننتمي إلى المدرسة الفكرية لقائله.

عاتبني في وقت قريب صديق عزيز على الجرعات الأخلاقوية في كتاباتي وعن ميلي أحياناً، وبنظره، إلى الوعظ السياسي. فاسترشدت بملاحظته وحاولت الابتعاد عن هذه «الموبقات». إلا أنني أجدني أعود إليها ولو لمرة لأعتبر بأن الأخلاق أهم من العلم، وبأن التهذيب ليس ضرورياً فقط للشكل وإنما للسان، وبأن من يحوّل منبر علمي أو شعبي مرسّخ لوطن عظيم كسوريا إلى ساحة تصفية حسابات واستعراض عضلات بعيدٌ كل البعد عن الأخلاق وعن الإنسان.

جرمانا بعد تاميكو... ضحايا يختارهم الموت صدفة

● زويا بدور

أزيز الرصاص وصفير القذائف وأصوات المدافع وهدير الطائرات الحربية، بالتزامن مع أذان الجوامع «الله أكبر، الله واكبر...الحمد لله كثيرا»، إنه صباح عيد الأضحى، كما يبدو من شرفة أحد سكان مدينة جرمانا، صباح أشبة بجبهة حربٍ حقيقية، رائحة البارود تملأ المكان والجميع يترقب أين ستسقط القذيفة التالية.

كلما اشتدت المعارك في محيط مدينة جرمانا التي يقطنها نحو نصف مليون نسمة، تنهمر القذائف على الأحياء السكنية، قبل عدة أيام وبعد سيطرة الحر على حاجز تاميكو القريب، عاش سكان جرمانا أسوء أيام الرعب، حيث أمطرت سماء المدينة عشرات القذائف وسقط عشرات الجرحى وقضى نحو 14 مدنياً، وأصبحت القذائف تنهمر يومياً، وقوائم الضحايا تتسع لأعداد جديدة.

العلاقة مع المحيط

جرمانا.. المدينة «الدرزية» تعايشت لمئات السنوات مع محيطها «السني» دون تسجيل أي نزاعٍ طائفيٍّ أو أهليٍّ يذكر، لم تختر أن تكون موالية للنظام، لكنها أيضاً خنقت في رحمها أصوات الثائرين من أبنائها، وأرادت الاكتفاء بموقف المتفرج لحين إسدال الستائر، معبرةً عن ذلك بقرار مشايخها بأنها لن تضم بين جنباتها لا مظاهراتٍ معارضة ولا مسيراتٍ مؤيدة، متذرعةً بخوفها من بطش النظام مرةً، ومرةً أخرى خشيتها من حكم الأكثرية.

أقلية تنكفئ على ذاتها وتعيش هواجس متجذرة منذ السنوات الأولى لحكم الأسد الأب، لتبدو اليوم أشبه بجزيرةٍ معزولة، تنازع وسط محيطٍ ثائر، يلفها كحدوة الحصان، مفتوحة باتجاه الشمال الغربي نحو دمشق وطريق المطار.

جرمانا جارة الثوار وليست مثلهم، تقع في قلب الغوطة الشرقية، في الشرق أراضي المليحة وصولاً إلى زبدين ودير العصافير، وأيضاً إلى النشابية والبلالية، وفي الشمال عين ترما وسقبا وعربين وصولاً إلى حرستا، وفي الشمال الشرقي كفر بطنا وحمورية ومسرابا، وفي الجنوب طريق المطار الفاصل بين جرمانا وبيت سحم وعقربا وشبعا، وفي الجنوب الغربي الحجر الأسود والحسينية والذيابية وكذلك ببيلا وبلدا وداريا والغوطة الغربية.

ناشطون صوتهم خافت

حاول الناشطون فيها الانضمام باكراً لثورة الشعب، لكن ما لبثوا أن واجهوا مجتمعاً متمترساً خلف صمته وخوفه، مازلت أذكر محاولات التظاهر الأولى، كيف واجهها بعض من أبناء المدينة من الموالين برفع صور رأس النظام بشار الأسد ووالده، ومنع المتظاهرين من الهتاف، ما دفع الناشطين للبحث عن ساحات أخرى للتظاهر، يتسللون إلى الميدان وحرستا ودوما والقابون، وكانوا يشاركون بالعشرات في مجالس عزاء الشهداء الذين سقطوا في المظاهرات من المليحة إلى المعضمية والقدم ودوما والكسوة وبرزة.

السلطات الأمنية لم تترك جرمانا من حساباتها، لاحقت الناشطين واعتقلت العشرات، واستشهد عدد منهم تحت التعذيب، بينما فضل آخرون المغادرة خارج البلاد، ومن بقي فضل العمل في الخفاء وبحذر شديد.

واكتفى المعارضون هنا بأن تكون جرمانا مدينةً لتضميد جراحات الحرب، ومكاناً للسلم والعيش المشترك، بعيداً عن دخان المعارك، وانصرفوا للعمل الإغاثي، مع تضاعف أعداد الوافدين إليها من المناطق الثائرة، فحسب إحصائيات الهلال الأحمر، هناك ما يزيد عن «24 ألف عائلة» وافدة إلى جرمانا ما يقارب 120 ألف شخص وسطياً، علاوةً عن غير المسجلين لدى الهلال والذين

يتلقون المساعدة من «لجنة الإغاثة» التي تشكلت من شباب وصبايا المدينة وفرضت نفسها على الجميع بفضل ما تقدمه من خدمات.

بالمقابل اختار العشرات من أبناء المدينة الالتحاق بالثورة المسلحة عبر تشكيل كتيبة فدائيي بني معروف في الشهر الأول من العام الحالي التابعة للمجلس العسكري في ريف دمشق، والتي يتذمّر عناصرها من عدم حصولهم على تمويل بعد ما يقارب العام من تشكيل كتيبتهم.

إغراق المدينة بالسلاح

لكن الحياد الذي تطلع إليه مشايخ المدينة لم يَرُق للنظام، الذي عمل على جرّها إلى صفه، فقام بتسليح مئات الأشخاص من أبنائها الصاعدين من أسفل الهرم الاجتماعي «ما يزيد عن 650 عنصراً»، وضمَّهم الى ما يُسمّى بـ «اللجان الشعبية» التي ما لبثت أن تحوّلت إلى «جيش الدفاع الوطني»، كما وزّع آلياته العسكرية على حدودها؛ مًحتمياً.. شيئاً فشيئاً بالأحياء السكنية، ليحمي أولاً نفسه من جهة؛ وليدقَّ أسافين الخلاف مع المحيط الذي حولها؛ بنشر الإشاعات؛ و بالتفجيرات حيناً؛ وأحياناً أخرى بالقذائف مجهولة المصدر كما يُسمّيها المعارضون داخل جرمانا.

دخلت المدينة في دوامةٍ من الفعل وردّ الفعل، ولمعرفة الحال اليوم لا بدّ من الرجوع قليلاً إلى أول حادثة اغتيالٍ لشبّيحٍ من جرمانا في تموز عام 2012، حيث قتل شبيحٍ من أبناء المدينة ينتمي لعائلة «أبو بكر» على أيدي مسلحين مجهولي الهوية، وفي اليوم ذاته قام شبيحة المدينة باقتياد شابٍ من أهالي «سقبا» وقتله في ساحة المدينة وسحله في شوارعها، زاعمين أنه القاتل، ليتبيّنَ لاحقاً بأنه أحد تجّار العقارات؛ وله على الشبيحة ملايين الليرات، ويسكن في جرمانا منذ نحو 6 سنوات.

وبعد أسبوعٍ واحد جاءت حادثةً أخرى مشابهة، حيث اغتيل ستة عناصر من شبيحة جرمانا أثناء وقوفهم على حاجز مدخل المدينة من طريق المطار، وبعد انتشار الخبر، حاول الشبيحة اقتحام المدارس وطرد النازحين منها، الأمر الذي دفع بشيوخ المدينة وعقلائها الى الوقوف في وجههم وطردهم، واستطاع الأهالي حماية المدارس في تلك الفترة.

ومرّت جرمانا بعد ذلك بعددٍ من التفجيرات، ويُحصي الناشطون»أكثر من 16 تفجيراً حتى الآن» كان جُلّ ضحاياها من المدنيين، وفي توقيتٍ زمنيٍّ مريب، وقع أكبر تلك التفجيرات في ساحة الرئيس والذي راح ضحيته أكثر من 110 أشخاص، وأتى مُتزامناً مع رفض الأهالي إرسال أبنائهم للقتال إلى جانب النظام خارج حدود المدينة.

عقاب.. بإطلاق يد الشبيحة

وبهذه الوقاحة كان أداء الشبيحة، وعلى هذا الموقف يمكن بناء الأحداث اللاحقة، فكل تلك الحوادث مهّدت لفرض التسليح المُوسَّع؛ وبقوةٍ على جرمانا ولنشر الحواجز ولإطلاق يد الشبيحة، حيث تكاثرت حواجزهم في المدينة وعلى أطرافها، وارتفعت وتيرة الاعتقالات على الهوية، وأصبح للشبيحة مقراتٍ

للاعتقال والتحقيق. وباتوا «دولةً مستقلة»، يدخلون المنازل بحجة التفتيش ويقومون بالسرقة والابتزاز، وأصبح لبعضهم مستودعات لمسروقاتهم من المناطق التي يقوم النظام بدخولها، ويقومون هم بتمشيطها ونهبها.

يقع منزل أحدهم «ع . د» عند مدخل جرمانا الأول من طريق المطار الذي أغلق منذ بداية الثورة، وعلى سطح بيته تجد القناصة والنواظير الليلية، وقاذف الهاون، ترسانة أسلحة متكاملة، وهو من حيتان الشبيحة الذي لا يعرف عن نفسه إلا بـ «اللواء»، وتمّ اعتقاله في حملة الاعتقالات الوهمية التي طالت شبّيحة جرمانا؛ لكنه خرج بعد بضعة أيام، وفي حادثٍ مُوثّقٍ.. فإن أحد عناصر الشبيحة قتل بالخطأ زميلاً له «من عائلة «جبر»، ولم يكن من «ع . د» إلّا أن نشر نبأ قنصه من قبل بيت سحم، ليتبيّن لاحقاً؛ وبعد تقرير الطبيب الشرعي بأنّ الرصاصة أتت من بُعدِ مترٍ واحدٍ فقط.

ورغم الشائعات التي كان ينشرها النظام عن دخول الجيش الحر للمدينة، إلا أن قادة الكتائب في ذلك الوقت كررت تأكيداتها بأنها ليست في وارد الدخول إلى جرمانا، وتريد المحافظة ما أمكن على علاقات حسن الجوار، لكن شبيحة جرمانا ومن على أسطح المباني المواجهة للمناطق المنتفضة مثل بيت سحم وعقربا والمليحة، استمرّوا.. ولما يزيد عن ثلاثة أشهر برمي قذائف الهاون، وقنص المدنيين، إلى جانب اعتقال من يدخل جرمانا من أبنائهم وتعذيبهم، علاوةً عن مدافع النظام وآلياته المُتمترسة على أطراف جرمانا؛ والتي تزحف يوماً بعد يوم إلى قلب المدينة وداخل مبانيها، إلى جانب القناصة من حزب الله الذين اختاروا من مباني المدينة مواقعاً لهم.

لا صلاةَ.. على شبّيح

وفي المقابل كان للهيئة الروحية «المُعبّرة عن رأي المشايخ» في المدينة مجموعة من المواقف المتقدمة، التي لم تُعجِب النظام، حيث أصدرت عدداً من البيانات عبّرت من خلالها عن رفضها لخروج اللجان الشعبية وللقتال إلى جانب النظام، ورفضت حضور تشييع أي شخصٍ يُقتل في تلك المواجهات، كما شجّعت على تقديم التبرعات للنازحين، ومساعدتهم، رافضةً ممارسات السرقة والنهب التي يقوم بها الشبيحة.

جرمانا.. بعد تاميكو

ومع تغيّر مُعطيات الثورة على الأرض، وتعديل موازين القوى، بعد السيطرة على حاجز «تاميكو» في 19 - 10 - 2013، تغيّر حالُ مدينة جرمانا، وتصاعدت وتيرة القذائف على المدينة، والتي غالباً ما تتبنّاها إحدى كتائب الجيش الحر «لواء درع العاصمة»، مؤكدةً بأنها تأتي لدكّ معاقل الشبيحة، في حين أن غالبيتها يسقط على المدنيين، وفي كل تاريخ القذائف التي انهالت على المدينة في الماضي وفي هذه الأيام كان غالبية ضحاياها من المدنيين سواء من أبناء المدينة أو من المُهجّرين الوافدين إليها، وخلافاً للسابق.. حيث كان الرأي العام السائد في جرمانا يتهم النظام، وبأسوأ الأحوال يعتبرها قذائف مجهولة المصدر في إشارةٍ ضمنية لاتهام الطرفين، أما اليوم.. فالغالبية تميل إلى اتهام فصائل مقاتلة على جبهات الغوطة.

وأصبح السكان يُدركون أنه كلما اشتدت معارك النظام على المحيط المنتفض، كلما ازدادت وتيرة القذائف التي ستسقط عليهم، والتي أصاب بعضها مؤخراً المدارس؛ وبات الطلاب من الأطفال في عين العاصفة، وعلى خلاف الشجب والتنديد الذي كنا نسمعه سابقاً من الكتائب التي كانت تنفي مسؤوليتها عن سقوط القذائف على جرمانا، نجد اليوم أصواتاً من قلب الغوطة المحاصرة تتحدث عن مدينةٍ مُواليةٍ.. يستخدم النظام أراضيها لقتل الغوطة وخنقها، والشبيحة فيها يقاتلون جنباً إلى جنب مع النظام، متسائلين لماذا تعيش المدينة مرتاحةً بينما في الطرف الآخر.. شعب يُقتل، إمّا بالرصاص وإمّا جوعاً؟.

سؤال.. يُردّده أبناء الغوطة التي تعيش منذ عام كاملٍ في حالة حصار وبلا كهرباءٍ أو دواءٍ وغذاء، وتدفع ثمن الحريةً باهظاً، ولا أحد يجد جواباً على هذا السؤال.

سيناريو اجتياح.. جرمانا

عينُ الثوار اليوم.. ترصد المدينة المتميزة بكونها بوابة دمشق في الاتجاه الشمالي الغربي، فهي مدخل رئيسي يصل بين الغوطة ودمشق، ولكونها على تماسٍ مباشر من طريق المطار، ونقطة ربط بين الغوطتين، فهل يغامر الثوار بدخولها؟

تعددت الإجابات على هذا التساؤل الذي لا يملك أحدٌ إجابةً حقيقيةً حياله، فكل الأمور مرهونة بشروط الواقع الميداني، لكن من المستبعد اعتبار المدينة مستقراً للجيش الحر، ودخولها من باب تحريرها، والسبب يكمن في أنها معركة استنزاف حقيقية للجيش الحر بفعل غياب الحاضن الشعبي في المدينة ذات الطابع السلمي حتى في معارضته، إلى جانب عدد المسلحين من ميليشيا جيش الدفاع الوطني، وتمترس النظام بقوة داخل المدينة.

ورغم بعض الأصوات التي تتحدث عن سيناريو تسليم النظام للمدينة وترك أهالي المدينة يدخلون في معركةٍ لا تنتهي مع الجيش الحر، إلا أنه أحد أكثر السيناريوهات بعداً عن الواقع.

فتسليم جرمانا سيعني تسليم طريق المطار والمتحلق الجنوبي والاقتراب من معقل النظام الأهم وهو العاصمة دمشق، إلى جانب عدم ضمان ولاءات الشبيحة بالنسبة للنظام، لا سيما أنهم تحولوا إلى ميليشيات داخل النظام، تعمل لحسابها الخاص، وكانت حملة الاعتقالات التي نفذها مؤخراً في صفوف الشبيحة خير دليلٍ على ذلك، كما أنه لا تُوجد مُعطيات تدعم هذا السيناريو؛ فالنظام مستمر بالتسليح والحشد الطائفي ونشر الخوف والذعر بين الأهالي، معتبراً جرمانا أحد أهم معاقله.

جرمانا.. بين نارين

تبدو المدينة اليوم مغلوبةً على أمرها، والكتلة الساحقة من سكانها الذين ينتمون لمختلف الطوائف والمذاهب، لا حول ولا صوت لهم، يدفعون ثمن معركة فرضت عليهم، وكل يوم يسقط عشرات الضحايا منهم بين قتيل وجريح.

السكان يعيشون بين نارين، استمرار النظام يعني استمرار التوتر والقذائف والسيارت المفخخة، والأهم استمرار سيطرة بضع مئات من عناصر الجيش الوطني واللجان الشعبية - سيئي السمعة - والموالين.. ومن خلفهم النظام، يتحكمون بمصير نحو نصف مليون (من السكان والمهجرين) داخل المدينة، وبالمقابل تغيير ميزان القوى لصالح محيط ملتهب يتمّ قصفه دون رحمة ومُهدّد بالموت جوعاً، ما يعني دخول مدينة جرمانا الى مخاطر المواجهة مع آلاف الموالين والمسلحين، وتلك لحظة يخشاها ويتجنبها أهل المدينة، أو على الأقل لا يرغب كثيرون أن تكون دموية، فيختلط الحابل بالنابل، ولكن.. متى كان التاريخ يمشي وفقاً للرغبات؟!!.

صراعات في المحطة الحرارية وحلب بلا كهرباء

● ليليا نحاس

حلب و أزمة الكهرباء دائمة

مع بداية شتاء آخر تبدو أشعة الشمس أكثر كرماً في تقديم الضوء والدفء مما تقدمه الكهرباء للأهالي في حلب, لأكثر من نصف النهار يستغني الناس عن خدمات التيار الكهربائي في بيوتهم وأعمالهم, وبما أن الكهرباء عصب الحياة لأي مدينة معاصرة يعيش الناس العديد من ساعات النهار المختنقة و الليل المعتمة

مشاكل المحطة الحرارية روايات لا تنتهي

تقع المحطة الحرارية لتوليد الكهرباء المزود لمدينة حلب في منطقة السفيرة, لهذه المحطة استطاعة اجمالية 1100 ميغا وات, توقف عمل المحطة مرات متكررة وتعرضت لأضرار كثيرة لأسبابٍ منها التخريب, والقصف, وطرد عدد كبير من العاملين, واقتصار عمل المحطة على عنفة واحدة, وزيادة الضغط عليها بسبب توقف عمل خط سد الفرات بعد التخريب الحاصل له, مما أدى إلى عمل غير منتظم للكهرباء

يتحدث أحد العاملين عن سبب الانقطاع الحالي للتيار الكهربائي « : السبب الحقيقي هو انقطاع الغاز عن المحطة نتيجة تعرض خط الغاز لأضرار نتيجة القصف الشديد حوالي المحطة والعمل جاري حاليا لإصلاح الخط ومن متوقع إنهائه اليوم إن تم ذلك ستعود للعمل خلال أيام.

تم خلال فترة اسبوع مد خطوط تغدية ب 20 كيلو فولت من محطة تحويل حلب اف 1 للتغذية السكن ومحطة الغاز وبالتالي تحويل تغذية سكن ومحطة الغاز بدلا من كويرس الى حلب اف 1 ومعها تنتهي معاناة السكن ومحطة الغاز من فصل النقيب وليد لقاطع كويرس»: بينما قال أحد سكان المنطقة :» لقد قام النقيب «وليد» الموجود في المحطة الحرارية بفصل قاطع محطة تحويل كويرس مما أدى الى انقطاع الكهرباء عن الريف الشرقي لمدينة حلب بالاضافة الى المدينة السكنية التابعة للمحطة.. ولم يستجب هذا الضابط للوساطة التي قامت بها «مبادرة أهالي حلب» بين جيش النظام المسيطر على المحطة وتنظيم الدولة الأسلامية في العراق والشام المسيطر على السكن ومحطة الغاز, مما أدى الى قيام تنظيم الدولة الأسلامية بقطع الغاز عن المحطة مما ادى إلى قطع الكهرباء عن مدينة حلب بأكملها مع العلم بأن جيش النظام يقوم باستهداف المدنيين و الموظفين الموجودين في السكن بقذائف الـ RPG والقناصة بسبب وجود عناصر تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام في السكن

مما أدى الى إصابة بعض الأشخاص القاطنين في السكن وأضرار في المباني «

الماء أيضاً

«عندما تنقطع الكهرباء يتعثر كل شيء « هذا ما قاله أحمد واصفاً العقبات التي تعترض الناس بسبب التيار الكهربائي ويضيف «بداية تنقطع المياه عن الوصول للبيوت وتدوم طيلة أيام انقطاع التيار ولا تأتي إلا بعد عودة التيار ب 24 ساعة قامت أمي بعد أربعة أيام من انقطاع المياه بغسيل الثياب في الحديقة المجاورة لبيتنا ونشرها على الاشجار ما لفت أنظار المارين وبات الأمر سخرية , بينما يقوم ميسوري الحال بحفر آبار المياه الجوفية في المناطق السكنية وهو مكلف جداً , حتى بات حفر البئر من أهم مظاهر الترف في حلب , أما باقي الأهالي يقضون ساعات طويلة في تعبئة جراتهم من الآبار المجاورة أو من مياه الحدائق «

صفقات ضخمة من بيع مولدات الكهرباء :

الوقت الطويل الذي يعيشه الناس بدون التيار الكهربائي اضطر معظم سكان المدينة ومؤسساتها الاعتماد على مولدات الكهرباء الصغيرة التي تعمل على الوقود , كثرة عدد المولدات الكهربائية أدى بشكل واضح الى تلوث الهواء و باتت أجواء حلب شبيهة بأجواء المدينة الصناعية يقول العم أبو مروان « ينقطع التيار الكهربائي عن حيينا لأكثر من 14 ساعة في اليوم خلال الصيف الماضي , كنا نفتح جميع الأبواب والنوافذ من شدة الحر لكن الضجيج والتلوث الذي ينتج عن مولدات كهرباء

قطع التيار الكهربائي

اذاعت مؤسسة كهرباء دمشق على الاهلين انها ستقطع التيار الكهربائي اعتباراً من الثامنة حتى الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة القادم الواقع في ١٨ آذار عن المناطق التالية :

شارع بغداد ومعمل الكونسروة والقزازين والديوانية وعين الكرش وشارع فؤاد الاول وسوق ساروجة وجوزة الحدبة وحارة الورد .

الجيران كان يمنعنا من النوم , ظهرت بعض المشاكل التنفسية لدى الاطفال والذين يعانون الربو , أدى هذا أيضاً إلى ظهور الكثير من الخلافات بين أهالي الحي الواحد و فتح مجالاً لتدخل الشبيحة وفرض سيطرتهم «

يتحدث التجار عن صفقات ضخمة من بيع المولدات التي تتم في مدينة حلب كلما انقطع التيار الكهربائي لأكثر من أربعة أيام متواصلة يقول أبو عبدو وهو تاجر « أعتقد أن الانقطاع الطويل للتيار الكهربائي عن المدينة هدفه تجاري ربحي فكلما انقطع التيار لمدة أربعة أيام يدخل السوق أكثر من خمسة آلاف مولدة كهربائية مستوردة وتباع معظمها خلال هذه المدة , ترتفع أيضا أسعار المحروقات ما يعود بالملايين لجيوب تجار هذه الصفقة المربحة جداً وضباط الأمن المتعاونين معهم والذين يسهلون حصولهم على الأرباح من خلال قطع التيار الكهربائي « .

التنعم بالكهرباءمن نصيب الأفرع الأمنية

بينما تعاني معظم أحياء مدينة حلب التي يتقاسمها طرفا الصراع أزمة كهرباء شبه دائمة, ينعم عدد قليل من الأحياء التي تتواجد فيها الأفرع الأمنية للنظام بتيار كهربائي شبه دائم وتغرق باقي أحياء المدينة في العتمة , قام العديد من سكان المناطق المحررة بمبادرة شراء لمولدات ضخمة وتقاسم الكهرباء بين أهالي الحي يقول العم محمود « هناك مجموعة من شباب الجيش الحر قاموا بشراء مولدة ضخمة في حي بستان القصر وبيع الكهرباء منها بسعر مقبول , الآن نحصل على 6 ساعات ليلية من الكهرباء مقابل 3 الاف ليرة شهرياً , أعتقد أنها مبادرات جيدة جداً وأن هذا ما يحتاجه الناس فعلاً «

انقطاع الكهرباء والوقود يهدد حياة المرضى في المشافي

تختفل الكثير من عواصم العام المتحضر بمرور عقود على عدم انقطاع التيار الكهربائي عنها للحظة واحدة , يعكس هذا إدراك و تقدير العالم المعاصر لخدمات الكهرباء ودورها في تقدم المجتمعات و تطورها , ويبدو هذا الاحتفال بعيد لعقود أو أكثر عن حاضرنا , يتحدث الأستاذ أحمد وهو أستاذ في جامعة حلب « كان تأثير انقطاع الكهرباء على العملية التعليمية سيئاً جداً فبالرغم من وجود مولدة ضخمة تغذي الجامعة بالتيار الكهربائي اضطررنا الى إلغاء الكثير من التجارب التدريبية للطلاب بسبب انقطاع التيار الكهربائي والماء أحياناً , من المحزن أنه لن يتاح للطلاب تعلم هذه الأمور في وقت لاحق «

يقول الدكتور عاصم « ما يقلقنا كأطباء في المشفى ليس انقطاع التيار فحسب إنما عدم توفر المحروقات , ففي حال انقطعت الكهرباء لأكثر من دقائق عن المشفى ستكون حياة المئات من الناس في خطر , اضطرمدير المشفى في أحد المرات الى إعلان توقفه عن العمل بسبب عم توفر الوقود والكهرباء واضطر جميع الأطباء حينها للبحث عن بعض ليترات من المازوت لإنقاذ غرفة الانعاش وعاش جميع من في المشفى من مرضى وأطباء أوقات عصيبة جداً «

يقول العم أبو محمد « نعتمد على الكهرباء في معظم حاجاتنا المنزلية كالطبخ والحمام والتدفئة ولا نستطيع عمل أي منها في أوقات الانقطاع , خلال الشتاء الماضي لم يستطع أولادي النوم لعدة أيام بسبب عدم وجود التدفئة و لا أملك المال الكافي لشراء مادتي المازوت و الغاز» .

إذلال مواطني مدينة الحسكة بالخطف

الحسكة – خاص تواصل .

أكثر من مائة حالة خطف شهدتها مدينة الحسكة وحدها منذ اندلاع الثورة السورية في منتصف شهر آذار من عام 2011، بينما لم تشهد كامل محافظة الحسكة سوى حالة خطف واحدة، وذلك في عام 1997، وانتهت بإلقاء القبض على الخاطفين في دولة العراق، من خلال مراقبة شبكة الاتصالات الثابتة بين الخاطفين وأهل المخطوف؛ وقد ساهمت تلك الحالات في هروب الكثير من العائلات من مدينة الحسكة نحو الداخل ونحو الخارج بشكل متواتر. وأدت إلى هروب أكثر من مائتي طبيب وصيدلاني، ونسبة كبيرة جداً من أصحاب مهنة صناعة وبيع وشراء الذهب، وأصحاب رؤوس الأموال والتجّار... لدرجة أنّه لم يبق في مدينة الحسكة سوى الأطباء الذين نزحوا من المناطق الأخرى إليها، وعدد قليل من أطباء المدينة. فلم يبق من أطباء أمراض القلب وجراحتها، مثلاً، سوى طبيبين فقط لأكثر من سبعمائة ألف نسمة!. وكذلك الحال بالنسبة لأطباء الجراحة والعينيّة والنسائيّة والداخليّة.. مما جعل كلّ شخص معرّض للموت في أيّة حالة مرضيّة بسبب ذلك.

استطاعت العقليّة الأمنيّة اختراع هذه الجريمة وذلك من أجل زرع الرعب والإذلال في نفوس سكان مدينة الحسكة، الذين عاشوا حالة جيدة من التعايش، طوال عشرات العقود، على الرغم من التنوّع العرقيّ والأثني والدينيّ. فما كان من الأجهزة الأمنيّة سوى ذلك الاختراع لزرع الشقاق بين مكوّنات المدينة الواحدة، من أجل إشعال فتيل الاقتتال الأهلي بين مكوّنات مدينة الحسكة.

كثيرة هي الدلائل التي تثبت ضلوع الأجهزة الأمنيّة في تشكيل العصابات الخاصّة بخطف المواطنين، ومن ثمّ ابتزاز عائلاتهم ماديّاً من أجل الحصول على مبالغ طائلة، قد تستنفذ كلّ مدّخراتها التي جمعتها خلال سنوات طويلة. ولكن هدف تلك الأجهزة الأكبر كان إشعال فتنة الاقتتال الأهلي، أو إجبار العائلات على الهجرة وتفريغ المحافظة الغنيّة بالنفط والغاز والمحاصيل الزراعيّة.

العمليات الأولى للخطف طالت شخصيّات ذات وظائف حكوميّة وحزبيّة مرموقة في المدينة، وخاصّة من المكوّن المسيحيّ، ذات الغنى المالي. ولأنّ هذه الشخصيّات كانت تعتبر موالية للنظام،

سواء في العلن أو الباطن، كان يتم الترويج بأنّ المعارضين هم الذين يقومون بهذه الأعمال، إذ من غير المعقول، وفق الترويج الأمنيّ ذاته، أن يقوم النظام بخطف الشخصيّات الموالية له؛ وكلّ ذلك الهلع الذي سبّبته عمليات الخطف كان أيضاً من أجل جعل كلّ المواطنين يقفون إلى جانب النظام من جهة، وضدّ الثورة والثوّار من جهة ثانية، للعودة إلى الحالة الأمنيّة المستقرّة التي كانت تحت ظلّ السيطرة الكاملة للأجهزة الأمنيّة. وهي خطة مكشوفة تحت اليافطة الكبيرة التي كان يتبجّح بها الموالون للنظام، وكذلك مروّجو أفكاره الفارغة، في القول بسخرية كبيرة :»هاي هي الحريّة إللي بدكون ياها؟؟».

في إحدى حالات الخطف طالب الخاطفون من زوجة المخطوف هاتفيّاً بأنّ تدفع لهم مبلغ عشرة ملايين ليرة سوريّة، وعندما قالت لهم بأنّهم لا يملكون هذا المبلغ الكبير كي يدفعوا لهم، أجابها الخاطف بأنّه يوجد في حساب زوجها لدى المصرف العقاري بالحسكة مبلغ /13000000/ ليرة سورية!!. وفوق ذلك، ولكي يؤكّد لها علمهم بمقدار ثروتهم، أعطاها رقم حساب زوجها المصرفيّ لدى ذلك المصرف!!. وبأنّ لديها وكالة عن زوجها تخوّلها سحب أيّ مبلغ من حسابه. كانت الزوجة المسكينة تظن بأنّها تتعامل مع مجرمين عاديّين، وليس مع جهاز أمنيّ يملك وحده القدرة على اختراق الحسابات الشخصيّة لدى المصارف العامة والخاصّة. فما كان منها سوى الرضوخ لابتزاز الخاطفين خوفاً من تنفيذ تهديد الخاطفين بقتل زوجها. وعندما وصل الزوج إلى بيته صرّح بأنّه لم يقدّم للخاطفين أيّة معلومات تتعلّق بوجود حساب مصرفيّ له، أو عن كميّة الأموال التي يملكها.

في حالة أخرى أعطى الخاطفون لزوجة أحد المخطوفين أرقام الحوالات المصرفيّة، وتاريخ كلّ منها، ومقدار الأموال التي قاموا بتحويلها إلى ابنهم المقيم في دولة أوربيّة، وبأنّه بقي بحوزتهم المبلغ الذي يطالبون به كفدية لإطلاق سراح زوجها لديهم!!.

و أيضاً تمّ ضبط مسدس غير مرخّص مع أحد المخطوفين فتمّ التحقيق معه من عصابة الخطف على أنه موقوف لديهم بسبب ذلك، وبأنّه سيتم تحويله إلى المحكمة المختصة بذلك بعد تنظيم الضبط بحقّه. بقي موقوفاً أكثر من عشرين يوماً، كان خلالها الخاطفون يتفاوضون مع أبيه الطاعن في السن والفقير، واستطاعوا ابتزازه مالياً بأخذ مبلغ /1950000/ ليرة سوريّة، فتمّ إطلاق سراح ابنه المخطوف، الذي تفاجأ بتحويله إلى البيت وليس إلى المحكمة العسكريّة. المخطوف تحدّث عن احترافيّة الضبط الذي تمّ تنظيمه بحقّه من أجل المسدّس المضبوط معه، وعلى أنّ مكان توقيفه كان لدى فرع الأمن العسكريّ.

يوميات السوريين

هناك أربعة أطفال تعرّضوا لمحنة الخطف من أجل الابتزاز المالي. وتمّ إطلاق سراح جميعهم بعد دفع مبالغ مالية تفاوتت بين المائتي ألف ليرة سورية وبين السبعة ملايين ليرة سوريّة. ولم تحدث أيّة حالة خطف لفتاة أو امرأة.

قامت «رابطة التضامن مع أهالي المخطوفين في مدينة الحسكة»، التي تأسست في 2103/1/21، بتنظيم وقفة احتجاجيّة أمام قصر العدل بالحسكة، بتاريخ 2103/1/24 ، شارك فيها أكثر من خمسمائة شخص، وقام ممثلين عنهم بتقديم مذكرة احتجاجيّة إلى المحامي العام بالحسكة، وطالبوه بالعمل على تقديم الجناة والمسؤولين المقصرين إلى العدالة. كما قام زملاء أحد الصيادلة المخطوفين بتكرار ذلك الاعتصام في نفس المكان، احتجاجاً على خطف زميلهم؛ وفي كلتا الحالتين قامت الأجهزة الأمنية بتهديد منظمي هذين الاحتجاجين بأنهم قد يتعرّضون للقتل من مجهولين، إذا نظموا هذه الاحتجاجات من دون ترخيص!!. بمعنى آخر: إذا قاموا بالحصول على ترخيص فإن المسؤولين الأمنيّين سيضمنون عدم تعرّضهم للقتل!!.

في جميع جرائم الخطف تمّ التفاوض مع أهالي المخطوفين من خلال الاتصال بهم هاتفيّاً، إما عن طريق الموبايل أو عن طريق الهاتف الثابت!!. ورغم أنّه من المعروف في عالم الجريمة بأنّ « المجرم الفاشل» هو الذي يستخدم الهاتف الشخصيّ، وبشكل متكرّر، مع ضحاياه لابتزازهم ماليّاً. فهو يضع نفسه مباشرة في قبضة العدالة، ويصبح من السهل جداً معرفته، وتحديد مكانه، وبالتالي القبض عليه. إلا أنّ الأجهزة الأمنيّة والقضائيّة لم تستطع سالكشف عن الفاعلين في أيّة حالة من الحالات التي حصلت. وهذا لا يعني بأنّ تلك الأجهزة هي «أجهزة فاشلة» بل بأنّها لا تريد أصلاً الكشف عن الجناة الذين يعملون بأمرها.

قال والد أحد المخطوفين الأطفال لرئيس فرع الأمن الجنائي بالحسكة، الذي أعلن انشقاقه عن النظام في الآونة الأخيرة، بأنّ الأجهزة الأمنيّة لا تريد القيام بعملها في بسط الأمن. وأكمل قائلاً : «لو أنني قمت بشتم بشّار الأسد خلال اتصال هاتفيّ مع أحد الأصدقاء، لقام رجال الأمن بجلبي من تحت سابع أرض، بينما الخاطفون لا أحد يقبض عليهم، لأنّهم يجلبون ثروة طائلة للأجهزة الأمنيّة، وربّما لخزينة الدولة!!»

ملاحظات محزنة عن بعض
المدارس السورية في المنفى التركي

المدرسة هنا، كما كل شيء في حياة اللاجئين السوريين،مختلفة تماما عنها في الوطن، إنها ليست أكثرمن منزل ضاق بسكانه،فأجروه ليكون مدرسة لمئات الطلاب،يتوزعون فيه على مقاعد لاتتيح للطالب ضرورة التنفس،فمن أين لها أن تتيح له فتح قلب أوذهن.

ماهذه إلا خواطر أولية،ونحن نحاول بجهود فردية، لعدم توفر الشفافية والتعاون من قبل طاقم التدريس والإدارة في كل المدارس التي زرناها، في سبر جانب وحيد من الجوانب المختلفة لمدارس اللاجئين السوريين في تركيا ألاوهو مناهج التعليم.

نذكر من هذه المدارس «السلام» و«بناة المستقبل» و«الإيمان» و«سورية الحرة»وتغطي جميعاً مراحل التعليم ما قبل الجامعي في حلقاته المختلفة، باستثناء رياض الأطفال.

لقد اعتمدت هذه المدارس جميعاً مناهج وزارة تربية النظام في الداخل،تلك المناهج التي كانت أقرت في خطة مزعومة لتطوير وتحديث المناهج بعد سبات دام لعقود،فجاءت مرتجلة ودعائية أكثرمنها حقيقية،فهي معدة نظرياً لواقع مغاير ومختلف عن الواقع السوري حتى قبل الثورة من حيث اعتمادها على:

1ـ طرائق تدريس ترتكز إلى الوصول الى المعلومة من خلال الحوار بين مجموعات مقسمة في صف واحد،ويرجّى من ذلك إلغاء دور المدرس التلقيني.

2ـ تقنيات الحاسوب والأنترنت في الوصول الفردي إلى المعلومة والتوسع فيها.

3ـ وسائل إيضاح مسايرة للتطور التقني،ويرجّى من ذلك إلغاء عملية الحفظ الحرفي.

4ـ طرائق اختبار مختلفة لاتعتمد على التراكم في المعلومات،بل تأخذ في حسبانها القدرات التحليلية والتركيبية في ذهن الطالبحيث بإمكانه التمييز بين المتشابه ونبذ الغريب، في مهارات يفترض تدربه عليها في الصف النموذجي (من مثل:صح أم خطأ،الاختيار من متعدد،استبعاد الإجابة الخاطئة...الخ.)

5ـ مدرسين تجري إعادة تأهيلهم من خلال دورات أهمها دورة دمج التعليم بالتكنولوجيا.

ولايخفى على أحد أن كل تلك المرتكزات كانت تقوم في الداخل على تجارب هشة في مجتمع مفسد وعلاقات بيروقراطية وبؤس الذات في أعماق المدرس والطالب معاً، مما جعل المدرس يتابع في الطرق التقليدية توصيل مناهج حديثة، فيفقدها بذلك نصف المأمول معرفياً منها على أقل احتمال.

فإذا كان الأمر هكذا فكيف سيتم استثمار هذه المناهج في واقع آخر مختلف ومغاير في بلد آخر (تركيا) ينطق أهله بلغة أخرى،وفي شروط لا تصلح لعيش سليم فكيف بالتعليم. وواقع كهذا ولّد عند أولياء اللاجئين مبدأ نفعياً خطيراًمفاده:»شيء أفضل من لاشيء،وأن يستمر الطالب في التعلم أفضل من انقطاعه عنه».ولا يخفى أن هذا المبدأ يصلح في مدارس محو الأمية فقط.

وتأكيداً لذلك، ينقل لنا المدرسون الذين قابلناهم من اختصاصات مختلفة (سند حاج أحمد، ديانا محمود،هناء رسلان،غازي مصطفى،عبد السلام المحمد،جميل فطوم،رهف حاج اسماعيل) أن تلك المناهج تدرس بطريقة تقليدية استناداً لواقع الحال، فلا أحد؛ والامتحانات على الأبواب، من الإدارة والمدرسين والطلاب؛ يعرف شيئاً عن موعد الفحص للشهادتين.وعلى ذلك يتم حذف الكثير من المناهج واجترار معلومات الباقي.

ولانأخذ بالحسبان المحذوف من المناهج، وهو كل مايتعلق بنظام الأسد والبعث من صورومقولات ومعلومات في كل المواد النظرية. ويؤكد المدرسون السابقون على استمرار تربية الطلاب على مفهوم المواطنة المبثوثة روحه في سطور المنهاج، دون ممانعتهم لتدريس اللغة التركية، التي لم تعتمد في تلك المدارس بعد، وإن جرى اعتمادها في مدارس المخيمات، مع أن الحكومة التركية لم ترخص للمدارس ولا تعترف بتحصيل طلابها لدمجهم في بيئتها، من خلال استقبالهم في معاهدها وجامعاتها،ولاعتب في ذلك إذا كانت الدول العربية كذلك،باستثناء بعض الدول مثل ليبيا ومصر، مع أن الموافقة ماتزال قيد المراسلة.

من هنا لا بد من التأكيد على أن المناهج التي سيحظى طلابها باعتراف تلك الجامعات في العام القادم هي ليست بأي حال المناهج السورية المذكورة.

وهكذا يفقد الطالب (ما دون الشهادة) حافز المثابرة، الضعيفة أصلاً، من خيبة أمل مصدرها صمت ائتلافهم الوطني عن احتضانهم والاكتفاء بوعود أشبه بالخرافات لدى أهالي الطلاب، مثل إجراء اختبارات سورية في تركيا وجعل الصف التاسع انتقاليا و...الخ.

هذا الطالب لايحتاج الى مرارات أخرى، وهو الذي باح لنا بأن المسكوت عنه الأكثرخطورة هو أن يقوم بتدريس هذه المناهج الصعبة (كما يراها) أساتذة أغلبهم بلا كفاءات.وقد أكد لنا الكثير من المدرسين أن اختيار الكوادر التعليمية تم وفق شروط غير علمية من لجنة مقابلة لاعلاقة لها بالتعليم،فلم يسألوا عن خبرة أو كفاءة بل عن:

1ـ الموقف من الثورة ونسبة المشاركة فيها.

2ـ علاقة النسب والقرابة والجغرافيا.

3ـ الولاء السياسي.

ليس مستغرباً، إذن، أن يكون معظم مدرسي هذه المدارس هم من حملة الثانوية العامة،أوجامعيين لم يتخرجوا بعد، وشيخ جامع غير جامعي يدرس الديانة الإسلامية واللغة العربية معاً (مدرسة سورية الحرة)، وتصبح قصة أم بلال في مدرسة الإيمان جديرة بالحكايات،فهي أمينة للسر وابنتاها مدرستان وزوج أختها مستخدم.

هل نحن أمام وجع آخر لشعب فاقت معاناته حدود التوقع؟ فها هي فلذات الأكباد تتسرب من بين أصابعها سنوات كان المراد منها أن تعدهم ذهناً ووجداناً لبلادهم أو ربما للعالم بأسره؟

نخرج من المدرسة بشعور مختلف،مر،محبط.مبعثه أن يترك طلاب سوريون بلا ذنب في مدارج ريح اللجوء لتقتلع فيما تقتلع أبواب مستقبل إنما ولدوا ليصنعوه.

عبد السلام حلوم

الفلسطينيون.. لجوء للمرة الثانية

ظروف خطيرة جدا تعيشــها عائلات اللاجئين الفلســطينيين الســوريين في لبنان بعد مرور سنتين ونصف من الحرب في سوريا تم خلالهما اســتهداف معظم المخيمات الفلسطينية بداية من مخيم درعا ووصولا الى مخيم الرمل و انتهاء بمخيم اليرموك.

تذكر الأونروا عام 1102 أن عدد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين لديها قد بلغ 000015 نسمة في سوريا يشكلون 8.2% من عدد السكان يعيشون وفق معدل عالي للنمو يبلغ 3% يسجل لهم ابداعهم في العديد من المجالات بتفاعلهم مع المجتمع السوري و على الأخص في مجال التعليم ففي جامعة دمشق وحدها 521 أستاذ جامعي يشكلون 51% من الهيئة التدريسية ككل.
دخلت المخيمات في دائرة الصراع منذ اللحظة الأولى و بدأت مأساة اللجوء تلوح أمام المدنيين مرة أخرى و توالت الأحداث الى ان وصلت في تموز 2102 الى ضواحي دمشق التي تضم لوحدها أكثر من 07% من اللاجئين الفلسطينيين فبدأت العائلات بالفرار و دخل منهم أكثر من 000001 الى لبنان مرة اخرى كلاجئين بعد حصولهم على موافقات وتصاريح من وزارة الداخلية السورية .
نكبة بمذاق آخر لجيل سمع الكثير عنها و الآن يعيشها بكل تفاصيلها و يتعرض لصدمات و ضربات اقتصادية و بالتالي اجتماعية عنيفة أثناء هذا الرحيل .
وفق طريقة الانتشار في لبنان (*)نرصد مفارقات عديدة لهذه النكبة الجديدة و اختناقات اقتصادية و اجتماعية تعيشها هذه العائلات داخل لبنان .
فلسطينيون سوريون في لبنان :
انقسمو بين مخيمات فلسطينية في لبنان ومناطق لبنانية خارجها
فالمدن اللبنانية استقبلتهم على النحو التالي :

المنطقة	النسبة
صيدا	32%
بيروت	19%
البقاع	19%
طرابلس	14%
منطقة الطيرة	16%

داخل المخيمات :

لاجئ فلسطيني في سوريا يلجأ مرة اخرى الى مخيم فلسطيني في لبنان .
اتجه نصف اللاجئين الفلسطينيين في سورية الذين دخلو الاراضي اللبنانية (25% بالتحديد) الى المخيمات الفلسطينية في لبنان و توزعوا عليها على النحو التالي :

المخيم	النسبة
عين الحلوة	28%
البرج الشمالي	13%
البداوي	12%
نهر البارد	10%
برج البراجنة	10%
شاتيلا	9%
ويفل	8%
الرشيدية	4%
البص	3%
المية و مية	3%

* وتجدر الاشارة ان المسح الاسري الاقتصادي للاجئين الفلسطينيين في لبنان الذي قدمته الاونروا بالتعاون مع الجامعة الامريكية في بيروت بتاريخ 15-12-2013 يذكر أن هذه المخيمات تضم اكثر من 170000 لاجئ من اصل 270000 لاجئ فلسطيني في لبنان اكثر من نصفهم عاطلون عن العمل و أن 66.4% من العائلات في هذه المخيمات التي استقبلت اكثر من نصف اللاجئين الفلسطينيين من سوريا (دونا عن اللاجئين السوريين) هي عائلات فقيرة تعجز عن تلبية الحد الأدنى من حاجاتها الغذائية وغير الغذائية

خارج المخيمات :

النصف الاخر من اللاجئين الفلسطينيين في سوريا (84% الباقين) انتشروا في المناطق و المدن اللبنانية وفق :

المنطقة	النسبة
البقاع	32%
صيدا	32%
بيروت	19%
الطيرة	12%
طرابلس	5%

** لم يكونو احسن حالا فقد بلغ العاطلون عن العمل منهم 88% والباقي (21%) يزاولون مهن خجولة و يستقرون عند متوسط للدخل 001 - 003 $ أمام متوسط ايجار يبلغ 002 - 003 $ ومتوسط استهلاك عام لحاجات اساسية (غذاء تدفئة مياه للشرب و الاستعمال ...) يقدر بـ 004$

تحمل هذه العائلات اعباء كبيرة و سط حقائق و ظروف تجعل من الواقع مستحيلا و تهدد بتحول السمة المدنية العلمية التي تميزها الى قوالب اخرى مشوهة تماما. و يؤثر الواقع عميقا في الشكل و الموروث الاسري الفلسطيني السوري حيث(**) 79% شهدوا عنفا و 49% يعانون من صدمات نفسية و اكثر من النصف تهدمت بيوتهم بالكامل في حين ان 37% منهم ليس لديهم الطعام الكافي لإطعام كل أفراد العائلة .

ان السيناريوهات التي تنتظرهم غامضة و ظروفهم المحيطة ضبابية في انتظار توليفات او معجزات اقتصادية و اجتماعية جديدة و حتى ذلك الوقت ليس للاجئ الفلسطيني السوري في لبنان الا الريح

(*)اونوروا 7-6-3102
(**)انيرا اذار 3102

فراس ايوب

مخيم اليرموك بين مفهوم
خارطة الوطن الصغير وخارطة اللجوء الجديد

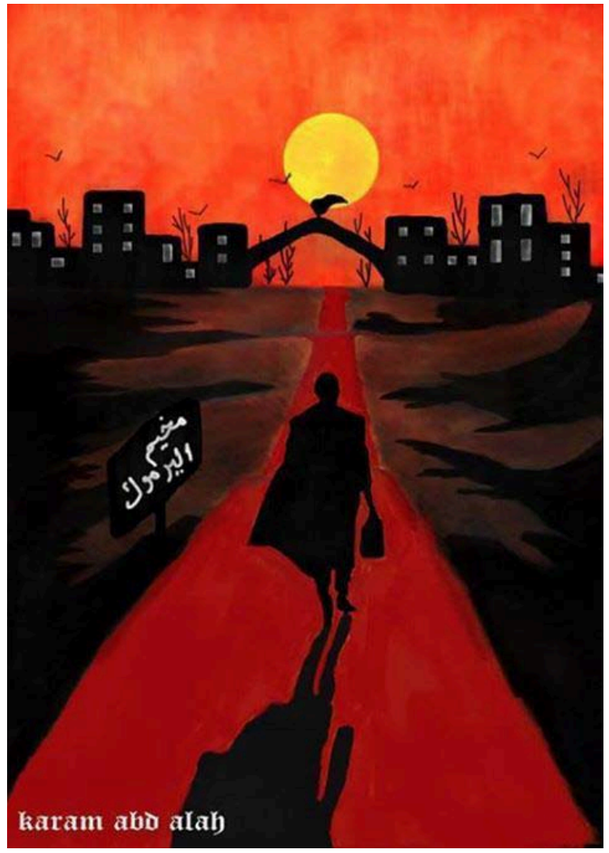

منذ الساعات الأولى لخروج أهالي مخيم اليرموك من مخيمهم يوم 16-12-2012 , أحسوا أن نكبة جديدة تضاف إلى نكباتهم المتكررة . ابتداءا من النكبة الأولى في 15 ايار 1948 والتي لم تمحُ السنين آثارها السياسية والاجتماعية والأهم النفسية، نكبات متكررة اختبر فيها الفلسطيني اللاجئ جرح الاقتلاع والتشرد، منذ نكبته الأولى في عام 48 مرورا بنكبة تل الزعتر 1976، ونهر البارد 2004، الى مخيم اليرموك 2012، ناهيك عما عانته بقية المخيمات من مجازر وحروب، إلا أن مخيمات اللجوء امتلكت ذات الهوية الإنسانية، امتلكت الهم الانساني والحلم الفلسطيني الواحد «العودة الى أرض الوطن»؛ الحلم الذي عاشته جميع المخيمات وتطيبت بعطر شذاه ليلطف مرارة وقسوة مفهوم الاقتلاع، إلا أن الحلم لدى سكان مخيم اليرموك له طابعه الخاص، لاعتبارات عدة أهمها أن مخيم اليرموك يعد أكبر تجمع لفلسطيني الشتات، أكبر تجمع للمقتلعين من القرى الفلسطينية الكبرى، لوبية، صفورية، الجاعونة، والطيرة، إجزم، ترشيحا وغيرها من القرى، بالإضافة الى المدن الفلسطينية التي سقطت بيد الصهاينة في عام 1948: حيفا، يافا، الناصرة، طبرية، عكا، صفد، وقلة من سكان قرى ومدن عام 1967.

في مخيم اليرموك يتبدى ويتجسد معنى الهوية المختلطة، هوية التسمية والانتماء الفلسطيني وهوية الانتماء للوطن السوري، فمخيم اليرموك يقطنه السوري والفلسطيني، يعيشان معا يتقاسمان، الخبز والماء والهواء دون تفرقة أو تمييز، ورغم الهوية المختلطة فمخيم اليرموك يمتلك مقومات الصفات الاجتماعية والثقافية والنفسية لتعبير المخيم من حيث فكرة التجمع الفلسطيني، والاختبار اليومي للانتماء عبر السلوك الاجتماعي والثقافي والسياسي والنفسي لأبناءه الفلسطينين.

ورغم الحفاظ على مفهوم الانتماء المعنوي والاجتماعي أتيح للمخيم تطوراً إيجابياً مكّنه من انتزاع صورة البؤس اللصيقة بصفة اللجوء للمخيمات؛ منفتحاً الى آفاق التوسع والعمران الحديث الذي يوحي بتوصيف المدينة.

شارعان أساسيان يشطران مخيم اليرموك، شارع اليرموك، وشارع فلسطين، وما بينهما مساحة توسّعت وامتدّت أفقياً وعامودياً، يضاف إليهما ما يسمى بأوتوستراد الثلاثين؛ شوارع على أطرافها تمتد الكتل العمرانية الحديثة، يتخللها العديد

من الأسواق التجارية، يمتلأ المخيم بالمقاهي والمطاعم، ومقاهي الانترنت، وفي السنوات الأخيرة شهد افتتاح العديد من فروع أشهرالبنوك العربية والسورية، إضافة لما شهده مؤخراً من افتتاح لبعض المولات، يتواجد فيه أكثر من حديقة عامة، والعديد من رياض الأطفال المتميزة، إضافة لوجود المراكز الثقافية، المكتبات، المسارح؛ ما إن تدخله تنسى أنك تدخل مخيماً، ولكنه ورغم توسعه الجغرافي هناك ما يوحي بأنه مخيم بدءا من العلم وشعارات القضية على مدخله إلى الجدران المزدانة بصور الشهداء، وملصقات المنظمات، وشعارات القضية الفلسطينية وحق العودة.

أسماء الحارات والشوارع العامة تسمى بأسماء المدن والقرى، شارع صفد، شارع لوبية، شارع حيفا وغيرها؛هذه الهويه المختلطة مزجت في بوتقتها الحالة المدنية بمعناها العمراني والحالة الريفية بمعناها الانساني الأليف، حيث الترابط الاجتماعي والتواصل بين أبناء المخيم شبيه بترابط أبناء القرية الواحدة، حيث أن أغلب سكانه يعرفون بعضهم بعضاً، يعرفون انتماءات قراهم ومدنهم وشعابهم في الأرض الفلسطينية، مما يمنح للمخيم صفة تسميته بالوطن الصغير أو قطعة من أرض فلسطين، ليس بالمعنى الجغرافي بل بالمعنى الإنساني والاجتماعي؛ مع كل هذه الصفات يتصف المخيم بأنه مخيماً نشطاً فعالاً، ففيه أسواق تجارية تنافس كبرى الأسواق في العاصمة الدمشقية، ففي أيام المناسبات والأعياد لا تستطيع أن تتحرك فيه بسهوله

لاكتظاظه بسكانه المحليين والوافدين إليه من المناطق المجاورة، من النشاط والفعالية بالمفهوم التجاري والعملي، فهو المخيم الذي لا يعرف النوم، إلى الفعالية الحقيقية والتي تتجلى أبهى صورها في تفاعل المخيم بالأحداث السياسية تفاعلاً حيوياً متصاعداً، فأهل المخيم لا يكفون عن المشاركة والتعبير الصريح عن ارتباطهم وتفاعلهم الدقيق والعميق بكل ما يخص قضيتهم الفلسطينية وقضايا العرب أجمعين كالانتفاضة، حرب تموز، حرب العراق، إضراب الأسرى عن الطعام، عملية تبادل الأسرى، حرب غزة وأخيراً ثورات الربيع العربي.

يتمثل تفاعله بخروجه العفوي بمسيرات ومظاهرات، يتفاعلون مع جميع الأحداث صغيرها وكبيرها، هو المخيم الفتي حيث تعد نسبة الشباب فيه أكثر من خمسين بالمئة من سكانه،أغلبهم متعلمين وجامعيين؛ فيه أكبر نسبة متعلمين لأكبر تجمع فلسطيني؛ كل عشرة أمتار تصادفك لوحة لطبيب أو مهندس أو مخبر أو محامي؛ عشرات بل مئات المعاهد التعليمية، كومبيوتر، لغات، وتطوير مهني، عشرات المدارس الأونروا منها والعامة.

التركيبة العامة لتشكيلته الاجتماعية معتدلة لا وجود لصفة التعصب أوالتحرر. يمارس اليرموك الإعتدال في ممارسة طقوسه اليومية ابتداءا باللباس وانتهاء بالفكر والإيديولوجية. وكما كل المخيمات أو المجتمعات الفلسطينية. سكانه يختلفون ويتجادلون. في الانتماء السياسي والديني. ورغم الاختلاف والتباين الإيديولوجي. إلا أنهم جميعا يقطنون أو يقطن بداخلهم وطن واحد. الوطن الفلسطيني المحتل الذي لم يغادرهم رغم مرورالزمن. فرغم تعاقب الأجيال فيه مازالوا يحلمون بالعودة. المفردة السر التي ما أن تمر في حارة أو شارع أو ناحية إلا وتلتقي بكتابات جدارية تتقاسم بمجملها معنى مفردة العودة : عائدون/ لا بديل عن حق العودة / عائد إليك يا حيفا / راجعلك يالوبية / وغيرها الكثير من تقاسيم مفردة العودة

الوطن والحلم الذي سكن الجميع أعواما. وجد نفسه يتيما بعد نكبة المخيم وخروج سكانه في 16-12-2012

وجد نفسه معلقاً في الهواء بين خارطة اللجوء الجديد. بين مخيمات لبنان التي لا تتسع اصلاً لأبنائها اللاجئين. معلقاً بين حدود ترفض وتلفظ دخوله حتى لو كان هارباً من الموت. ورغم إقرار دول الجوار بمعاهدة جنيف التي تنص على وجوب استقبال الهاربين من الحرب دون شروط. إلا أن الفلسطيني ابن المخيم وجد نفسه ملفوظا ممن يدعون التزامهم بالاتفاقية المزعومة فممنوع دخوله نهائيا الى توأمة فلسطين وجاره العربي الأردن. سمح له الدخول الى لبنان وتركيا إلى أن مساحة العبور مؤقتة فقد أغلقت من جديد لبنان وأوصدت أبوابها بدعوى الاكتفاء بعدد اللاجئين وخوفا من هاجس تضخم المخيمات لكونها وكما يردد الكثيرون

في لبنان ليست إلا بؤرا أمنية؛ تركيا أيضا الجارة الأجنبية لحدود سوريا الشمالية. أغلقت مطاراتها أيضا بوجه الفلسطيني الهارب إلى أوروبا بدعوى مبدأ رفض التعامل مع البلدان التي تتعامل بما يسمى وثائق سفر (أيوجد غير الفلسطيني يملك وثيقة سفر) مع كل هذا المنع واللفظ من الجوار العربي والتركي. وجد ابن المخيم نفسه مشرداً من جديد بين مدينة دمشق التي سكنها متحملا أعباء شروط الحرب فيها فذوي الأوضاع المعتدلة استأجروا بيوتا لا تشبه تاريخهم ورائحة لجوئهم. أما الفقراء فقطنوا مدارس ومراكز ايواء يتحرك الفلسطيني ابن المخيم بين الحواجز خائفاً مرتعداً؛ ففي أية لحظة هو صيد ثمين لتقرير ما. أو لتهمة جديدة فلسطيني (خائن)؛ خائن لأن بعض تنظيماته وقفت مع الثورة وأيدتها. وخائن من قبل المعارضة. لأن إحدى تنظيماته وقفت مع النظام. وما بينهما يعيش الصامدين في المخيم حياة تشبه الجحيم. بتهمة وجود الجيش الحر. يعاني مخيم اليرموك وأبنائه حصاراً مطبقاً جائراً.حواجز عند مداخله تمنع دخول الطعام والوقود والخدمات.في الأشهر الأخيرة عانى حصاراً غريباً؛ منع دخول أوخروج سكانه نهائياً.ففرض عليهم الموت البطيء؛أطفالا يموتون جوعاً؛ وشباباً ورجال ونساء عرضة للموت بسبب القصف المتكرر لهاوون أو مدفعية أو صاروخ؛ يعيش ابن المخيم ظروفاً لا إنسانية قل نظيرها ولا من مؤيد أو متفاعل.هو الذي لم يترك حدث أو حالة إلا وتفاعل معها. ابن المخيم الذي تمرد على لجوئه ليصنع موطنه الصغير بطريقته الخاصة. يجد نفسه وحيداً يتيماً بين حصار وعوز وحدود تلفظه. يجد نفسه في عرض البحر بسفن وقوارب صيد يسافر فيها سبعة أيام هارباً من ممر مصرالذي فتح له بعد الثورة؛هرباً من الخناق المفروض عليه. معرضاً حياته وحياة ابنائه فريسة ربما لأسماك القرش أو للغرق. ولربما الى بر النجاة في أوروبا الشمالية. واهماً بحياة لجوء جديدة تضمن له العيش الكريم؛ لجوء جديد يشكل آماناً مؤقتاً لجائحة الموت البطيء في مخيم اليرموك المنتمي لسوريا الذبيحة.هرب ابن المخيم من قسوة الحرب في سوريا وغادر منذ ذلك التاريخ مخيمه إلى دمشق وظلال الحرب فيها الى المدن الأخرى: صيدا بيروت وصور بعلبك البقاع؛هرب ابن المخيم وتشرد من جديد ليرسم خارطة تبعثره الجديد بعد سبعين عاما كان يحلم أن يعيد رسم خارطة وجوده في وطنه فلسطين؛ بعد سبعين عاما انتقص الحلم فجأة وكبر الألم وكبر السؤال: ألم تكفّوا على التآمر على وجودي وإنسانيتي؟ألم يكفيكم أني عدت من حيث بدأت لاجئاً هنا وهناك. بعيداً عن مخيمي. مخيم احتضن حلم لجوئي وعودتي أعواماً.

مخيماً مارس فيه طقوس حبه لفلسطين وللحياة. مخيماً ضاقت الدروب بأبنائه فصاروا بعد سبعين عاما لاجئين مرتين

خزامى رشيد

جميل حتمل حكاية جيل مكسور

الكتابة في مواجهة الموت...

● فاتن حمودي

ما يقارب العشرين عاما مرّت على رحيل القاص جميل حتمل، ومازالت حياته وموته مثل ورد فاجعة قطعت للتو، وهو الذي حمل أحزان وهموم جيل بأكمله، في وطن مسكون بالخوف والحلم، حلم الكتابة كفعل مواجه للموت، حلم الرسم، والشعر، والسياسة، و إعادة التشكيل.

انطلق في هذه القراءة لتجربة «حتمل»، من سؤال كثيرا ماطرحته أجواء ما يسمى بالربيع العربي، أين المثقف من هذه الثورة، و أين دوره من هذا الحدث الكبير، و هل كان هناك ثمة إرهاصات تستشرف ما آلت إليه الأمور؟ إنصافا للتجربة أردت التوقف عند بعض خيوط هذا الكاتب بين الوطن وتجربة الاعتقال والملاحقة، و المنفى، لأشير إلى حكاية جيل مكسور، استطاع من خلال الكتابة أن يقدّم شهاده على عصره.

قراءة التجربة، تعني استعادة مرحلة مشتعلة بالأسئلة و الحلم، وتعني أكثر أن ماوصلنا إليه اليوم من ثورات، وربيع وخريف، و أنهار من البشر الذين أعلنوا ولايزالون «الشعب بدو حرية»..و» الموت ولا المذلة»، لم يكن كل هذا وليد اللحظة، و لم يأتِ من الفراغ، بل كان هناك جيل كامل من الشباب قبل ثلاثة عقود ونيف قد بدأ هذا الطريق، ومنهم جميل حتمل، وقبله نزيه أبو

عفش، و فرج بيرقدار، و ابراهيم صموئيل، و بشار العيسى، و هاله عبدالله..فاديا لاذقاني، حسان عزت، و أسماء كثيرة تركت بصمتها في الحياة و الفن معا.

كان جميل مسكونا بالحلم، والوعد وكأنه في سباق مع الزمن، وكأنه في حركته وأحلامه ولونه الأشقر الشاحب، أشبه بالحلم الغريب، ماجعل الشاعر نزيه أبو عفش يطلق عليه المسيح الصغير، ولم تكن هذه الصفة من عدم، بل لأنه كان يحمل صليبه وصليب جيله معه، ليوزع رسائل الحب و أخبار الثقافة و السينما و السياسة، يركب دراجته ويلف شوارع دمشق ومقاهي اللمة، هذا الحالم بالكتاب، و الحبيبة ووطن معافى.. يعتقل في الثمانينات من القرن الماضي، ثم يطلق سراحه ليهيم بعدها في شوارع باريس صارخا:» تعبت يالله أريد أن أعود إلى مدينتي، أو إلى بيتي القديم، تعبت من الميترو والانفاق والوحدة وبرد الشتاء الداهم، وحريق القلب الآخذ في الانطفاء، تعبت وأريد أن أهمس كل مساء لإبني مساء الخير، تعبت فأعدني بالله ولوجئة، أعدني. (القدس العربي 30-11-1993)

ذلك هو جميل حتمل في عمره المخطوف، وأوجاع قلبه الغربة، واليتم قبلها، ووطن طاردٍ لكلِّ ماهو مختلف ومغاير، وطن يضع في ضفة العداء كل من خالفه الرأي، رحل حتمل تاركا لنا أسئلته القلقة، بل أسئلة جيل بأكمله، وخمس مجموعات قصصية، ليعود إلى دمشق في صباح خريفي محملا في تابوت...ينتظره بعض أصدقائه الذين لايزالون يحملون نفس الوجع، بعضهم من خرج من الباب الثاني للدنيا وبعضهم لايزال شاهدا على مآلات وتغيرات الوطن، أما البعض الآخر فقد نأى بنفسه إلى دير بعيد ليكون الله قريبا من قلبه...

شهادة صاحب مدن الملح:

يقول الكاتب عبد الرحمن منيف في مقدمة المجموعات الخمس:» جميل أمير للحزن، حزنه وحزن الآخرين، نبرة الصوت، نظرات العيون، وذلك الشجن الذي يلازمه كظله، ماقدمه من كتابة شهادة على العصر العربي الصعب، ولو أسعفه الحب لربما استطاع أن يعيش فترة إضافية وأن يكتب، لكنّ الرياح سارت باتجاه آخر، مات جميل وهو ينتظر الطائر الأزرق، ويتوقع وصوله، ولعل الطائر لايتأخر أكثر مما فعل، لأن الكثيرين ينتظرون أيضا».15

حين لابلاد وقصص المرض:

أتوقف بداية عند عنوان المجموعة، « حين لابلاد»، واتساءل: هل الغربة من فرض عليه هذا العنوان، أم البلاد التي تبتعد عن أبنائها وعن معناها الحقيقي، البلاد التي باتت لابلاد، يقول في « قصة في البلاد قصة خارجها»، « كان ثمة خارج الغرفة ناس يضحكون وبلاد بعيدة، وأقبية وسجون، في خارج الغرفة أيضا، وربما بعيدا جدا، كان ثمة وطن يبدو وحيدا وحيدا مثله، أو جثة مثله أيضا».

فالكاتب الذي كتب « الطفلة ذات القبعة البيضاء»، و انفعالات، داخل الوطن، فقد كتب في غربته « حين لابلاد»، و « قصص المرض قصص الجنون»، و» سأقول لهم».

« حين لابلاد»، صرخة في وجه اليأس، صرخة تستدعي ان ننبش الذاكرة لنستحضر صور وشخصيات من الماضي، تعكس الحنين والاغتراب كبعد فلسفي وحياتي، في مجموعة ضمت 18 قصة كتبها حتمل في منفاه الباريسي، وكأنه يريد أن يستعيد الوطن بأمكنته وشخوصه، ببيوته التي عرفها وعاشها، البيت الأول، و تجربة السجن والاعتقال، فيحضر الوطن كأيقونه مفتقدة ، أو جنة موعودة، تلك الأيقونة التي بقي أسيرا لها، إلى أن أخذه المرض إلى قصص الجنون لاحقا.

كيف قُتلت جدتي:

عنوان قصة يبدأ بسؤال،» كيف قتلت جدتي؟»،في هذه القصة اعتمد حتمل على الذاكرة والصورة، وبدأها بشكل غير اعتيادي، يحمل بعد التجديد الحداثوي، :» ليست قصة بوليسية، مع أن للبوليس دور خفي فيها، ومع انني لست أطمح منذ زمن لكتابة قصة مشوقة من هذا النوع، وليست قصة كوميدية، مع أن أحد ابطالها، أوبطلتها الرئيسية جدتي العجوز، ذات العينين الزرقاوين، والطيبة حد السذاجة». 155

«آديل لم تكن تفكر كثيرا، بل لم تكن تفكر أبدا» يروي حتمل من ذاكرته قصص حول سذاجة هذه الجدة الجميلة و طيبتها التي تثير الضحك أحيانا،حيث يلجأ إلى الكثير من الصور المتكئة على الذاكرة، منتقلا من الزوج الذي توفي والأولاد الذين

غادروها، ثم يتوقف عند لحظة اعتقال أحد أحفادها، « الأمر المثير للإستغراب عندها أكثر فكان أن حفيدا لها اقتيد إلى السجن، ولم تستطع جدتي حينها أن تفهم كيف يحصل هذا، فهو لم يسرق،ولم يقتل، ولم، وعندما سألت لماذا؟، قالوا لها من أجل السياسة، هذه الجريمة التي لم تفهم معناها».157

هنا أراد جميل حتمل أن يرينا بأن هذا كان سببا كافيا لموت هذه الجدة، دون أن يقترب من المباشرة، والأهم ما حملته هذه القصة من مدلولات لنظام لايعرف العدالة...قدّم حتمل بكتاباته شهادة لزمن يمضي وبشكل متسارع نحو الإنحدار، هكذا مضت الجدة، وهكذا نمضي نحن، اعتمد حتمل على الصورة، صورة الجدة في غرفتها وعلى سريرها النحاسي، فكانت الصورة:» عقدة فكرية أو عاطفية في لحظة رمزية»، (إحسان عباس فن الشعر، ص 76)

وهنا حملت الصورة علامة من علامات الذات، وقدرة الخيال على إضفاء الطابع الإنساني على الموضوعي الذي يعبر عنه بصوره المتخيلة» .»باشلار « جماليات الصورة»، ص 240

فالصورة تمثل ضربا من الانفصال عن الحياة اليومية، كونها تضعنا على عتبة الوجود، أو على عتبة إنسانيتنا الحقة، وهو ما قصده حتمل، من خلال محاولته الكشف عن معاني صور الذاكرة، من أجل التعرف على ذواتنا وتعريف الآخر أيضا على آفاق عالم بين الذات والموضوع.

بروفايل:

«أنا الرجل الطفل، الرجل المنهك، المكسور كزجاج، المبعثر كزجاج، أنا الرجل المليء بالاحزان والطموحات، الرجل الذي لايسمعه احد، أو الذي لايعرف كيف يوصل صوته»

أبدأ التعريف عن جميل حتمل بجملة قالها، في قصة» الطفلة ذات القبعة البيضاء»، تلك العبارة التي تشكل لاحقا خيطا فارقا في حياته، هو خيط الحزن والانكسار، فاليتم، والاصطدام لاحقا بقيود للحرية، السيارات الكامنة في الشوارع، الاعتقال، الزواج، الطلاق، الغربة في شوارع باريس، ومرض القلب وتجربة الوحدة والمشافي، ومن ثم الحنين إلى الوطن، والذي استطاع من خلال النص أن يبني لنفسه وطنا من ورق، هذا الوطن الذي استحضره من الذاكرة إلى قصصه، ليشير بمرارة المجرّب إلى مغتصبي البسمة، مغتصبي السعادة، والتي تجلت في صرخته» حين لابلاد».

جميل ألفريد حتمل قاص موهوب، وصحافي مبدع، وسليل أسرة فنية أدبية مشهورة في دمشق وحوران، ولد عام 1956 في دمشق،ومات غي السابع من تشرين الأول عام 1994 فجع بفقد والدته وهو طفل صغير، واستطاع تعويض هذه المرارة بالقراءة وفعل الكتابة، فاعتبر أحد الأسماء الهامة في جيل السبعينات.

كتاباته بمجملها تحمل أسئلة المثقف السوريوالعربي أيضا، وهواجسه من الحرية والوطن والمجتمع، وقد عبّر عن هذا في قصة « انفعال»، معترفا بأنه يعيش الانهيارات كاملة، وهو ما يعكس تأثره بقضايا العصر.» إنني اعيش الحياة لأنني ضعيف فقط، بل لأني املك حساسية، ربما تكون زائدة عن حدها»، هذا الوضع الذي يمضي في انحدار مخيف، أخذه لمزيد من أمراض القلب، والوحدة في منفاه الباريسي الذي اختاره.

أصدقاء وإهداءات:

«. أنا متعب، وقلبي يتقلّص ، يذبل وجعا»، الكتابة القصصية عكست المناخ العام الذي يتحرّك فيه جميل، وأرتنا وجع الأصدقاء، فإهداءات جميل إلى ابنه الفريد حتمل، وائل سواح، جبرا، خليل بريز ويلماز غوني، وكان للقاص ابراهيم صموئيل مساحة في هذه الإهداءات، فقد تقاسما معا حلم التغيير، و المعتقل، وفن القصة، وجلسات الأصدقاء، ففي « صباح المدينة» يقول:» في غرفته، حيث يتأخر الصباح في إطلاق ضوئه، حكاية « جورج « بطل القصة هي نفس حكاية يوسف،أو أي اسم آخر في هذه المدينة، في الساعة السابعة من صباح يوم تالٍ، لايشعل الضوء في البيت أو في الغرفة الواسعة، ثم لم نجد رجلا سند المرآة إلى النافذة، ويبدأ في حلاقة ذقنه، وبائعة الخبز التي تمتم بآلية بتحية الصباح لجورج، لم تعد تفعل ذلك، لأنه لم يعد يهبط»، القصة تطرح علينا سؤال، أين اختفى جورج؟، اين اختفت بائعة الخبز؟، حزن وفقد في صباحات تأخر فيها الضوء.

ليس غريبا أبدا أن تشكل الكتابة شهادة على الزمن، في وقت أُتّهم فيه الحاكم كل شيء له، من هنا تأتي أهمية قصص حتمل كونها لحظة ضوء داخل الرماد، ذكريات لاحقته ، وبالتالي لم تثمر لقاءاته بامرأة سوى بخيبة الفراق، والخوف من فشل قادم:» ثمة بيت مغلق الآن، وامرأة راحلة، ورسائل لا أرسلها، وأنا الوحيد في مقهى ما..ثمة..»..

المنفى سجن:

المنفى سجن آخر، لأن جميل بقي أسير الذكريات والحنين، أسير اللحظات المضيئة والخيبات تحضر الوجوه والبيوت، والأصدقاء، و يكون للأهل مساحة في قصصه: (الصحن سقط في البئر - لسان أم ثلجة - الخال ابن ستّي نصرة - عن ما بعد الخمس دقائق - آخر الصبح - كاسيت)، ويخرج من تللك القصص إلى حيث لابلاد، (كيف قتلت جدتي)، قصة (ريحة الأهل) وحكايا الحنين، ليمضي بعدها إلى السجن في (تربيع الدجاجة، اعتذار، اذهب وارخْ)، ليس هذا فحسب، بل فتح نصه على وحشة المنفى، والخيبة في قصص (صباح المدينة - ستارة - عربة آخر الليل)، فيحضر الزمن مكثفا بالهموم والصور والذكريات.

نموت نحيا:

مابين «الصدارية السوداء» في طفولة اليتم، و» النبتة»، وحكاية فقده لنجوى، القصة التي رصد فيها حالة الفقد، عاد فوجيء بأن علاقته بنجوى آيلة إلى الخراب، هي تمضي إلى أهلها وجميل يعتني بالنبة، ولكن مضت النبتة إلى الذبول ذبول العلاقة،»لا أريد لها أن تستسلم لاصفرارها هذا، إذا هل تخبروها بأن ترجع بسرعة، أنا خائف فعلا، النبتة أيها السادة، هل تسمعون».

حدث منذ 12 عاما...

في هذه القصة عاد حتمل مجددا للإتكاء على الذاكرة وحكايا السجن والاعتقال، أهدى القصة إلى» خليل بريز ويلماز غوني»، في إشارة إلى الأكراد والاعتقال،يقول: « لاحق عندنا أن نرى أفلاما عن الأكراد»، ثم يتابع:» كنت أعرف أنه يحكي عن السجناء عادة، و بدوري كان ما يجمعني به فقط ، عدا أني أحبه، أنني أعرف سجناء أيضا».

هذه الحكاية من قصص المرض، التي شكلت فيها المستشفى، مكانا اشبه بالعنبر، بالسجن، وإحالتنا إلى تصوّر حالة الموت والعجز:»أحاول تحريك اليد لم أعد في سرير ولا غرفة مشفى، كأنه ركام من تراب أوطين رطب، كذلك السواد مايزال يملأ الجفنين مايزال».

يمضي حتمل من قصة إلى أخرى، ببساطة الفكرة و بمفردات قوية تحمل وضوح الدلالة، بساطة الفكرة التي تتنامى بفعل الحدث من خلال ارتكازها على تفاصيل الحياة اليومية الصغيرة، كل هذا يأتي بتنوع في الأسلوب، وتقنيات حديثة، من خلال العودة إلى الذكريات، و المونولوج الداخلي، واستخدامه صوت الراوي الحاضر والغائب، وتداخل الأمكنة في الحكاية الواحدة، بين دمشق وباريس، و يبقى الخيط الرابط الحزن.. الحب ..الوحدة ..المرض...الوطن.جميل حتمل نموذج من نماذج المثقفين السوريين الذين دفعوا الضريبة كبيرة وفادحة وسجلوا بكتاباتهم شهادات إدانة لنظام وواقع...وما وصلنا إليه اليوم من خراب.

تجربة فهد يكن.. الغنائية

● رعد يكن

شـهدت سوريا أواخر السـبعينيات وتحديدا عام (1978) حراكا ثقافيا فكريا، فيما كانت موهبة فهد يكن الغنائية قد تبلورت ، وقادته موهبته التشـكيلية للدراسـة فـي (كلية الفنون الجميلة) جامعة دمشق، منخرطا في الجو الثقافي الفكري الفني النشط في هذه الفترة، وفي دمشق بالذات.

في هذه الفترة كانت النخبة الفنية والثقافية وبعضٌ من الشارع: قد بدأوا يشعرون بالضيق من آثار الفن التقليدي العربي في الغناء والأدب والفن والذي اتهم بالتخدير والتكرار والسطحية والسيطرة على الذوق العام إلى جانب غزو الأغنية اللبنانية الخفيفة الاستهلاكية آنذاك إبان حرب لبنان.

بينما بدأ فهد يكن .. يتأثر بدراسة الفنون والتاريخ في الكلية؛ و بعلاقات صداقة حميمة مع كثير من الأدباء ومفكري الوسط الثقافي آنذاك:

حيث شارك في برنامج نجوم الفن الذي قامت به نقابة الفنانين في سورية في كافة محافظات القطر وقد حصل على الدرجة الأولى لأصوات الشباب ونال عضوية النقابة فورا عام 1970

ولم يعد مقنعا له توظيف هذه الموهبة في ذلك الشكل الغنائي السائد لقناعته كشاب عصري متنور أن هذه القوالب الغنائية الفنية لم تعد تعكس واقع تطلعاتنا وطموحاتنا وأحلامنا كجيل جديد:

فتوقف عن الغناء التقليدي والتقليد الذي كان يمارسه في مرحلة ماقبل الدراسة الجامعية في مدينة حلب وبدأ البحث عن قالب آخر أكثر جدية وعصرية وأعمق في المضمون ومختلف في القوالب الغنائية السائدة وهذا ما كان يبحث عنه كثير من الفنانين والمثقفين الشباب في تلك المرحلة:

وبالمصادفة عاد من القاهرة صديق قديم له هو الفنان الملحن (رضوان رجب) حائز على شهادة المعهد العالي للموسيقى بامتياز؛ وهو يبحث عن قوالب موسيقية جديدة:

وكان هذا الأمر قد ناقشه رضوان رجب أولا مع الأديب وليد إخلاصي قبل لقائه بفهد حول إنتاج قالب غنائي جديد

ثمّ صرّح لفهد يكن أنه الصوت المؤهل والمناسب لحمل هذه التجربة؛ من معرفته بإمكانياته خلال تعامل قديم لألحان له تم تسجيلها في إذاعة حلب عام 1970

و فكّرا بالخروج من القالب السائد بالتركيز على الجمل الموسيقية التعبيرية، و على قصيدة النثر؛ خروجاً عن مألوف الغناء العربي؛ في مرحلة حساسة جدا . فكل ظاهرة فنية أدبية ثقافية كانت تقترب من أجهزة نظام الاسد هي منتمية له لامحالة .. وكل ظاهرة يتم إنتاجها خارج هذه المؤسسة فهي حرة معارضة و تقدمية.

بالنسبة لـ (فهد يكن و رضوان رجب) وبعد تفكير طويل أرسيا القاعدة التالية : نحن ظاهرة جديدة ونريد آن نقدم قالباً غنائياً جديداً في الشكل و المضمون. فبدأ سوية بالأمسيات الثقافية الغنائية العامة على مسارح دمشق والمحافظات. وذلك بالتعاون مع وزارة الثقافة كتجربة اختبار؛ فمالبثت حتى لفتت الانتباه بين التيارات اليسارية والطلابية لما تطرحه التجربة كمضمون ليس من إفرازات الأدبيات الثقافية للنظام السياسي الرسمي الذي عليه ماعليه إبداعيا .. كانت التجربة مشاكسة وحرة ونقية .. وصرخة انتقاديه.

بنفس الوقت لفتت هذه التجربة انتباه كثير من المسئولين الرسميين المثقفين المهتمين باستقطاب الظواهر الفنية الجدية في وزارة الإعلام والهيئة العامة للإذاعة والتليفزيون ومن هؤلاء كان الأستاذ (فؤاد بلاط) المدير العام لهيئة الإذاعة والتليفزيون آنذاك والذي يعود له الفضل كبير في رعاية تجربة فهد يكن الغنائية ..

نعم .. وكان فهد يكن يريد بث هذه التجربة ونشرها . كان يريدها ان تولد وتكبر . ولم يكن لديه صراحة مانع بقبول تسجيلها أغنياته في التلفزيون الرسمي؛ لكن دون تقديم أية تنازلات:

كان رهانه الوحيد على نجاح التجربة او فشلها: الناس.

وكان للأستاذ (فؤاد بلاط) دور راقٍ في فهم هذا الأمر ودفع بالتجربة عبر الشاشة لإثبات ذاتها؛ وتم تسجيل وبث أول أعمال التجربة تحت اسم (أنشودة عربية للمستقبل) وهي مؤرشفة في أرشيف التليفزيون العربي السوري؛ واعتقد أنها بليت الآن.

وقتها انقسم الوسط الثقافي وقتها في تقييم هذه التجربة إلى اتجاهين:

فالأول : اعتبرها مجرد محاولة تجريبية في الموسيقى والغناء برعاية المؤسسة الرسمية

والاتجاه الثاني : كان أكثر عقلانية حيث اعتبرها فعلا نقطة انعطاف لتأسيس شكل غنائي سوري عربي نوعي قابل للنمو والاستمرار . والأهم أن كثير من صدى الأعمال في الشارع العربي العادي كان ايجابيا ومشجعا .. بكل الأحوال لا يمكن تجريد هذه التجربة من كونها ذات طابع تقدمي ثقافي وليست بالعموم ذات طابع شعبي.

وقد خصّت القضية الفلسطينية بقصائد مغناه لمحمود درويش وسميح القاسم واحمد دحبور .. وغيرهم.

بينما كان الهمّ الإنساني لا يُفارق مضمون التجربة؛

ولم تنتم بالمعنى الإلتزامي لأي تيار سياسي معين رغم محاولة كثير من تلك التيارات استقطابها.

وأهم الفاعلين فيها من كتّاب وشعراء وملحنين:المرحوم الفنان الكبير رضوان رجب الذي ضحى بالكثير لتبقى التجربة؛ لكنه مضى من إهمال المؤسسة الإعلامية الرسمية لهم . والتي ثبت أنها لاتقل تخلفا عن ذهنية أيه مؤسسة من مؤسسات العالم الثالث.

• أسماء الأغاني ومواضيعها وتاريخ إنجازها:

مع ملاحظة أن جميع الأغاني من ألحان الفنان رضوان رجب:

1 ـ مهيار : للشاعر أدونيس .. أغنية الحوار والجدل بين الذات والواقع . 1979 2 ـ اسمعها تناديني تعال : عبد الوهاب البياتي أغنية المنفى والشوق والحنين والصمود . 1979 3 ـ شمس المنفى : محمود درويش أغنية المقاومة الفلسطينية ـ عندما يسقط القمر ـ محمود درويش .. 4 ـ عُمَرْ : نزيه ابو عفش .. صورة المعاناة الإنسانية في أوطان جائرة ... 1979 5 ـ صباح الخير : نزيه ابو عفش .. صورة أغنية الحب الراقي الحضاري الهادئ ... 1979 6 ـ احتراق : بدر شاكر السياب .. أغنية العوز العاطفي والحنين الضائع ... 1979 7 ـ الهجرة في دمشق : مصطفى البدوي .. معاناة الشوق

والغربة والحنين ... 1980 8 ـ حمّود : خليل الرز ... أغنية الإنسان المكافح والحر والفقير .. 1980 9 ـ أحمد فؤاد نجم : أغنية الصمود والتفاؤل والمقاومة ... 1980 10 ـ تكبّر : محمود درويش .. التغني بالمقاوم الفلسطيني .. 1980 11 ـ وحيداً : محمود درويش .. غربة الذات والمنفى والحنين ... 1980 12 ـ القطارات : علي الجندي ... غربة الإنسان المنفي داخليا .. 1981 13 ـ فراق : علي الجندي ... فشل الحب في الوطن القاهر ... 1981 14 ـ للحرية : نزيه ابو عفش ... صرخة الإنسان المقهور في وجه تجّارا لأوطان ... 1981 15 ـ هيلين : نزيه ابو عفش ... قهر الإنسان في أوطان تائهة ... 1981 16 ـ في الليل : علي الجندي ... صرخة الإنسان الداخلية والشوق للحب ... 1981

17 ـ لم تمت فيّ أغانيّ : سميح القاسم ... أغنية صمود المواطن الفلسطيني ... 1982 18 ـ المغني : ممدوح عدوان ... سقوط الفنان في كمجتمع قاسٍ ومتخلف ... 1982 19 ـ عظماء الروح : محمد الكنايسي ـ تونس ـ استنهاض روح الإنسان المقهور ... 1982 20 ـ عيني يا وطني : أحمد دحبور ... أغنية حنين المهجر الفلسطيني .. 1982 21 ـ أريد زهرة : نزيه ابو عفش .. أغنية بساطة ورقي إنسان وطموحه ... 1982 22 ـ وحيد أنا بينكم : محمد الكنايسي ـ تونس ـ صرخة الغربة والحنين .... 1983 23 ـ ايرينا : محمد كنايسي ـ تونس ـ أنين حب ضائع في اوطان ضائعة ... 1983 24 ـ وطني : عبد الفتاح سكر ... اغنية لمجد الوطن ... 1983 25 ـ صباح الخير يا وطناً : الشاعر اليمني عباس الديلمي ..وهي ثنائية غنائية مع الفنانة أمل عرفة والحان الفنان سهيل عرفة ... اغنية للوطن .. 1988 وغيرهم .....

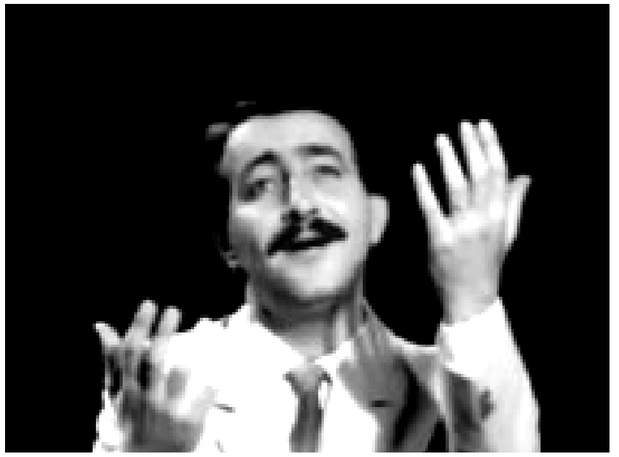

يلاحظ أن اغلب توجه معاني الأغاني نحو الإنسان والجدلية بينه وبين محيطه. حيث يخالطها الهم الإنساني والاجتماعي والسياسي وهذا ما جعلها باقية إلى الآن في أذهان الناس.

و بعد مشاركة التجربة في المهرجانات الجماهيرية في كل من سورية ولبنان والجزائر وليبيا وستوشي «الإتحاد السوفييتي سابقاً» وفرنسا وألمانيا.

استمرت رسائل التواصل بين فهد يكن وبين الجماهير التي حضرت التجربة واثنت كثيرا على هذا النوع الغنائي التعبيريّ. ولا أخفي إن كان ذلك يتجلى اكثر عند النخبة والشتات الفلسطيني.

لماذا لم تستمرّ ظاهرة فهد يكن \ رضوان رجب؟!

بعد سنوات طويلة من العمل المستمر المجاني غالباً، واعتمادا على إمكانيات (فهد يكن ورضوان رجب) الذاتية ودعم بعض الأصدقاء، ضاقت بهم الأحوال إلى حد لم يعد يطاق حيث أن ريع الأمسيات الغنائية والكاسيتات لم يكن ليغطي تكاليف إنتاج الأعمال. فاضطر وقتها الملحن رضوان رجب للعمل في الإمارات العربية المتحدة؛ وبقي فهد يكن في دمشق يكابد تخلف ولا مبالاة المؤسسة الإعلامية الرسمية.

وبالمقابل حاولت كثيرا من الجهات السياسية و بعض المنظمات الفلسطينية تبني التجربة مقابل أن تكون التجربة صوتها.. فقط؛ ولم يقبل فهد يكن.
فانكفأ مؤمناً بأنّ مزمار الحي لا يطرب.. وأن لا كرامة لنبي في أرضه.

أغلق ملف أغنياته. وحمل أوراقه وغادر إلى الغربة؛ و يعيش ويعمل حالياً كمهندسٍ للديكور في المملكة العربية السعودية الرياض منذ عام 1991 ـ وحتى تاريخه.

سأحبك أكثر.. بعد أن تنتهي الحرب

● وداد نبي

بعد أن تنتهي الحرب
تقول العاشقة لعاشقها
سأشتري لك ذلك القميص السماوي
الجميل
المركون في زاوية الواجهة الزجاجية
فوحدهما كتفاك العريضتان
يليق بهما ذلك السماوي الباهر

بعد أن تنتهي الحرب
سأشعل لقلبك شمعة في الكنيسة
القديمة
شمعة لا تنطفئ
وسأذهب معك بعدها للمقهى المزدحم
والصاخب
ولن أكترث للضوضاء والضجيج
ولن أشتكي من عيون الزبائن الفضوليين

بعد أن تنتهي الحرب
سألفك حول روحي كشال حريري
وأحملك معي في كل مشاويري
حتى تلك التافهة لشراء الخضراوات من
سوق المدينة

بعد أن تنتهي الحرب وتعود الحياة
للمدينة
سأمشي معك يداً بيد في أزقتها
دون خوف ودون كل تلك الهواجس

فقط لو تنته الحرب يا حبيبي
لو يتوقف القصف
لو يعود النازحون لبيوتهم
لو يعود الشهداء لأمهاتهم
لو تعود العصافيرمحلقة
بسماءاتها بدلاً من الطائرات
فقط لو تنتهي الحرب يا حبيبي
سأحبك أكثر من أي وقت مضى .

لن نصيح..

● عَنَاة.. ابنة السلميّة

أولستُ مثلكَ أرهقتني شرفةٌ:
ما عاد يعنيها تقطّرُ شمسها.. فتحدَّرَتْ..
تساوم الفيء الصديق بأن يظلّ؟
أولستَ مثلي حرَّكت فيك الحبيبة لونها
وترقَّبتْ
أن يلهبَ اللّونُ الدَّخيلُ معابرَهْ.. فتنهَّدتْ..
تخفي جراحاً لم تزلْ
من بين أصفاد الزمانِ تسرَّبتْ
كوريقةٍ نزفتْ لجاماً رامها.. وتشرَّدتْ؟
أولستُ مثلكَ أرهقتني قبْلةٌ
ورمتْ عليَّ حريقها سكراً يناورني:
لأغمرَ ما علا صمتَ المسافة من صهيلِ
جروحنا؟
أو أنتَ مثلُ غيابنا: يدهُ انغماسٌ في حشائِ
وحقيقةٌ ستنادم الحبَّ الدَّفينَ بسرِّنا؟
لكأنّنا نهدانِ في جسدِ الحياةِ تنزّ من
أجراسنا..
لعناتُ آلهةٍ قديمةْ
نارٌ أخاطتْها المدينةُ حولنا زمنَ القصيدةْ
فكرةٌ جُرحتْ بها بلدٌ شهيدةْ
نهضَ الصباحُ بخبزنا
ليُعيدُ تشكيلَ الجراحِ على جباهِ الفاتحينْ
والفقرُ ينقرُ يومَنا ويفيضُ بالجوع الحزينْ
وأنا وأنتَ نعيدُ تأويلَ الحصادِ بحبرنا
ونخفّفُ البؤسَ الرَّجيمَ بشمسِنا
والمنجلُ المنسيُّ في قلبِ الشعوبِ كصخرةِ
الموتى: يعيشْ
يا أيُّها الوطنُ الجريحْ: إنّا معاً لا لن نصيحْ

إنّا لمّا طغى الدمّ

● حسان عزت

تمنيتُ لو كنتُ تفاحةً كي تأكلوني
او كأسَ شايٍ لكي ترشفوني
أو كنتُ سربَ صبايا من الضوءوالورد
أو نبعَ ماءٍ زلالٍ لكيْ تشربوني ..
او قمرا يتدلّى بأنجُمِ أشجاره في السماء
أو رغيفاً بتنّورِ أمّي لكيْ تطعَموا الملحَ
منّي
أو صدرَ حَقْلٍ من القمْحِ ..أضمُّ بحضْني
صغارَ اليمامْ
أو كنتُ عنقاءَ قلبٍ عظيمٍ..أضمُّ بأجنحتي
الخائفين
فماذا تريدون مني
أنا وانتم هنا في الطّريق على القارعةْ
قلمي وأوراقُ دمٍ يُغَطّي بلادي معي
أنا وانتمْ وبلادي التي وجَعي
أنتمْ تريدون لي أنْ أغنّي لكمْ
وانا أُريدُ لأُفردَ حزني على الكون
كانَ يمكنُ أن أجعلَ الكلماتِ غِنائي
كانَ يمكنُ ان أغنّي الكلامَ الذي في دِمائي
وحُزني مثل السماواتِ والأرضِ بطولِ
الزّمان ولاحدّ لهُ
وخرابُ الخليّةِ منْ قبلُ ..من بعدُ والنّارُ دمارُ
بلادي
وربْع الخرابْ..
.....
في الهزيعِ الحميمِ من الليلِ كانت بلاددي
تعانقُ طيفَ السلام
وقبل انبلاج المعاني مع الفجرِ
روّعَ النائمونَ بزلزلةٍ وانفجارٍ وسَامْ
فزّتِ الطيرُ ملءَ الفضاءِ ..صاحتْ بأشْتاتِها
..ثمَّ خرّتْ سراعا
ماذا على الأرض..
انفرطَ النائمونَ حيارى على بعضهمْ
وذوّبتِ الروحُ من روعِها
ماذا على الأرضِ ..
فارتْ حجارةُ دهرٍ على ثِقْلها في الغبارْ
وماجَ بما يعتريهِ منَ النّار
شَجَرُ الميسِ والياسمينُ والأُقْحوانُ
ومادتْ بيوتٌ بأصحابها ..
ماذا على الأرضِ ..
ماللنواقيسِ واجمةً لا تنادي ..
ومالمآذِنِ تندكُّ صرعى كأَنْ لا دعاءَ لها ..
ولمْ تتطاولْ بأعناقها في سَماءْ
وما للهواءْ
هلْ صارَ موتاً أكيداً ..
فلا تلتفتْ أيُّها المتباعِدُ في التّيهْ..
ولا تلتفِتْ يا مُعَنّى لماءْ
في هَزيعِ القيامَةِ لا شَيءَ يَنْجو ولا نوْمَ
يَحْلُو
ولَيْسَ لهاربَةٍ من لجاءْ ..
في الهزيعِ الأخيرِ من العدلِ
هل ماتَ شعبي جميعاً ..
هل جاءَ يومُ القيامَةِ يُتْلى
هلْ كانَ فصْلُ الختامْ
ماذا على الأرضِ ..لا شيءَ يبدو جليّاً
وما كانَ إلّا بريفٍ عصِيٍّ وشامْ ...
.....
ماذا تريدونْ ..وماذا أقولُ لكمْ
كانَ يمكنُ لي ..وألّا يكونَ البكاءْ
لكنّني انا وأنتمْ على القارعةْ
لا نأكُلُ تفّاحةً..لا نشربُ الشايَ..ولسنا
نُغَنّي
أينَ الصّباحُ الذي نشتهيهِ وأحزانُ فيروزَ..
وأينَ الصّديقُ الحميمُ يبكي علينا ..
حزني بحجمِ الكُرةِ الأرضِ ..أحمِلُها
كرةَ الثلجِ التي مثل نارٍ وماءٍ
تصيرُ قطبينِ..رماداً جليداً وسيلَ دماءْ
ولا قطبَ آخرَ كيْ يفتدي ويُهادي ..
ألسنا نُنادي ..ألا تسمَعُ الأرضُ قتلى
يصيحون وشعباً ينادي .ألا يسمعُ الملائكةُ
الأنقياء ..
بلادا يمزّقُها الحاقدونَ تنادي .. ..ولا ولا أمّ لا
أبّ ..لا إخوةٌ في المنافي ينادونَ حتّى السماء
..ألسنا ننادي ..ألا يسمعُ اللّه..أصواتَ
صَرعى استغاثوا ولا بابَ لهمْ غيرَ ربّ
العباد..ويا ربّ ياشعبُ يا أمةً بائدة.. مجازر
لا حصْرَ..قتلى ..يتامى ..أيامى وغَرثى
يغطّونَ وجهَ البسيطةِ والكونْ ..ولا عدّ
للرملِ للبحرِ يطغى بدمْ ..(إنّا لمّا طغى الدّمَ
) سيلاً وصرْعى فأنّى ننادي ..طغى الدمّ ياربّ
..وما سمِعَ اللّه والملأُ العارفونْ لمّا ذُبحنا ولمّا
وئِدْنا ولمّا ..فهل سمعَ الأقربونَ .. ..
كرةُ الأرضِ أحملُها ..كرةُ القدمِ التي يجنّ
بها العالمُ المتقدّمُ والمتخلّفُ والعربيُّ
الخسيسْ ..
والأرعنُ العالميُّ التعيسْ
جول جول ولا وجهَ للشمس ..لاحبّ غيرَ
الأسى في بلادي ..
كرةُ القدمِ المستحيلةُ ..مملوءَةٌ بالدّماءْ
أركُلُها أركُلُها إلى آخرِ الأرضِ
فتنفجرَ الأرضُ ملْءَ الهواءِ عماءٌ يغطّي
السماءْ
أكسرُ مزمارَ شِعري ولا أنحني
أنتمْ تريدونَ منّي غِنائي
تفاحةً ..كأسَ شايٍ لذيذْ
وأنا حزنُ بلادي معي ..لا لا لا لا
أيُّ حزنٍ بلادي وشامي أقولُ لكمْ
ودماءُبلادي وشعبي مِدادي وفّنّي أقولْ..
وانا لا ..ولا .. لنْ أغنّي ..

اطفالنا في التغريبة المسرحية

لويز عبد الكريم

وصلت مع الاخصائي النفسي هاني ليلاً الى قرية البيري في عكّار, نمت عند أقاربه الذين نزحوا من تلكلخ, في منزلهم الصغير و الذي يقطنه عائلتين مع اولادهم, لأول مرة بعد سنتين أستعيد دفء العائلة التي حرمت منها بعد خروجي من سوريا؛ في ثاني يوم من رمضان 2013 كان أول اجتماع مع عشرين طفلا» من أبناء اللاجئين في المنطقة, و اليوم التالي مع عشرين طفلا» أخرين ثم توسّعت الدائرتين ليصبح العدد الكلي خمسين طفلا», كان الضجيج صفة الاجتماع, لا ينصتون بشكل تام و إنما مستعدين لكل أنواع الشغب, اجتمعنا في غرفة أستأجرناها من مدرسة هناك, عندما بدأنا بالركض في المكان (و هو أحد التمرينات التي نبدأ فيها عادة في هكذا ورشات) استغرب الاولاد المعتادين على نظام مدرسي فيه الكثير من القمع خصوصا» و أنهم كانوا مبعدين عن مدارسهم طوال الفترة السابقة بسبب القصف و تهديم بيوتهم و مدارسهم, اللعب كان محور جلساتنا, دفاتر الرسم و مجموعة الألوان الموضوعة على الطاولة كانت مركز اهتمام أعينهم, فلم نؤخر هذا التمرين بل أصبح شيئا» يتنافسون عليه ليخطّوا ابداعاتهم و ذكرياتهم و أحلامهم عليه, جلست مع هاني لنفهم أسباب رسم الشمس و النهر و الطريق ... البيت و الاب و الام كان عنصرا» مشتركا» في الرسومات, لكل حالته الخاصة, بعد عدة أيام رأينا أنه لابد لنا من جلسات مع الأمهات لتعلّق الاولاد بهنّ و بالقوانين الموضوعة مسبقا» في عقولنا دون أن نعرف أسبابا» حقيقية لها , لا حرية في بيوتنا, القمع مسكون فينا, في نهاية الأسبوع الاول بدات تتوضح لدينا اهتمامات كل طفل و بداية تخلصه من تابويات لا يفهم معناها مثل : لماذا على طفل عمره ست سنوات ألا يقترب من طفلة بمثل عمره أو لا يمد يده يسلم عليّ مثلا» وانا في عمر والدته و أحيانا» أكبر منها, حقيقة شغلني هذا التفصيل, فكيف نكون أسوياء و نحن لا نعرف التعامل مع الجنس الأخر (و في طفولتنا لا فرق أصلا) كل يوم كان يتكرّر السؤال من الجميع : متى سنتدرّب على المسرحية ؟ فقد أغريتهم بأنهم

سيمثلون أمام الناس ليقولوا ماذا حصل لهم؛ لكنّ هدفي لم يكون التمثيل بقدر ماكان الاهتمام بتخليصهم من غضبهم بالابتعاد عن أمكنة اعتادوا عليها و التخلص من تفاصيل أليمة عاشوها خلال الحرب, و من حزن يعانون منه لفقدانهم بعض الاقارب, مغري للجميع أن يصبح ممثلا».

تعلّقت بالاطفال لا ابالغ ان قلت : شعرت بانتمائي لهم و بأمومتي لبعضهم؛ هناك طفلين أخوة كان عندهم مشكلة بالنطق كانا أسرع من التزم بتدريبات النطق و أكثر من استفاد؛ صرت أفهم عليهما ما يودان قوله.

فتاة أخرى كان صوتها لا يسمع؛ كانت الاغزر نتاجاً, لرسومات تعبّر عن حلمها في الجمال و الحب و الأمل بالغد, الأكبر عمراً كانوا يتنافسون في قراءات القصص التي جلبناها لهم؛ بالنسبة لي كان الامتع هي رواية قصص هم يخترعونها و تحوي الكثير من الخيال, مشاريع كتّاب قصّة؛ المعجون أيضا» كان له نصيبا» من اللوحات التي صنعوها من روّاد فضاء الى بحور و حدائق حيوانات

و أبنية كبيرة و ملاعب رياضية, و أشكال من اختراع بعضهم؛ اشتقت لهم و أنا أكتب هذه الكلمات طفلُ واحد كان الأكثر ممانعة في المشاركة بأي تمرين, لقد فقد اثنين من أخوته الشباب, لم يلتزم بالحضور و لم يلتزم بالتدريبات ... لا فائدة, يحتاج الى طبيب نفسي ليعالجه.. لا يثق بالأخر أبدا» هذا الطفل من أكثر الاطفال الذين أحببتهم و تمنيت وقتاً اضافياً لاعمل معه على المدى الطويل , رسومه كانت الاكثر خيالا», و تركيزه بالقصص المروية كان الاكبر .

طفلان أيضاً من دمشق, أكّدوا على الفرق بين ابن الريف و ابن المدينة (حقيقة هذه مشكلة علينا البحث فيها) فقد كانا الاكثر انفتاحا» على الأخر و خيالهما أخصب, و ذاكرتهما تفصيلية أكثر, وهروبهما من الواقع مثيراً للتساؤلات أيضاً .

الاطفال كانوا ممن لجأ أهلهم من ريف تلكلخ و ريف حماه و طفل واحد من باب السباع, الفقر يلفّ المكان . القهر . الجهل ... و القمع تمارسه الأم على الاولاد و الأخ الاكبر على الاصغر و الاب على الأم و الاولاد جميعاً؛ زياراتي الى مكان اقامتهم (وهي مستودعات سابقة حيث لا نافذة و لا باب الا حديد الواجهة, يعني حر الصيف و برد الشتاء لهم منهما أكبر نصيب) زياراتي كانت تعطيهم الثقة بأنفسهم أمام أبائهم, يحزنني عمالتهم ... فأصحاب العمل لا يشغلون الأباء بل يشغلون الصغار بسبب قلّة أجورهم؛ مراهق واحد فقط سمحنا له بحضور جلساتنا لأنه فقد طفولته في الحرب و الأن يفقد مراهقته بسبب شغله في حمل الطوب : يعمل في العمار و تكسير الحجر؛ مشاكل نطق وتعبير عن الذات ... شخصية مسحوقة تماماً, و والد مريض و أم مسكينة, وجد في اللعب والرقص و الغناء مادة للضحك و الاستغراب ... هل هذه الحياة ؟ خلصت الى نتيجة : أننا اذا لم نوحّد جهودنا نحن أخصائيي المسرح و النفس للاهتمام بأطفالنا و مراهقينا لتخليصهم (وتخليصنا) من قهر سنين عشناها و حرب أفقدتنا الأفكار و الابداع و المستقبل مفقود, لن نستطيع العودة لإعمار البلد في دواخلنا .

شهر واحد لا يكفي مع خمسين طفل, و العودة اليهم مرة أخرى ضرورة, و العمل مع أكبر شريحة ممكنة واجب على كل من يستطيع تركيز طاقاته لبناء مستقبل.

كتاب يحاول قراءة المضمون..

الخطاب الفكري في الدراما السورية

من موقع المشاهد وهواجسه

• علي سفر

هل تصلح الدراما السورية لأن تكون مادةً للتحليل الفكري؟ سؤال تستدعيه بؤر شتى، كاعتبار الدراما مادةً تتجاوز فنيتها الإجرائية لتكون مادةً توثيقية لأحوال الأزمنة والمجتمعات التي تتحدث عنها، وأيضاً رؤية الكثيرين إلى هذه الساعات التلفزيونية على أنها مجال للطرح الأيديولوجي، وكذلك فإن طبيعة الأداة التواصلية التي يتم من خلالها بث الدراما السورية، أي التلفزيون، وكونه أكثر الوسائل الاتصالية جماهيرية، إنما يضعها في مواجهة استحقاق تحليل مفرداتها وطرق تكوينها، مما يؤدي في النهاية إلى الوصول إلى التحليل الفكري كجزء من آليات التلقي..

هنا لا يحتاج الدارس إلى بذل عناء كبير كي يجد لنفسه سبلاً لقراءة المضمون الفكري، فالجميع وبعد مشاهدة المسلسلات يقدم رأيه فيما شاهده، فالدراما تتطلب ذلك، إنها عمل يسعى إلى صناعة المتعة لدى المشاهد الذي سيعبر عن رأيه فيما شاهده، وهذا الأمر لا يقتصر على المشاهدين العاديين، بل إنه يصل إلى الصحافة ومتابعاتها الدرامية، فالجزء الأكبر من الصحافة المتابعة للدراما إنما يقوم على آليات نقدية ترويجية وليس تحليلية، فصحافة الدراما ونقدها تتشابه تماماً مع صحافة السينما ونقدها أيضاً، فهذه الصحافة سرعان ما تبدأ بقراءة الأفكار المدرجة في أي مسلسلٍ درامي، قبل أن يفطن كتابها في النهاية إلى ضرورة الإشارة إلى القالب الفني الذي صنع المسلسل من خلاله.

وبهذا المعنى فإن البحث في تحليل الأفكار التي تتضمنها الدراما السورية، هو موضوع راهن، ويستحق أن يفرد له أحد الكتاب وقتاً كبيراً وصفحاتٍ كثيرةٍ، كما فعل الدكتور نزار إبراهيم في كتابه «الخطاب الفكري في الدراما السورية»، الصادر حديثاً، والذي حمل عنواناً توضيحياً فرعياً هو « منذ البدايات وحتى عام 2011» و«قراءة تحليلية».

ولعل ما يلفت القارئ المتخصص منذ البداية في هذا الكتاب هو عنوانه، إذ أن الحديث عن «خطاب» فكري في الدراما السورية، يستدعي وقفة عند مفهوم «الخطاب» ذاته، والذي يتضح للكثيرين أنه مفهوم اتصالي تجاوز في مضامينه المعنى اللغوي المعجمي، فبينما ذهبت القواميس والمعاجم العربية إلى حصر معنى الكلمة في دلالاتها الأولى، نجد أن الباحثين المحدثين قد نهجوا إليها سبلاً مختلفةً، ولاسيما وأنها تشكل مفردة أساسية في علوم اللسانيات والسيميولوجيا، وعليه فإن الحديث عن «خطاب» فكري، في الدراما السورية، يبدو عنواناً فضفاضاً، إذ كان يمكن اللجوء إلى استخدام كلمات أشد التصاقاً بالغاية التي يروم إليها الباحث، فإذا كان يريد القيام بالتحليل المضموني - وهذا بدوره عنوان عريض جداً ويحتاج لتوضيح المنهجية - فإن المضمون الفكري إنما يعود إلى تحليل الأنساق الفكرية، من خلال مادة العمل الدرامي، ومن خلال توجهات صناعه أيضاً، وإذا كان يريد أن يمضي باتجاه استقراء الأفكار بذاتها، فإن هذا الاتجاه آخر في البحث له أدواته التحليلية التي تتصل بالمذهب النقدي الشكلاني، الذي يعزل العمل عن سياقه بوصفه وحدة فنية متكاملة..

استدعاء الدراما السورية كمادة للتحليل الفكري أو الفني يتطلب ومنذ البداية توضيحاً للمنهجية النقدية التي سيتم من خلالها التحليل، وهذا ما يغيب عن دراسة نزار إبراهيم، فهو يدخل مباشرة في توضيح أهمية الدراما في السياق الاتصالي، ومن ثم يلجأ إلى توضيح بعض المصطلحات التي تذهب إلى جهة التلقي، وليس إلى جهة صناعة العمل الفني، فمفهوم المزاج العام، هو مفهوم اجتماعي، وليس فني، إنه يرتبط بتلقي المادة الفنية، ولكنه خارجها، بمعنى أن التحليل للمادة الفنية الدرامية سابق على هذا المفهوم، وبالتالي فإن الربط بينما منذ البداية قد يؤشر للقارئ إلى أن الباحث يتبع منهجاً محدداً هو المنهج الاجتماعي السوسيولوجي، ولكن البحث في مقومات صناعة الدراما من الناحية الاقتصادية، يعيدنا إلى السؤال حول طبيعة المنهج، فهل هو اجتماعي أم اقتصادي؟ أم كليهما؟

من الجائز جداً للباحث ان يعمل وفق منهجيات مدمجة، ولكن شرط أن يرتبط الأمر بالغاية التي وضعها في عنوان بحثه، وهنا نتوقف عند تحليل المعطيات الذي قام به الباحث في تحريه التاريخي، فهو يرى أن تاريخ الدراما السورية ينقسم من حيث الخطاب الفكري الأيديولوجي، إلى مرحلتين: مرحلة النهوض والمد

القومي التحرري، والمرحلة النفطية، وقد خرج بثلاث منظومات، الأولى وهي منظومة البدايات أو النهوض وهي تمتد تاريخياً من عام 1960 (تاريخ تأسيس التلفزيون المصري السوري)، وحتى تاريخ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد، والثانية وهي منظومة ما بعد هذه الاتفاقيات وحتى أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، أما الثالثة فهي الفترة اللاحقة وحتى الآن.

وفي قراءته لهذه المنظومات يجهد الدكتور نزار ابراهيم في استقراء الثيمات الأساسية للمسلسلات الدرامية السورية في كل فترة زمنية، رابطاً بينها وبين المنظومات السياسية والفكرية التي سادت في كل مرحلة من هذه المراحل، ومعززاً هذا التوجه الاستقرائي عبر سرد أسماء أعمال يرى أنها كأمثلة تصلح لأن تكون مرآةً للفكر الذي يحاول الاستقصاء فيه، ولكنه يقع في مطب التعميم، دون أن يعود إلى الأعمال ذاتها كي يوضح للقارئ مدى التقاء فرضيته مع طبيعة هذه الأعمال، فالثيمات المتداولة كقضايا الشرف وقضايا الإرث وغيرها، هي ثيمات متكررة في الدراما ولا تشكل بحد ذاتها حاملاً فكرياً، ولعل تكرار حضورها في الدراما دائماً وحتى اليوم، إنما يجعلها ضمن سياق حياتي اعتيادي بغض النظر عن التوجهات الفكرية للمشتغلين عليها، وضمن هذا السياق فإننا نسأل: كيف يمكن لنا اعتبار أعمال درامية كـ«حارة القصر»، و«حكايا الليل»، و«ليلة والزيبق»، كأمثلة، معبرةً عن المنظومة الفكرية الأولى التي يتحدث عنها المؤلف؟ وهو يربط بينها وبين الحراك التغييري على أرض الواقع، ولكن ما هو وأين هو هذا الحراك في الدراما ذاتها؟

وفي استخلاصاته عن هذه المرحلة يتضح للقارئ انحياز المؤلف لها، من خلال اسداء المديح للسمات التي يخرج بها، وهو ما يتكرر في حديثه عن المنتج الدرامي السوري في المنظومة الثانية إلى درجة استدعائه للغة الخطابية الإنشائية في مرافعة الدفاع عنها. (ص 40). وتبعاً للسياق الاستقرائي ذاته يصل المؤلف في قراءته للمنظومة الثالثة إلى نقطة فارقة بحسب ما يرى، ألا وهي أثر دخول رأس المال الخليجي على التوجهات الفكرية للدراما

السورية، مما أدى إلى « بدء ظهور ملامح تغييب الروح السورية أو السمة السورية عن هذه الدراما مثلما غابت السمة السورية عن الأغنية والموسيقا. ومثلما غابت السمة السورية عن كثير من السمات والملامح الرائعة لسوريا (اقتصاداً، مجتمعاً، ثقافة، لباساً وسلوكاً .. و..و..)» (ص 71).

كلام المؤلف هنا يستحق التوقف عنده، لا لطبيعته الإطلاقية والتعميمية فقط، بل لكونه يلقي بتبعات التحول الفكري إلى عناصر خارجية، دون النظر في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع السوري، وربط هذه التحولات بالمنتج الفني، فالدراما السورية وكما تابعها الجميع، لم تكن منفصلة عما يحدث في المجتمع السوري، وبالتالي فإن ظهور ثيمات جديدة هو أمر طبيعي وليس عمل يندرج تحت أجندة خارجية تهدف إلى تشويه صورة المجتمع، فقاع المدينة والذي جرى تداوله تحت اسم العشوائيات»، هو نتيجة طبيعية من خلال مقاربة المؤلفين للقضايا الراهنة بالنسبة للإنسان السوري، وبالتأكيد فإننا إذا تجاوزنا البعد الفني للمعالجة الدرامية فإننا لن نرى في الأمر سوى «مؤامرة» على الذات..!

إن مشكلة التعميم في قراءة د. نزار إبراهيم، تتعدى ارتباطها بالفكرة الجاهزة التي يريد المؤلف أن يجد نماذج دالة عليها، بل

إنها تصل إلى تثبيته لأسماء عشرات الأعمال كأمثلة دون النظر في الاختلافات الحاصلة بين عمل وآخر، بين كاتب وآخر، وبين مخرجٍ وآخر..

لكن وقبل أن نتجاوز هذه النقطة يحق للقارئ أن يتساءل معنا: أليس التقسيم الفكري على شكل هذه المنظومات تعميمٌ أيضاً؟ وكذلك ألا يعتبر قوله بوجود مدارس إخراجية تتبع أسماء المخرجين علاء الدين كوكش ومعه الرواد، وهيثم حقي وهشام شربتجي ونجدت أنزور، دون شرح مقومات أساليب هؤلاء الإخراجية، وارتباط الأسلوب بالمسألة الفكرية، تعميماً مضللاً..؟!

أفضل ما يقدمه الباحث في كتابه وبالمقارنة مع باقي الاجزاء هو ذلك الجزء الخاص بالمعالجة التحليلية، فقد أجرى تحليلاً للمضمون الفكري لمسلسلات أثار بعضها جدلاً واسعاً كمسلسل «باب الحارة» في أجزائه الخمسة، وغيره من مسلسلات البيئة الشامية، وكذلك مسلسلي «الولادة من الخاصرة» و«صبايا» من المسلسلات الاجتماعية، ومسلسلي «أبو جانتي ملك التكسي» و«صايعين ضايعين» من المسلسلات الكوميدية.

ورغم أننا قد نختلف مع المؤلف كثيراً في تأويلاته للكثير من تفاصيل هذه الأعمال الدرامية، إلا أن الجهد المبذول في عملية التحليل يستحق التوقف عنده، ولاسيما من ناحيتين: الأولى وتتعلق بمسألة التوقف عند التفاصيل المناسبة للتوجه الفكري الخاص بالمؤلف، أي تلك التي يجد فيها سبباً للبوح والحديث عن رؤيته الفكرية والسياسية وغير ذلك. أما الثانية فتتصل بغياب المنهج النقدي المحدد الذي يعمل من خلاله في عملية قراءة النص البصري الدرامي.

وبالعودة إلى التفاصيل المعلوماتية التي ترد في هذا الكتاب، فإنه من الضروري الإشارة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها المؤلف: فهو يذكر اسم القاص السوري الرائد حسيب كيالي ضمن مجموعة الممثلين الكوميديين السوريين الرواد، وذلك في الصفحة (32) وأظنه قد قصد الممثل حكمت محسن.

وكذلك فإنه يضع مسلسلاً شهيراً كمسلسل «رأس غليص» في غير زمانه(ص40)، فالمسلسل من إنتاج عام 1976، أي قبل تاريخ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد، وهو ليس مسلسلاً تاريخياً..

وكذلك فإنه يضع مسلسل «الولادة من الخاصرة» ضمن موجة تعبر عن «الربيع العربي» (ص 117)، بينما يعرف المطلعون أن المسلسل قد جرى البدء بتصويره قبل الثورة التونسية وقد عرض بشكل طبيعي في فترة توازت مع ما يحصل في المنطقة العربية، ولم نر مقاربة للربيع العربي في الجزئين الأول والثاني، بينما أشتغل الجزء الثالث على ثيمة الحدث السوري في العام 2013، وهو أمر حدث بعد صدور الكتاب بفترة طويلة نسبياً.

كتاب «الخطاب دمشق، في الدراما السورية» الصادر عن دار التكوين في دمشق، ورغم ملاحظاتنا السالفة عليه، محاولة تستحق التوقف عندها من قبل المهتمين بالثقافة والفن السوريين، ولاسيما في ضوء شح الدراسات التي تحاول الإحاطة بالمنجز الدرامي السوري.

Alisafar69@hotmail.com

- الخطاب الفكري في الدراما السورية، منذ البدايات وحتى عام 2011، قراءة تحليلية.
- دار التكوين، دمشق ، 2012.
- 152 صفحة قطع متوسط.

الاقتصاد السوري ...إلى الخراب سرّ!

من عامل إلى مقاتل..!! قوانين الحرب تحكم الإقتصاد

سوريون خرجوا من سوق العمل إلى القتال وبدلو أعمالهم

● علي حمرة

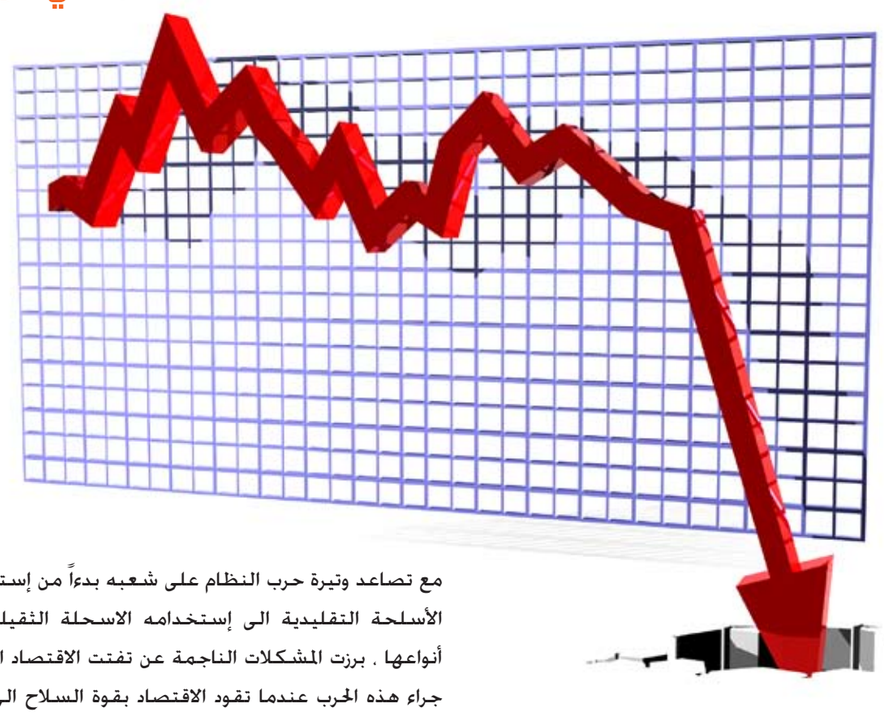

الاقتصاد السوري الى الخراب ....سرّ!.

من خراب الى خراب أكثر هكذا يدفع النظام السوري اليوم اقتصاد سورية تخريب ثم تخريب ثم تخريب... على خطوط الخديعة، والباطنية العميقة يعمل نظام الأسد في اخفاء حقائق الاقتصاد السوري وطمس معالمه في الوقت الراهن وهو يتمزق ويتفتت على ريتم أصوات القذائف والهاون والمدافع التي تدك سوريا من جنوبها الى شمالها.. لا تأبه لإقتصاد ولا إلى مستقبل ولا ابرياء أو مدنيين... المهم البقاء على كرسي « السلطة « ولو بقي منه رجل واحدة.

مع تصاعد وتيرة حرب النظام على شعبه بدءاً من إستخدامه الأسلحة التقليدية الى إستخدامه الاسحلة الثقيلة بكل أنواعها . برزت المشكلات الناجمة عن تفتت الاقتصاد السوري جراء هذه الحرب عندما تقود الاقتصاد بقوة السلاح الى جهة مجهولة يتم فيها اعتقال الموارد وربما اعدامها أيضاً.

تفتيت الاقتصاد

ففي الربع الاخير من العام 2011 لم تنعكس الثورة السورية على الاقتصاد السوري باي أثر يذكر سوى في قطاع السياحة لما كانت تأخذه من صفة سلمية وبنائة هادئة بالمقابل اخذ النظام بالحل الامني والعسكري , ولكن عند تصاعد وتيرة العنف ذلك عند بدايات العام 2012 هنا ت بداية تفتت الاقتصاد السوري بفعل حريق الحرب وبدأت نسب نسب البطالة بالارتفاع وكان هناك ارتفع ملحوظ في العاطلين عن العمل وبنسب الناس

التي تركت أعمالها ووظائفها وقطاعاتها , وبدأ سوق العمل بالتقلص والانحصار بشكل تدريجي ومتوازي مع تصاعد وتيرة الحرب التي يشنها النظام لقمع ثورة الشعب السوري على الظلم حتى وصل الى حد الانهيار اليوم .

استمر هذا الحال يرتفع تدريجيا وبشكل واضح حتى الربع الاخير من العام نفسه ,في هذه الفترة أصبحت الحرب كبيرة على الشعب من قبل النظام ,وفي هذه الفترة أيضاً توقفت الحرف وخرجت معظم الصناعات والأعمال والبسيطة والكثير من المحال والدكاكين التي كانت تؤمن قوت أسرة من سوق العمل وليعلن سوق العمل عن اغلاق الكثير من أبوابه ,فتوقفت المصانع عن العمل واصبح العامل يعرض نفسه الى خطر حقيقي عندما ينوي الذهاب الى مكان عمله .

فعندما يخرج النظام عمال شركة سيرونيكس الواقعة في القابون ويستخدمها كمركز لتجمع «الشبيحة « ندرك تماماً كيف يحطم النظام الاقتصاد ويحتل شركة جرى تاسيسها على مدى عقود !.

البطالة !

من وقت لآخر تتسرب بعض الدراسات غير معروفة المصدر عن نسب البطالة ونسب خسارة الاقتصاد السوري لكن حقيقة الأمر تبقى أكبر من النسب المعلنة بكثير .

فظهرت دراسة للمركز الدراسات السوري ؟. تقول بأن عدد العاطلين عن العمل حتى نهاية الربع الاول من العام2013 تسجل ارتفاعاً بنسبة 48.7 في المئة !

مبينة ايضاً أن هنالك 300 ألف اخرين توقفوا عن العمل منذ بداية العام نفسه . لكن ثمة من يشير ا أن هذه النسب غير واقعية أبداً ..فقوة العمل بسورية هي 5.6 مليون عامل وكانت قبل بداية الثورة نسبة البطالة الحقيقية تشكل من 27-33 %. فبعد الحرب على مدى عامين ونصف من المتوقع أن يكون على اقل تقدير تضاعف عدد العاطلين عن العمل مرة ونصف أو مرتين .

صور الخراب

للخراب الاقتصادي تنتشر في سورية وهي ماساوية ومحزنة لما فيها من استهتاركبير لموارد بلد وطاقاته وا مكاناته الكبيرة التي يحاول النظام الاجهاد عليها جميعها .

صور كثيرة تتسبب الحرب التي تدور الى شلل شبه كامل في اداء الصناعة والمصانع السورية اهمها مصانع حلب والمدن الصناعية وتوقفها عن العمل مما يعني خروج الانتاج الصناعي من كل الاقتصاد .

كذلك المناطق الصناعية والحرفية بريف دمشق ،سبينة، حرستا ،دوما ،عربين ،سقبا ،داريا ،معضمية ،كلها ضواحي تعج بالحرف والمهن والصناعات كلها مناطق قصفها النظام فتحولت من مناطق صناعية الى مناطق نزاع حمل اهاليها السلاح رداً على غدر النظام .

على سبيل المثال منطقة القدم «حوش بلاس» حيث توجد المعارك في تلك المنطقة منذ اكثر من عام ادى ذلك الى اغلاق المحال وتضرر معظمها من القصف.

ومن الصور المثيرة للانتباه توقف المعامل في منطقة السبينة في الريف الجنوبي لدمشق العاصمة التي كانت تحوي على ورش ضخمة لصناعة الآلات اللازمة لعمل مختلف المصانع وكانت تلك المنطقة تستقطب اعداداً كبيرة من العمال والمهندسين الماهرين في اخراج وصناعة الالات الضرورية وكثيراً من هذه الالات كانت للتصدير وتضاهي جودتها جودة المنتج المصري واللبناني والاردني هذه المنطقة عند بداية الحملة العسكرية تعرض قسم كبير منها للدمار والخراب والسرقة وتم اجبار اصحاب هذه الورش الى نقل ما تيسر لهم من معدات والرحيل بها الى دول الجوار مثل لبنان وتركيا ،وايضا مدينة داريا التي كانت أحدى مدن الريف الصناعي التي تمتلك منشآت كثيرة للورش الصناعية والحرف وكانت بلداً يشتهر بصناعة المفروشات وغرف الاطفال وغرف النوم والخشب لكل الريف الغربي والمنطقة الجنوبية ولكل سوريا كانت تستقطب اكثر من 100 عامل سويت المدينة كلها في الارض الان ,حتى الغوطة الشرقية عند اطرف العاصمة دمشق كانت سوقاً ومشغلاً واسعاً لتجار سوريا لكل المستلزمات الادولات المنزلية والمفروشات والمعدات الصغيرة والكبيرة. الا ان الحرب غيرت قوانين العمل والحياة في تلك المناطق .واصبح من المستحيل الوصول الى تلك الاسواق بسبب الاعمال العسكرية ..

احراق الزراعة

وكلك الزراعة السورية التي ضربتها نار الحرب ونيران النظام طالت المواسم والفلاحين فالزراعة قطاع مهم خرج من الانتاج والدليل اليوم الجوع الذي يحصل في مختلف مناطق القطر والنقص الكبير الحاصل في المواد الغذائية وعدم توافرها مما اضطر حكومة النظام استيراد القمح والطحين في العام الحالي . في القطاع الزراعي يمكننا الحديث عن الكثير من القصص والروايات لعمليات حرق المحاصيل وعدم قدرة الفلاح من التمكن للوصول الى أرضه . ورغم ادراك النظام أهميتها لكن لم يكن لديه مشكلة في احراقها مقابل البقاء .

فمن يستطيع تحديد الانتاج الزراعي اليوم ومن يستطيع ان يعطي رقماً في القطاع الزراعي ؟. سؤال برهن المستقبل تجيب عليه ايام ما بعد هذه الحرب .

من عامل الى مقاتل

تحول كبير في بنية العمل والبطالة يدل عليه المشهد الاقتصادي السوري . فنشاط العامل السوري تحول من حرفته الاصلية الى مجال آخر ،بل الكثير من السوريين استبدلو أعمالهم ووظائفهم ومهنهم , وهوحال معظم السورين اليوم ،فإن كان عاملاً موظفاً في مشفى للنظام ،أصبح اليوم يعمل في مشفى ميداني متطوعاً،اومن كان موظفاً في دائرة حكومية اصبح اليوم يعمل في التوثيق والتصوير والجمعيات الاغاثية ،أو من كان صاحب حرفة اصبح اليوم عسكرياً يحمل السلاح كمقاتل ليحمي اهله ويقف بوجه الجيش النظامي .

يتوقع احد الاقتصاديين ان يؤدي استمرار حال الحرب على الأراضي السورية إلى ارتفاع المهربين والمتاجرين بالعملات والسلاح الأمر الذي أدى الى ظهور أمراء الحرب وتلاشي الملامح الاقتصادية ومعاييرها في مختلف المناطق السورية سيما المحررة منها لأن النظام يركز على ضربها واتساع البطالة الى أكثر من 80% أوساط الشباب السوريين .

وبذلك هناك تحول في بنية العمالة السورية من موظفين أ أصحاب محلات الى مقاتلين يعتمدون القتال, مصدرا للدخل سواء في صفوف الجيش الحر او عند جيش النظام « ومن لم يكن هنا او هناك فان اعمال الاغاثة والأعمال الطبية تنتظره .

ففي الوقت الحالي تغيب التقارير او الدرسات التي تبين اعداد او نسب العمالين سابقا بالقطاعات الزراعية والخدمية .

وأن قوانين الحرب هي التي تحكم الاقتصاد وبالتالي لا معايير للاقتصاد السوري اليوم . فسوق العمل غير موجود والعرض الوحيد للعمل هو القتال سواء مع الجيش الحر أو مع النظام فالعامل بالامس تحول الى مقاتل اليوم . ورجل الأعمال اصبح خارج البلاد . وأموال السوريين اما ضاعت أو نهبت او حرقت أو خرجت الى بنوك دول الجيران.

أخيراً:

ان سعر صرف الليرة السورية يعكس الحجم الكبير والهائل من الخراب الذي تعرض له الاقتصاد, فالليرة السورية تتحدث عن الخراب ولكن بلغة المعادلات مع المعلات الصعبة . لتقول لنا لا تأتي الحرب بغيرالخراب . وإلى لحظة توقف نيران الحرب وحصول الشعب السوري على حريته من العصابة التي تضرب كل بنى المجتمع السوري ..الى ذلك الحين علينا الاعداد لمرحلة لابد أنها قادمة وهي مرحلة بناء سورية الجديدة لينطلق اقتصادها من جديد بحرية ومرونة نحو مجتمع سوري جديد .

سوريا.. من اقتصاد الطوارئ إلى اقتصاد الحرب

● عبدالقادر الشامي - دمشق

هنـاك معنـى واحد للاقتصاد الحرب لدى النظام، وهـو المعنى الذي يصب فـي خانـة حيتان المـال والأعمال لم يكـن قانون الطـوارئ مفروضا على الحياة السياسية في سوريا فحسب، بل كان أيضا يمتد بظلاله الموحشة ليطغى علـى الحيـاة الاقتصادية، محيلا إياها إلى ركام عجيب من الاسـتثمارات الخاسـرة والاحتكارات والصفقات المشـبوهة» التي تصب كلها في خانة نهب المال العام، وتحويله إلى «ملك خاص.» رزحت سوريا تحت قانون الطوارئ ومندرجاته المنفلتة مـن أي عقال، منذ 1963، وأصبحت مصـادرة حرية الفرد الطبيعية والاقتصادية مباحة بنص «القانون»، وبات على أي صاحب نشاط تجاري أو اقتصادي أو مالي أن يسبح في فلك السلطة وحاشيتها، وإلا غرق في أقل من شبر ماء.

مشهدان مرتبطان في ثمانينات القرن الفائت، ومع تطور المواجهات بين السلطة وجماعة «الإخوان المسلمين» ووقوع «الغزو الإسرائيلي للبنان»، أدخل حافظ الأسد اقتصاد سوريا في نفق جديد، ناقلا إياه من اقتصاد الطوارئ بكل ما فيه من مساوئ إلى اقتصاد الحرب، حيث كل شيء مسخر لـ»المجهود الحربي» ولدعم «مقاومة» البلاد و»تصديها»، وكان على الفئات الفقيرة والأكثر فقرا أن تسدد أكبر مساهمة في هذا الاقتصاد، فباتت لقمة هذه الفئات نهبا لكبار مهربي المواد الأساسية من غذائية وطبية وغيرها، فأثرى من أثرى وعلى رأسهم أصحاب البزات العسكرية!، ممن كدسوا أموالهم بانتظار أن يفتح النظام لهم «طاقة» الاستثمار و»يحرر» لهم الأسواق، وهذا ما بدأ به حافظ الأسد قبل موته بسنوات تمهيدا لتوريث ابنه، وتوّجه بشار في عهده، متدثرا بعباءة ما يسمى «اقتصاد السوق الاجتماعي».

أحد المراقبين الذي خبروا أزمة الثمانينات بمختلف أبعادها الاقتصادية، وهو يعايش الآن تداعيات حرب النظام على الشعب السوري المتواصلة منذ قرابة 3 سنوات، يقول إن هناك رابطا لايمكن قطعه ولا تجاهله بين مشهد الاقتصاد في هاتين الفترتين، رغم أن بينهما قرابة 3 عقود من الزمن. ففي الثمانينات كان على الخزينة السورية أن «تنفض» جيوبها من أي نقد أجنبي لتضخه في جيب شخص واحد هو رفعت الأسد في صفقة «ظاهرية» بين حافظ ورفعت، جعلت من الأخير واحد من أبرز أثرياء المنطقة. ويضيف المراقب: طبعا، لم يعلم السوريون وقتها ما حل بخزينتهم من كارثة، وانتظروا سنوات طوال ليعرفوا الحقيقة.

رغم أنهم لمسوها في تدهور خطير بسعر الصرف هبط بقيمة الليرة أمام الدولار، إذ غدا الدولار الواحد بأكثر من 30 ليرة، بعد أن كان يقارب 3 ليرات. ويتابع: أما الأزمة الحالية، فإن انتشار الإعلام وتواصل الناس عبر الشبكات الاجتماعية، قد أتاح للسوريين الاطلاع على طرف من تداعياتها، ومواكبة جزء من انعكاساتها، علما أن أي دراسات أو أبحاث للخسائر تبقى في إطار التكهنات، لأن غبار المعارك لم ينجل بعد والخسائر تزداد على مدار الساعة، وفي مثل هذا الوضع لا يستطيع أي باحث منصف أن يدعي معرفة نصف الحقيقة الاقتصادية ولا حتى ربعها. ومع ذلك فإن السوريين باتوا يعلمون أن النظام لم يبق من مخزون النقد الأجنبي سوى قرابة 3 مليارات دولار، في أحسن التقديرات، من أصل 18 مليارا كانت في الخزينة قبل الأزمة. كما يعرف السوريون بدون شك -والكلام للمراقب- أن عملتهم تنتقل من حفرة لتقع في حفرة أكبر، وأن أي «تحرير» حقيقي لسوق الصرف، سيجعل كل 500 ليرة تعادل دولارا واحدا، وليس كل 250 ليرة بدولار كما هو السعر اليوم.

دندنة الحكومة وفيما يحاول النظام مع كل موجة غلاء أن يخلي مسؤوليته، ملقيا باللوم على التجار و«جشعهم»، يقول أحد تجار الأغذية من دمشق، طالبا حجب اسمه لدواع أمنية، إن جميع الحكومات التي تعاقبت على سوريا منذ اندلاع الثورة، لم يكن على برنامجها سوى شيء واحد، هو تسخير إمكانات جميع الوزارات والمؤسسات الرسمية لإجهاض الثورة بكل الوسائل، وإن «الدندنة» التي نسمعها كسوريين وتجار خصوصا عن وضع معيشة الناس في قائمة أولويات الحكومة، لا تفتقد إلى المصداقية فحسب، بل هي تعاكس الحقيقة تماما. ويشرح: كل ما قامت به الحكومات المتعاقبة خلال الأزمة كان يصب في خانة إرهاق الناس ماديا، وجعلها تعيش حالة من «القرف»،

اقتصاد الحرب المشوه الذي يتجلى في سوريا اليوم، كل وجوهه قاتمة وجميع انعكاساته كارثية.

حتى يصلوا بها إلى لعن «الحرية» التي خرج الشعب يطلبها. وكدليل على تلاعب النظام وقذفه للمسؤولية على غيره، يقول التاجر: خذ مثلا أزمة المحروقات التي لايبدو أن لها مخرجا.. النظام يعكف منذ سنتين وأكثر على تحميل «المجموعات الإرهابية» -كما يسميها- وزر انقطاع خطوط النقل وضرب الصهاريج وإحراق حقول النفط وغيرها من التهم، لكنه لم يتعرض ولا بكلمة واحدة لمجموع ما استهلكته آلته الحربية من محروقات تكفي الشعب السوري لسنوات. ويتابع: هذا المثال ينطبق على كثير من القطاعات الأخرى، وقطاع المواد الضرورية للحياة ولاسيما الغذاء، كان وما يزال هدفا محببا لتصويب النظام نحوه، حتى يحول نقمة الناس عنه إلى طرف آخر. من جهته قال أكاديمي اقتصادي سوري يلقب نفسه بـ«الاقتصادي الحر» أن سوريا كلها

هناك رابط لايمكن قطعه ولا تجاهله بين مشهد الاقتصاد في فترة الثمانينات والفترة الراهنة.

-وليس اقتصادها فقط- حولها النظام إلى ماكينة لخدمة حربه، وأن هذه الحرب سددت ضربات قوية وربما قاضية لمختلف جوانب الحياة، لكن الجانب الاقتصادي كان الأكثر وضوحا في تضرره، كونه قطاعا يمكن عكس خسائره بالإحصاءات والأرقام، خلافا لمجالات أخرى يستحيل قياس تضررها، لاسيما المجال الاجتماعي.

اقتصاد مجازاً «الاقتصادي الحر» قال لمجلتنا إن اقتصاد الحرب الطبيعي رغم كل مساوئه يمكن أن تكون لها بعض الآثار الإيجابية، مثل تنشيط عجلة الصناعات العسكرية وتشغيل مزيد من العمال فيها، أما اقتصاد الحرب المشوه الذي يتجلى في سوريا اليوم، فكل وجوهه قاتمة وجميع انعكاساته كارثية، فهو اقتصاد كبد البلاد زراعتها وصناعتها وسياحتها، وجعل خزينتها شبه خاوية، وديونها تزداد، وفقرها يتضاعف، والبطالة فيها تنفجر، ولهذا فإننا نطلق عليه مسمى «اقتصاد» من باب المجاز لا أكثر، إذ ليس فيه من مقومات الاقتصاد الحقيقية شي يذكر. واستدرك: هناك معنى واحد لاقتصاد الحرب لدى النظام، وهو

المعنى الذي يصب في خانة حيتان المال والأعمال، ممن يجهز لهم النظام كعكعة لم يسبق لهم أن حلموا بمثلها، وهي كعكة إعادة إعمار سوريا المدمرة! ومضى يقول: لا أحد يستطيع حتى الآن أن يعطي تقديرات لحجم الأموال والاستثمارات اللازمة لإعادة الإعمار، ولكن لا أحد بالمقابل لديه تقديرات تقل عن 100 مليار دولار في أضعف الأحوال، وهذا الحجم من الأعمال لاتقدر على تحمله سوى شركات ضخمة عابرة للقارات، بل إن هذه الشركات على ضخامتها ستحتاج لبناء تكتلات فيما بينها حتى تستطيع ابتلاع «اللقمة الكبيرة». وحول رؤيته لما يقال عن انتقال اقتصاد البلاد من حال الطوارئ إلى حال الحرب، اعتبر «الاقتصادي الحر» أن الطوارئ والحرب متلازمتان لاتنفكان عن بعضهما، فالثانية تجلب الأولى، والأولى بدورها تُفرض بذريعة الثانية، وبهذا المعنى فإن اقتصاد سوريا يعيش هذه المتلازمة، وإن بدأ يطغى عليه مؤخرا النموذج المشوه لاقتصاد الحرب، الذي تولد عنه أثرياء الحرب، وأمراء الحرب، وتجار الحرب، وهؤلاء كلهم برزوا بأمر النظام، أو بتشجيعه على الأقل.

هنا سوريا! وفي الشارع السوري الذي لفحته شمس الطوارئ ثم نار الحرب، يرى المتجول المتمعن في الوجوه اقتصاد الحرب على حقيقته، فالمعارك هنا حامية الوطيس، جبهاتها مفتوحة، وجنودها لايعدون، وسلاحها أنى اتجه يصيب في مقتل. فعلى جبهة معظم التجار لاصوت يعلو فوق صوت الغلاء، وإن وجد من يعترض على الغلاء، فإن الرد يكون عليه بمزيد من الغلاء، وعلى هذه الجبهة بالذات لا معنى لمقاطعة سلعة أو منتج ما بغرض تخفيض سعره، كما يحدث في بقية بلاد الله الواسعة، لأن المقاطعة في سوريا تأتي بنتيجة معاكسة! وعلى جبهة المستهلكين، ذخيرة لاتنتهي من الشكوى، يريدون إسقاط طائرات الغلاء التي تغير فوقهم على مدار الساعة بما يملكونه من كلمات، أي بلا مضادات طيران ولا سلاح نوعي! وعلى جبهة الأسرة تتقلص المائدة، ثم تتقلص، ثم تتقلص، وتصر على تقلصها سواء هبط الدولار أو صعد، لأن الأسعار تبقى في صعود، والموائد لابد أن تنكمش، حفاظا على بقايا قرش أبيض لأيام لايعلم سوادها إلا الله.

من محارم القطة... إلى بسكويت دينغو

البضائع السورية نزحت بأسمائها الى الاردن

● خالد عواد الأحمد – الاردن

محارم القطة الأصلية، سكاكر ناشد أخوان حلاوة سرور، بسكويت دينغو، بسكويت عمار، وغيرها الكثير، هي بعض أسماء لعلامات تجارية سورية معروفة نزحت أوتم تقليد وتسويق جزء منها في الأردن، ورغم أن العديد من القوانين التي تعالج قضية تقليد العلامات والماركات التجارية في الأردن وتغرّم الذين يقلدون السلع والماركات والعلامات التجارية إلا أن تطبيق هذه القوانين فيما يتعلق بتقليد سلع وماركات محلية يتم التعامل معها بمرونة قد تكون لأسباب عديدة اهمها قد تكون عدم خسارة فرص العمل التي تولدت من جراء هذه الصناعات الناشئة التي ربما تكون حالة مؤقتة.

بعض الأحكام الصادرة عن محكمة العدل العليا الأردنية تطرقت لموضوع السلع المشهورة رغم عدم ورود نص بشأنها في القانون، ومن جملة هذه القرارات التي ذكرت سلعة سورية بالاسم «إذا كانت السلع التجارية مثل (ناشد إخوان) السورية معروفة في الأردن فإن تسجيل السلعة (ناشد) لتوضع على نفس صنف البضاعة من شأنه أن يؤدي إلى غش الجمهور، ويكون من حق المعترض بوصفه أحد أفراد الجمهور أن يعترض على طلب تسجيل هذه السلعة ما دام أن قانون العلامات التجارية يمنع أصلاً تسجيل أي سلعة عند توفر هذا السبب» علماً أن المشرع الأردني قد نظم العلامات المشهورة في قانون العلامات التجارية رقم (34) لسنة 1999، حيث جاء في المادة (2) في تعريف العلامة المشهورة بأنها "العلامة التجارية ذات الشهرة العالمية التي تجاوزت شهرتها البلد الأصلي الذي سجلت فيه واكتسبت شهرة القطاع المعني من الجمهور في المملكة الأردنية الهاشمية وقد أضفى المشرع الأردني حماية خاصة للعلامة التجارية المشهورة فاقت الحماية للعلامات التجارية الأخرى التي وردت في القانون، وتتمثل هذه الحماية الخاصة في أن العلامة التجارية المشهورة تكون محمية على جميع الأصناف ودون حاجة لتسجيلها، ومن المعروف أن الكثير من السلع السورية قبل الثورة السورية تجاوزت شهرتها الوطن العربي ومنها الأحذية التي كانت تصّنع في حلب وتصدّر إلى دول رائدة في صناعة الحذاء على مستوى العالم، وكذلك الألبسة القطنية والحريرية التي كانت تصدر إلى، عطور وأدوية ولدينا تشكيلة، جولة صغيرة في شوارع عمان التجارية وغيرها من المدن الأردنية تكفي لتكوين قناعة بفداحة ما يجري من تقليد وتزوير للماركات السورية حيث تعرض واجهات المتاجر الصغيرة سلعاً تحمل أسماء علامات تجارية سورية بأسعار ضعف أسعارها في سوريا، وتشكل الألبسة الجاهزة والجلديات والعطور الهدف الرئيس للتقليد في الأردن، والأكثر إثارة للدهشة أن أنشطتها تمتد أيضاً إلى الأدوية والغذاء وقطع غيار السيارات، إنه اقتصاد موازٍ، هذا الامر ادى الى ظهور بعض الأصوات المتضررة التي تنادي بوقف التقليد حيث عبّر «محمد الشاعر» رئيس شركة «الشاعر للكيماويات» عن تعرض أحد منتجات شركته المتخصصة في المنظفات للتزوير في الأردن وهو منتج «برافو» قائلاً: في ظل

الأزمة التي تمر بها سوريا قامت مجموعة من ضعاف النفوس في الأردن بتزوير وتقليد أحد منتجاتنا وهو مسحوق غسيل «برافو»، والمنتج المقلد هو من قياس 2 كغ باللون الأزرق، ويمكن تمييز العبوة المزورة المقلدة من خلالها ألوانها غير النقية وأنها لا تحمل رقم الوجبة ولا سعر البيع ولا يوجد على السطح العلوي للعبوة شعار الشركة المعروف بثلاثة أرباع للدائرة يتوسطها كلمة BADER.

بدورها تسعى الحكومة الأردنية بدورها لحل مشكلة تقليد العلامات والماركات التجارية على المستوى المحلي وغالباً ما يتم إخضاع الأسواق لرقابة متواصلة وتحويل المخالفين إلى القضاء لكل مخالفة على حدة، ولكنها تغض الطرف إذا ما تعلق الأمر بالعلامات والماركات السورية، إذ تقوم شرطة الرقابة بعمليات تفتيش فقط وتصادر بضائع وتقفل محلات، لكن هذه التجارة تعود إلى النشاط بعد أسابيع قليلة وكأن شيئا لم يكن. ورأى الخبير الاقتصادي الأردني حسام عايش أن أهمية ضبط البضائع المقلدة لا تكون بعددها بل في حجم البضائع المهربة، وبيّن عايش أن حجم البضائع المقلدة في الأردن، يصل إلى نحو 10 بالمئة من حجم فاتورة المستوردات التي وصلت خلال الخمسة شهور الأولى من العام الحالي حوالي 6 مليار و400 ألف. وأوضح عايش أن البضائع المقلدة هي التي لا تستوفي الشروط والمعايير في البلد الذي تدخله، مبيناً أنها تنتشر وتزداد في الدول التي تمتاز بانخفاض القدرة الشرائية لمواطنيها وهذا ما ينطبق عليه في بلد مثل الأردن، وغالباً ما تدخل البضائع المقلدة ضمن اقتصاد الظل لا سيما أنها تدخل بطرق غير شرعية، وتباع في مناطق تكون بعيدة عن الرقابة الحكومية ما يتطلب العمل على تضافر الجهود في محاربة هذه الظاهرة. القانون والإعلام ضد التقليد « المعين حيدر مراد» رئيس غرفة تجارة عمان يرى أن هناك قوانين عدة تعالج قضية تقليد العلامات والماركات التجارية ويجب تفعيل تلك القوانين، ليشعر كل من تسول له نفسه القيام بعمليات التقليد أنه سيتعرض لأقسى العقوبات، مبيناً أن هناك لجنة مقترحة من قبل وزارة الاقتصاد وضعت خطة عمل محكمة حول ما هو مطلوب القيام به لمعالجة هذه المشكلة ومراقبة الأسواق، وينبثق عن تلك الخطة فريق رقابة يقوم بإخضاع الأسواق لرقابة صارمة ومتواصلة، وتحويل المخالفين إلى القضاء لكل مخالفة على حدة، بحيث ينالون عقاباً شديداً، وأضاف مراد: «إن اللجنة المذكورة تسعى لوضع قائمة بالسلع والماركات المقلدة ونوعيتها والجهات التي تقوم بترويجها وبعد أن تقوم بجرد متواصل للأسواق تضع اللجنة تقريراً شهرياً حول ما قامت به، وطالب مراد بضرورة البدء بتنظيم وعقد ورش عمل حول تقليد البضائع والعلامات والماركات التجارية لتوعية التجار والمواطنين بحضور جميع الأطراف المعنية من التجار وجمعية حماية المستهلك، لافتاً إلى أهمية أن يقوم القطاع الخاص بالاهتمام بالناحية الإعلامية، حيث أن للإعلام دور مهم في كشف المقلدين وتوعية المستهلكين والتجار وكذلك استخدام كافة وسائل الترويج لنشر الوعي في أوساط المستهلكين حول مخاطر المواد المقلدة.

المستثمرون السوريون في مصر يجمدون مشاريعهم

3 مليار دولار استثمار السوريين بالنسيج المصري

حقيقتان هامتان يتم العمل عليهما من قبل السوريين اليوم المتواجدين على أرض مصر الغالية على قلوبهم، فمع التغير في المعطيات والتجاذبات السياسية التي حصلت في مصر وما نجم عنها، لم يكن السوريون راغبين في الدخول في المشاكل، فقد تبدلت معطيات التعامل مع السوريين بدءاً من قرار الحصول على تأشيرة وتعقيداتها، الى التحريض الاعلامي المصري على السوريين ، والتهجم على محلات السوريين من قبل أفراد... لذا بات الكثير من السوريين يخرج من مصر، يومياً فبعد ان كانت حجوزات الطيران مليئة من لبنان ودمشق الى مصر، فانعكس الاتجاه إلى الاردن ولبنان وتركيا.

مازال الكثير من السوريين يأملون أن تستقر الأوضاع السياسية في مصر حتى لا يضطرو الى لجوء ثانٍ او هجرة اخرى بانتظار العودة إلى بلدهم ووطنهم «سوريا حرة »

أما بالنسبة لرجال الأعمال الذين جاؤوا إلى مصر فأعلنوا موقفاً موحداً تجاه ما يحدث لأن عملهم ليس اقتصادياً إنما اجتماعي أيضاً.

فقد اعلن رجال الاعمال السوريين في مصر التوقف عن الاستثمارفي جمهورية مصر العربية . وأن التحريض الاعلامي على السوريين يخلق حالة سلبية لمناخ الاستثمار وللرأي العام، و ان استمرار هذا الحال يؤدي الى وقف السوريين من متابعة الاستثمارات في مصر التي تم البدء بها بالكثير من التأني كونها اقرب بلدان المنطقة من جهة ومن جهة خرى تكون استثمارات يتم تشغيل فيها سوريين وتؤدي دوراً اجتماعياً معيناً وليست محصورة بالاستثمار الاقتصادي فقط .

وأن الاستثمارات التي قد تتوقف تصل قيمتها الى أكثر من 700 مليون دولار، وهي تعادل تقريباً قيمة الضرر الذي لحق بالسوريين جراء تريثهم واعادة الحسابات لما هو قائم، وانتظار ما هو قادم في المستقبل.

الأسباب

واعتبر عضو التجمع ان اسباب عديدة صدرت عن الجهات المصرية التي تجعلنا نعيد النظر في استثماراتنا الحالية وننتظر ونترقب بشان الاستثمارات القادمة . إن قرار عدم منح التأشيرة للسوريين يشكل معطىً جديداً لوقف الاستثمار، فميزة الدخول بلا تأشيرة تمنح المستثمر المرونة لإدارة استثماره بالشكل الأفضل وإلا ما الفائدة من القيام باستثمار لا يستطيع الوصول المستثمر إليه؟.

وأضاف عضو التجمع: « نفهم مبررات الحكومة المصرية باتخاذ مثل هذا القرار بوقف منح تاشيرات الدخول للسوريين ونحن حريصون على أمن مصر، لكن لا ينبغي أن يكون هذا الأمر مبالغ فيه، وكذلك موضوع الموافقة الأمنية المسبقة إذ ينبغي أن تكون هناك حالات إنسانية واجتماعية فاستثماراتنا ليست اقتصادية فقط، إنما حالة اقتصادية واجتماعية.

وطلب العضو أن يصيب الاجراء صاحب العلاقة لا أن يكون التعميم للجميع فهناك تضرر للسوريين والضرر الأكبر بأن هناك جمود لما هو قائم وبنفس الوقت تردد وتوقف لما هو قادم.

قصص

وأكد عضو التجمع أن القرار يعطي منعكسات سلبية منها خطير وولّد حالات ومآسٍ للناس والعائلات السورية: «نحن لانطلب بإزالة القرار إنما نطالب بألا يشمل القرار الحالات الانسانية والاجتماعية، ومراعاة تلك الحالات بما يضمن أمن مصر ويضمن كذلك المرونة الكافية لتيسير أمور الناس، إذ ينبغي العمل على ايجاد حل والتخلص من هذا الجو العدائي والمشحون بسبب التحريض الاعلامي الغير مبرر، فمن يخطىء يطبق عليه القانون وبشدة، ونحن مع أمن مصر واستقرارها.

وروى عضو التجمع حادثة حصلت بأن رجل يعيش في السعودية بينما زوجته وطفلته الرضيعة في مصر، اضطرت الزوجة للسفر عدة أيام ووضعت الطفلة عند احدى العائلات وصدر القرار، ولم تتمكن الزوجة من العودة، فبقيت الطفلة الرضيعة وحيدة.!

يضيف عضو التجمع أن الكثير من السوريين يتركون مصر بسبب هذا الوضع الذي لا يريح، وأكد أنه تم تقديم طلب عاجل لوزير الصناعة والتجارة منير فخري عبد النور، وكذلك لرئيس الوزراء المصري حازم الببلاوي، لوقف ذلك الهجوم غير المبرر على السوريين من قبل وسائل الاعلام المصرية.. وأن رجال أعمال سوريين جدد لا يفضلون الدخول في السوق المصرية اليوم، مشددا على أن الهجوم الإعلامي على السوريين انعكست على معاملة الشعب المصري للاجئين السوريين.

وترتكز أغلب الاستثمارات السورية بالسوق المصرية في قطاع الغزل والنسيج والملابس الجاهزة والرخام ومواد البناء والجلود، وتقدر نسبة الإستثمارات السورية بمصر اليوم منذ عام ونصف الى الآن 70% من نسبة الاستثمارات في سورية، ووفقاً لما نشر عن قيم الاستثمارات السورية بمصر تقدر بحدود 3 مليارات دولار في قطاع الغزل والنسيج فقط.

من جهة أخرى نفى رئيس اتحاد المستثمرين العرب جمال بيومي في تصريح لصحيفة البديل خروج المستثمرين السوريين الذين هربوا من بلادهم إلى مصر، مؤكدًا توقف العمل بمشروعاتهم فقط .

جدير بالذكر أن رجال الأعمال السوريين في مصر شكلوا التجمع بعد ان تم حل ل «مجلس الأعمال السوري المصري» من قبل اتحاد غرف التجارة السورية نهاية العام الماضي .».

رسالة الى سوريا... Message To Syria

مشروع يهتم بالبعد الانساني في سوريا خلال مرحلة الثورة، وهو نداء لمواصلة التذكير بأهلها وبها كمكان منكوب.

يستشهد في سوريا يوميا أكثر من مائتي شخص أغلبهم شباب في مقتبل العمر، وأطفال. لم يتركوا ورائهم في أغلب الأحيان إلا الذكرى. لم يُترك لهم الوقت ليكملوا شيئاً مما بدأوه في حياتهم. البعض لم يُترك له الوقت حتى أن يبدأ.

في ظل مشهد الموت المهيمن ومع ازدياد عدد الشهداء بشكل جنوني، بدأت تضيع ذكراهم، بدأت تتراكم الأسماء على مواقع حقوق الإنسان، وتضيع الملامح من مواقع الفن والثقافة. لذا وبعيداً عن كل شيء، بكل اختزال وبلاغة هم المشروع، أسمائهم، وجوههم، حكاياهم.

انطلقت فكرة المشروع: لأجلهم، إحياءً لذكراهم، وللتذكير بأنهم سابقا كانوا بشراً لديهم حياتهم وأحلامهم.

ولأننا نعيش الموت يوميا في سوريا حتى أصبح الألم، والعنف، والصخب، لغة تخاطب وتواصل، ارتكز المشروع بشكل أساسي على توثيق قصص الشهداء وبُعدها الإنساني بعيداً عن صخب الإعلام السياسي، بعيداً عن كل ما يُفرّغ الأشياء من معناها.

مشروع رسالة إلى سوريا هو مشروع جماعي، ولد من الإحساس بالسخط والعجز أمام المشهد الدموي الذي تعيشه سوريا حاليا.

فريق العمل:

المشروع بالكامل قائم على جهد فريق من المتطوعين، السوريين والفرنسيين الذين أحبوا سوريا أو عاشوا فيها. كما يتضمن الفريق عدد من الفنانين ومصممي الغرافيك والمختصين بمواقع الانترنت والمترجمين.

أما كتابة الخواطر والنصوص الأدبية التي تحكي عن أماكن سورية فقد ساعدنا فيها عدد من المتطوعين السوريين أو الفرنسيين من مختلف الأعمار والمهن.

النصوص متوفرة على الموقع باللغتين العربية والفرنسية

ثوانٍ من صمت يحترم غيابهم، هو كل ما سعينا إليه. وبأبسط الطرق، للتعبير بطريقة مختلفة عما يجري في بلادنا ولإيصال أفكار إنساننا إلى كل الناطقين باللغة الفرنسية

بعض مما نحمل من الحزن، نفتح له الباب ليكون فاعلاً، من أجل الغائبين، من أجلنا، ومن أجل خلق جسر من التواصل الغائر في حمى الألم. لذا توجهنا إلى كل فرد ممكن، باعتمادنا على الرسائل، لنصل فيما بيننا وبينهم، بين الأفراد جميعاً غرباء أم معارف، حيث يمكن لأي شخص أن يرسل رسالة الى عائلة شهيد بأية لغة يريد. معتمدين في المرحلة الأولى من المشروع على خلق نوع من التواصل السهل والسريع بين السوريين والفرنسيين (وبين كل من يتحدث العربية، ويتحدث الفرنسية) من خلال الترجمة السريعة لكل ما يكتب على الموقع إلى الفرنسية.

قصي
ثلاث سنوات
استشهد ب كانون الثاني عام ٢٠١٣، أثر رصاصة قناص
مخيم اليرموك

Qousaï
3 ans
Mort en janvier 2013, rue Al Yarmouk à Damas, d'une balle de sniper dans la tête.

تفاصيل الموقع:

:اسمه: رسالة إلى سوريا، ويتألف من ثلاثة أبواب متصلة فيما بينها

الأول: الوجوه

فضاء الوجوه : استطعنا حتى اللحظة الوصول إلى أكثر من ٢٠٠ صورة لشهداء الثورة السورية

الثاني: القصص

فضاء الحكاية: (صور وقصص) مع كل صورة ملحق معلومات بسيط عن الشخص :

العمر، المهنة، تاريخ وسبب الوفاة , المدينة

الثالث: الخواطر - الرسائل

نصوص متنوعة ما بين الشعر والقصص والمذكرات لأكثر من ٣٠ شخصاً حتى الآن منهم سوريين ومنهم فرنسيين أقاموا في سوريا أو زاروها.

منهم من كتب عن أحياء وأماكن ومنهم من كتب عن مشاعر وأحاسيس عاشوها هناك. ليكتشف زائر الموقع الكثير عن سورياً مكاناً وروحاً، وليعيش مع الكلمات والمشاعر خبرة ومعرفة بسيطة ومغايرة عن المتعارف عليه حول سوريا في هذه المرحلة تحديداً

الرسائل

من خلال هذا الفضاء، يسمح الموقع للزائر بإرسال رسالة تضامن مع عوائل الشهداء أو إبداء رأي أو إطلاق العنان بحرية لمشاعره وتداعياته.

الرسالة يمكن أن تحمل أشكالا مختلفة فقد تكون رسماً أو مقطعاً من الفيديو (سمعي بصري)، أو كتاباً.

نطمح في المرحلة القادمة أن نوصل هذه الرسائل الى العوائل المعنية بالأمر في سوريا

كما سنعمل لاحقا على توسيع عائلة الموقع، عبر إدخال اللغتين الانكليزية والعربية

مدن الثورة المغبرّة

خضر الآغا

كشفت الثورة السورية أن السوريين لايعرفون سوريا!.

ثمّة الكثيرمن القرى والمناطق كانت منسية ومجهولة بالنسبة للكثيرين، كانت.. كأنها لم تكن؛ كأنها..غيرموجودة، كأنها.. في العدم؛ بدت وكأنّ الثورة قد خلقتها، كانت مطمورة في الأقاصي ونبشتها الثورة، وحين ثارت، ثارت بشدةٍ وقوةٍ لامثيل لها، وتعرّضت لأعتى الحملات الأمنية والعسكرية، وقد عرفها السوريون عبروسائل الإعلام، وظلوا وقتاً طويلاً لايعرفون كيف يلفظون اسمها !.

ظهرت قرى غائرة في البُعد والصمت والنسيان على ساحة العمل الثوري كأنها ما أرادَ اللهُ قوله ذات يومٍ.. ولم يقله.

عرّفت الثورة السوريين؛كمثال؛ بقريتين موغلتين في العَدَم.. هما: بنّش،وكفرنبّل؛ قريتان قدمتا للسوريين ملاحم راقية للتظاهرالسلميّ؛ وابتكرتا لافتاتٍ.. سيبقى السوريون زمناً طويلاً؛ يرددون ماجاء فيها؛ لما تضمّنته من أفكارٍ في أخلاق الثورة وغاياتها؛ ولشدّة افتتان الكثير من صبايا وشباب سوريا بهاتين القريتين النبيلتين؛ أقاموا ما يُشبه الرحلات التعارفية بل.. والاستكشافية لهما، ليس.. في زمن الثورة السلمية فحسب؛ بل.. حتى في بدايات التحوّل المرير والإرغامي نحو السلاح، مع كل ما يشوب الأمرَ من خطورة.

الأمر ذاته.. حدث لدى الكثير من مناطق وقرى سوريةٍ لم تكن موجودة.. فأوجدتها الثورة؛ أو كانت مُغبرّة على نحوٍ صفيقٍ فأزالت الثورة عنها.. الغبار، فبدت فاتنةً بجمالها ودلالها الثوريّن.

الأمرُ المهمّ الآخر؛ أنهم تعرّفواعلى مستويات علمية وثقافية عُليا؛ في مناطق كانوا ينظرون إليها.. على أنها مَطرَحٌ للجهل والتخلف؛ وكمثال: فُوجئ الكثيرون ببلدتين حمصيّتين (من حمص) كانتا تُعتبران من أكثرالبلدات السورية جهلاً وتخلفاً..هما : الرستن و تلبيسة؛ البلدتان اللتان ثارتا منذ بداية الثورة السوريةعلى نحوٍ لاتردّدَ فيه، وهما.. تضمّان نسبةً عاليةً جداً من المتعلّمين وخريجي الجامعات والأساتذة في جامعات محلية وعالمية أيضاً.

تُعتبرالرستن.. من أكثرالبلدات المُتعلّمة في سوريا الأمر الذي لا يعرفه السوريون (أغلبهم)؛ بالإضافة إلى هذا فإنّ الرستن.. هي من أول البلدات التي تتجرأعلى تحطيم تمثال حافظ الأسد المصنوع من الرخام الإيطالي الباذخ، وهوالتمثال الأكبر في سوريا، فدمّرته ومرّغت رأسَهُ بالتراب، الأمرالذي جعل النظام يذيقها الويلات، فارتكب فيها أولى المجازرأيضاً /مجزرة الأمن العسكري (نيسان2011)/.

خلال الثورة.. عرف السوريون بعضهم بعضاً، وتقدّمت الكثيرمن المدن والقرى المنسية والمهمّشة.. إلى الصفوف الأولى في الخارطة السورية؛

فعرف السوريون قيمة بعضهم بعضاً، وعدّلواعدساتهم التي كان قد (عيَّرها) النظام وفق مايريد لهم أن يروا، فأعادوا رؤية بعضهم، وأعادوا صياغة أفكارهم وآرائهم إزاءَ بعضهم؛ خارجَ سياق الاستبداد؛ وفي فضاء الحريّة.